المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية

دورية - علمية - محكمة - إقليمية
(ربع سنوية)

تصدر عن
المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب
(AIESA)

رئيس التحرير
أ.د/ سليمان بن قاسم العيد
أستاذ الدراسات الاسلامية – جامعة الملك سعود

نائب رئيس التحرير
أ.د/ إبراهيم بن حماد الريس
أستاذ الدراسات الاسلامية – جامعة الملك سعود

مدير التحرير
أ.د/ شافع ذيبان الحريري
أستاذ الدراسات الاسلامية – جامعة أم القرى

المجلد الثالث – العدد (٨) يوليو ٢٠١٩

المجلة للدراسات الاسلامية والشرعية

الصادرة عن المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب

برعاية أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا وبنك المعرفة المصري

www.aiesa.org

رقم الايداع بدار الكتب المصرية : ٢٠١٧ / ٢٤٣٥١

الترقيم الدولي الموحد للطباعة : ISSN: 2537-0405

الترقيم الدولي الموحد الالكتروني : ISSN (Online) : 2537-0413

موقع المجلة : http://jasis.journals.ekb.eg

معرف الوثيقة الرقمي ***Doi: 10.33850/jasis.2019.***

معامل تأثير عربي : ١.٣٨ لسنة ٢٠١٨

يتم النشر الالكتروني على المنصات الآتية

طبعت بمطابع دار المعارف - القاهرة

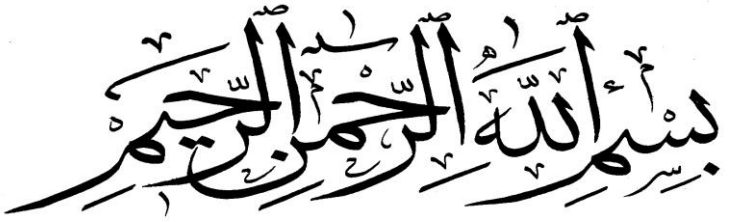

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)

سورة النساء : الأية (١١٣)

إدارة المجلة غير مسؤولة عن الأفكار والآراء الواردة بالبحوث المنشوره في
أعدادها وإنما فقط تقع مسؤوليتها في التحكيم العلمي والضوابط الأكاديمية

هيئـــــــــة التحريـــــــــر

أ.د/ سليمان بن قاسم العيد	جامعة الملك سعود – السعودية	رئيساً للتحرير
أ.د/ إبراهيم بن حماد الريس	جامعة الملك سعود - السعودية	نائباً رئيس التحرير
أ.د/ شافع ذيبان الحريري	جامعة أم القرى - السعودية	مديراً للتحرير
أ.د/ حسن حسن كامل إبراهيم	جامعة الملك سعود – سابقاً	عضواً فنياً
أ.د/ محمد علي قاسم العمري	جامعة اليرموك - الأردن	عضواً فنياً
أ.د/ سيد محمد الطبطبائي	جامعة الكويت	عضواً فنياً
أ.د/ خالد بن حسن العبري	جامعة الملك فهد للبترول - السعودية	عضواً فنياً
د/ فكري لطيف متولي	رئيس مجلس أمناء المؤسسة	عضواً إدارياً
أ/ شتوي مبارك القحطاني	الأمين العام للمؤسسة	عضواً إدارياً
أ/ نهى عبدالحميد عبدالعزيز	مدير المؤسسة	عضواً إدارياً

الهيئـــــة العلمية الاستشارية

أ.د/ عبدالقادرعبدالقادر البحراوي	جامعة بنها	مصر
أ.د/ يوسف ذيـــاب الصقر	جامعة الكويت	الكويت
أ.د/ زيد عمـــر عبد الله	مركز بيانات للدراسات القرآنية	الأردن
أ.د/ مبارك جـــزاء الحربي	جامعة الكويت	الكويت
أ.د/ عبدالله بن سليمان الغفيلي	الجامعة الإسلامية	السعودية
أ.د/ خالد بن عبدالله القاسـم	جامعة الملك سعود	السعودية
أ.د/ حمد بن ناصـــر العمار	جامعة الإمام	السعودية
أ.د/ عبدالمحسن بن عبدالله التخيفي	جامعة الملك سعود	السعودية
أ.د/ علي محمد حســن الموسى	الجامعة الأردنية	الأردن
أ.د/ عبد الناصر موسى أبو البصل	جامعة اليرموك	الأردن
أ.د/ محمد رمضان الأغـــا	الجامعة الاسلامية بغزة	فلسطين
د/ العربي بن محمد الإدريسي	جامعة الملك سعود	السعودية
د/ عبدالله بن عبد العزيز السبيعي	جامعة الإمام محمد بن سعود	السعودية
د/ حسين عبـــده حسين أحمد	جامعة عين شمس	مصر
د/ ياســـر محمد طرشاني	جامعة المدينة	ماليزيا

ميثاق اخلاقيات النشر :

تنشر المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب من خلال اصداراتها البحوث العلمية الأصيلة والمحكمة، بهدف توفير جودة عالية لقُرَّائها من خلال الالتزام بمبادئ مدونة أخلاقيات النشر و منع الممارسات الخاطئة. وتصنف المدونة الأخلاقية ضمن لجنة أخلاقيات النشر (COPE : Committee on Publication Ethics) وهي الأساس المرشد للمؤلفين والباحثين والأطراف الأخرى المؤثرة في نشر البحوث بالمجلات من مراجعين، بحيث تسعى المجلات لوضع معايير موحّدة للسلوك؛ وترغب المجلات على أن يقبل الجميع بقوانين المدونة الأخلاقية، وبذلك فهي ملتزمة تماما بالحرص على تطبيقها في ظل القبول بالمسؤولية والوفاء بالواجبات والمسؤوليات المسندة لكل طرف.

١- مسؤولية الناشر:

قرار النشر: يجب مراعاة حقوق الطبع وحقوق الاقتباس من الأعمال العلمية السابقة، بغرض حفظ حقوق الآخرين عند نشر البحوث بالمجلات، و يعتبر رئيس التحرير مسؤولا عن قرار النشر والطبع ويستند في ذلك إلى سياسة المجلات والتقيد بالمتطلبات القانونية للنشر، خاصة فيما يتعلق بالتشهير أو القذف أو انتهاك حقوق النشر والطبع أو القرصنة، كما يمكن لرئيس التحرير استشارة أعضاء هيئة التحرير أو المراجعين في اتخاذ القرار.

النزاهة: يضمن رئيس التحرير بأن يتم تقييم محتوى كل مقال مقدم للنشر، بغض النظر عن الجنس، الأصل، الاعتقاد الديني، المواطنة أو الانتماء السياسي للمؤلف.

السرية: يجب أن تكون المعلومات الخاصة بمؤلفي البحوث سرية للغاية وأن يُحافظ عليها من قبل كل الأشخاص الذين يمكنهم الاطلاع عليها، مثل رئيس التحرير، أعضاء هيئة التحرير، أو أي عضو له علاقة بالتحرير والنشر وباقي الأطراف الأخرى المؤتمنة حسب ما تتطلب عملية التحكيم.

الموافقة الصريحة: لا يمكن استخدام أو الاستفادة من نتائج أبحاث الآخرين المتعلقة بالبحوث غير القابلة للنشر بدون تصريح أو إذن خطي من مؤلفها.

٢- مسؤولية المحكم (المراجع) :

المساهمة في قرار النشر: يساعد المحكم (المُراجع) رئيس التحرير وهيئة التحرير في اتخاذ قرار النشر وكذلك مساعدة المؤلف في تحسين البحث وتصويبه.

سرعة الخدمة والتقيد بالآجال: على المحكم المبادرة والسرعة في القيام بتقييم البحث الموجه إليه في الآجال المحددة، وإذا تعذر ذلك بعد القيام بالدراسة الأولية للبحث، عليه إبلاغ رئيس

التحرير بأن موضوع البحث خارج نطاق عمل المحكم، تأخير التحكيم بسبب ضيق الوقت أو عدم وجود الإمكانيات الكافية للتحكيم.

السرية: يجب أن تكون كل معلومات البحث سرية بالنسبة للمحكم، وأن يسعى المحكم للمحافظة على سريتها ولا يمكن الإفصاح عليها أو مناقشة محتواها مع أي طرف باستثناء المرخص لهم من طرف رئيس التحرير.

الموضوعية : على المحكم إثبات مراجعته وتقييم الأبحاث الموجهة إليه بالحجج والأدلة الموضوعية، وأن يتجنب التحكيم على أساس بيان وجهة نظره الشخصية، الذوق الشخصي، العنصري، المذهبي وغيره.

تحديد المصادر: على المحكم محاولة تحديد المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع (البحث) و التي لم المؤلف، و أي نص أو فقرة مأخوذة من أعمال أخرى منشوره سابقا يجب تهميشها بشكل صحيح، وعلى المحكم إبلاغ رئيس التحرير وإنذاره بأي أعمال متماثلة أو متشابهة أو متداخلة مع العمل قيد التحكيم.

تعارض المصالح: على المحكم عدم تحكيم البحوث لأهداف شخصية، أي لا يجب عليه قبول تحكيم البحوث التي عن طريقها يمكن أن تكون هناك مصالح للأشخاص أو المؤسسات أو يُلاحظ فيها علاقات شخصية.

٣- مسؤولية المؤلف :

معايير الإعداد: على المؤلف تقديم بحث أصيل وعرضه بدقة وموضوعية، بشكل علمي متناسق يطابق مواصفات البحوث المحكمة سواء من حيث اللغة، أو الشكل أو المضمون، و ذلك وفق معايير و سياسة النشر في المجلات، وتبيان المعطيات بشكل صحيح، و ذلك عن طريق الإحالة الكاملة، ومراعاة حقوق الآخرين في البحث ؛ وتجنب إظهار المواضيع الحساسة وغير الأخلاقية، الذوقية، الشخصية، العرقية، المذهبية، المعلومات المزيفة وغير الصحيحة وترجمة أعمال الآخرين بدون ذكر مصدر الاقتباس في البحث.

الأصالة و القرصنة: على المؤلف إثبات أصالة عمله وأي اقتباس أو استعمال فقرات أو كلمات الآخرين يجب تهميشه بطريقة مناسبة وصحيحة ؛ والمجلة تحتفظ بحق استخدام برامج اكتشاف القرصنة للأعمال المقدمة للنشر.

إعادة النشر: لا يمكن للمؤلف تقديم العمل نفسه (البحث) لأكثر من مجلة أو مؤتمر، وفعل ذلك يعتبر سلوك غير أخلاقي وغير مقبول.

الوصول للمعطيات والاحتفاظ بها: على المؤلف الاحتفاظ بالبيانات الخاصة التي استخدمها في بحثه، و تقديمها عند الطلب من قبل هيئة التحرير أو المُقيِّم.

مؤلفي البحث: ينبغي حصر (عدد) مؤلفي البحث في أولئك المساهمين فقط بشكل كبير وواضح سواء من حيث التصميم، التنفيذ، مع ضرورة تحديد المؤلف المسؤول عن البحث وهو الذي يؤدي دوراً كبيراً في إعداد البحث والتخطيط له، أما بقية المؤلفين يُذكرون أيضاً في البحث على أنّهم مساهمون فيه فعلا، ويجب أن يتأكد المؤلف الأصلي للبحث من وجود الأسماء والمعلومات الخاصة بجميع المؤلفين، وعدم إدراج أسماء أخرى لغير المؤلفين للبحث ؛ كما يجب أن يطّلع المؤلفون جميعا على البحثة جيدا، وأن يتفقوا صراحة على ما ورد في محتواها ونشرها بذلك الشكل المطلوب في قواعد النشر.

الإحالات والمراجع: يلتزم صاحب البحث بذكر الإحالات بشكل مناسب، ويجب أن تشمل الإحالة ذكر كلّ الكتب، المنشورات، المواقع الإلكترونية و سائر أبحاث الأشخاص في قائمة الإحالات والمراجع، المقتبس منها أو المشار إليها في نص البحث.

الإبلاغ عن الأخطاء: على المؤلف إذا تنبّه و أكتشف وجود خطأ جوهرياً و عدم الدقة في جزئيات بحثه في أيّ زمن، أن يشعر فورا رئيس تحرير المجلات أو الناشر، ويتعاون لتصحيح الخطأ.

شـــــــروط النشـــــــــر :

- يجب أن لا يتجاوز البحث المقدم للنشر عن (٤٠) صفحة ، متضمنة المستخلصين : العربي ، والإنجليزي على أن لا تتجاوز كلمات كل واحد منهما (٢٠٠) كلمة ، والمراجع.
- يلي المستخلصين : العربيَّ ، والإنجليزيَّ ، كلماتٌ مفتاحية (Key Words) لا تزيد على خمس كلمات (غير موجودة في عنوان البحث)، تعبر عن المجالات التي يتناولها البحث؛ لتستخدم في التكشيف.
- تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة الأربعة (العليا، والسفلى، واليمنى، واليسرى) (٣) سم، والمسافة بين الأسطر مفردة.
- يكون نوع الخط في المتن للبحوث العربية وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (١٣).
- يكون نوع الخط في الجداول للبحوث العربية وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (١٠).
- تستخدم الأرقام العربية (١-٢-٣...Arabic) في جميع ثنايا البحث.
- يكون ترقيم صفحات البحث في منتصف أسفل الصفحة.

- يكتب عنوان البحث ، واسم الباحث ، أو الباحثين ، والمؤسسة التي ينتمي إليها، وعنوان المراسلة، على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث. ثم تتبع بصفحات البحث، بدءاً بالصفحة الأولى حيث يكتب عنوان البحث فقط متبوعاً بكامل البحث.
- يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث، أو الباحثين، في متن البحث صراحة، أو بأي إشارة تكشف عن هويته، أو هوياتهم، وإنما تستخدم كلمة (الباحث، أو الباحثين) بدلاً من الاسم، سواء في المتن، أو التوثيق، أو في قائمة المراجع.
- يتأكد الباحث من سلامة لغة البحث، وخلوه من الأخطاء اللغوية والنحوية.
- توضع قائمة بالمراجع العربية بعد المتن مباشرة، مرتبة هجائياً حسب الاسم الأول أو الأخير للمؤلف (اختياري) ، وفقاً لأسلوب التوثيق المعتمد في المجلة.
- لهيئة التحرير حق الفحص الأوّلي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه.
- في حال قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقياً أو إليكترونياً، دون إذن كتابي من رئيس هيئة التحرير.
- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- رسوم التحكيم والنشر (٢٠٠ دولار) . وللمصريين في الجامعات والمؤسسات داخل مصر (٢٠٠٠ جنيه).
- يحق للباحث استلام نسخة ورقية من العدد ، وعند طلب نسخ اضافية أو مستلات من البحث أو ارسال النسخ بالبريد يتم تسديد تكلفتهم مع رسوم النشر.
- يتم تقديم البحوث إلكترونياً من خلال موقع المجلة أو بريد المجلة الإلكتروني:

https:// jasis.journals.ekb.eg

search.aiesa@gmail.com

محتــويات العـدد	
افتتاحية العدد	-
أَقسـامُ القلـوبِ ، وعلاماتُها **فهد بن حذيفة بن عبدالله الطوالة** Doi: 10.33850/jasis.2019.44484	١ – ٢٤
علامات اليقين **عبدالله بن علي بن عبدالله الرشيد** Doi: 10.33850/jasis.2019.44485	٢٥ – ٤٢
الرؤى في القرآن الكريم **فهد بن عبد الله المحيا** Doi: 10.33850/jasis.2019.44486	٤٣ – ٦٦
المسائل التي انفرد بها الإمام أبو عوانة - رحمه الله - عن المذاهب الفقهية الأربعة في بعض أبواب الصلاة من كتابه "المستخرج" **هند بنت عبد الرحمن بن علي الطريقي** Doi: 10.33850/jasis.2019.44487	٦٧ – ١٠٤
تعيين الذبيح في ضوء القرآن الكريم **ناصر بن محمد بن سعود الحمد** Doi: 10.33850/jasis.2019.44488	١٠٥ – ١١٢
تفسير آيات من سورة هود (آيات ٣٦ – ٤٣) (تضمنت قصة سفينة نوح مع ذكر فوائد القصص وتكرارها في القران) **أحمد حميدان بن احمد الحميدان** Doi: 10.33850/jasis.2019.44489	١١٣ – ١٢٢
تفسير سورة التكاثر **ماجد بن عبدالله بن عبدالمحسن السلمان** Doi: 10.33850/JASIS.2019.44490	١٢٣ – ١٥٦
حديث: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبًا فَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَمْرًا حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ» دراسة حديثية **أَغْرون بن مِلَازم كرَاسْنِيجي** Doi: 10.33850/jasis.2019.44491	١٥٧ – ١٨٠
اختيارات ابن قُدامة المقدسي الفقهية من أول كتاب البيع إلى نهاية كتاب النفقات **خلود بنت إبراهيم القضيب** Doi: 10.33850/jasis.2019.44492	١٨١ – ٢٢٠

مصادر العلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناحي المعروف ببصيلة المتوفى سنة ١٣٥٢هـ في تفسيره الكنز الجليل على مدارك التنزيل **ماجد بن إبراهيم العباس** Doi: 10.33850/jasis.2019.44493	٢١١ – ٢٢١

افتتاحية العدد :

الحمد الله والصلاة والسلام على رسوله الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد فيقول علي بن أبي طالب (رضي الله عنه):

ما الفضلُ إلا لأهلِ العلمِ إنهمُ . . على الهُدى لمن استهدى أدِلاءُ

وقيمةُ المرءِ ما قد كان يحسنُهُ . . والجاهِلونَ لأهل العلمِ أعداءُ

فقمْ بعلمٍ ولا تطلبْ به بدلاً . . فالناسُ مَوْتى وأهلُ العلمِ أحياءُ

تم بفضل الله وعونه إصدار العدد الثامن من المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية التي تصدر ضمن سلسلة من المجلات العلمية المتخصصة عن المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، وقد حصلت المجلة في اعدادها الثلاث الأولى على معامل تأثير عربي (١.٣٨) لسنة ٢٠١٨ ، وقد خضعت الأبحاث المنشورة فى هذا العدد للتحكيم من قبل أساتذة متخصصين ومتميزين فى مجال تخصصهم، وحرصا من هيئة تحرير المجلة ومجلس إدارتها على المستوي العلمي لها سوف يتم نشر الأبحاث المتميزة دائما بها لتكون منارة جديدة للمتخصصين والباحثين فى مجال الدراسات الاسلامية والشرعية ، وقبلة علمية للباحثين العرب من مختلف أرجاء وطننا العربي الكبير من الخليج إلى المحيط، وإذ ندعو الباحثين الراغبين فى نشر أبحاثهم بها الالتزام بمعايير النشر بالمجلة والحرص على إجراء التعديلات والملاحظات التي يبديها المحكمين، ونأمل أن تكون الإعداد القادمة من المجلة أكثر ثراءا وجدة بفضل الله وعونه، والله ولى التوفيق.

هيئة التحريـــر

أقسامُ القلوبِ ، وعلاماتُها

اعداد

فهد بن حذيفة بن عبدالله الطوالة

Doi: 10.33850/jasis.2019.44484

الاستلام : ٢/ ٤ /٢٠١٩ القبول : ٥ / ٥ /٢٠١٩

مقدمة :

لما كان القلب يُوصف بالحياة وضِدِّها، ويُوصف أيضاً بالصَّلاح والفساد، انقسم بحسب ذلك إلى عِدَّة أقسام، وقد دلَّت النصوص الشرعية على هذا الانقسام، ومن هذه النصوص قوله تعالى: **(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤))** [الحج: ٥٣، ٥٤].

قال ابن تيمية رحمه الله -مُعلّقاً على الآية-: "جَعَلَ اللَّهُ الْقُلُوبَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ : قَاسِيَةً، وَذَاتَ مَرَضٍ، وَمُؤْمِنَةً مُخْبِتَةً ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا إمَّا أَنْ تَكُونَ جَامِدَةً لَا تَلِينُ لِلْحَقِّ اعْتِرَافًا وَإِذْعَانًا أَوْ لَا تَكُونُ يَابِسَةً جَامِدَةً .

فـ"الْأَوَّلُ" هُوَ الْقَاسِي وَهُوَ الْجَامِدُ الْيَابِسُ بِمَنْزِلَةِ الْحَجَرِ لَا يَنْطَبِعُ وَلَا يُكْتَبُ فِيهِ الْإِيمَانُ وَلَا يَرْتَسِمُ فِيهِ الْعِلْمُ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي مَحَلًّا لَيِّنًا قَابِلًا .

و"الثَّانِي" لَا يَخْلُو إمَّا أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ ثَابِتًا فِيهِ لَا يَزُولُ عَنْهُ لِقُوَّتِهِ مَعَ لِينِهِ أَوْ يَكُونَ لِينُهُ مَعَ ضَعْفٍ وَانْحِلَالٍ . فَالثَّانِي هُوَ الَّذِي فِيهِ مَرَضٌ وَالْأَوَّلُ هُوَ الْقَوِيُّ اللَّيِّنُ .

وَذَلِكَ أَنَّ الْقَلْبَ بِمَنْزِلَةِ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ كَالْيَدِ مَثَلًا فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ جَامِدَةً يَابِسَةً لَا تَلْتَوِي وَلَا تَبْطِشُ أَوْ تَبْطِشُ بِعُنْفٍ فَذَلِكَ مِثْلُ الْقَلْبِ الْقَاسِي أَوْ تَكُونَ ضَعِيفَةً مَرِيضَةً عَاجِزَةً لِضَعْفِهَا وَمَرَضِهَا فَذَلِكَ مِثْلُ الَّذِي فِيهِ مَرَضٌ أَوْ تَكُونَ بَاطِشَةً بِقُوَّةٍ وَلِينٍ فَهُوَ مِثْلُ الْقَلْبِ الْعَلِيمِ الرَّحِيمِ فَبِالرَّحْمَةِ خَرَجَ عَنْ الْقَسْوَةِ وَبِالْعِلْمِ خَرَجَ عَنْ الْمَرَضِ ؛ فَإِنَّ الْمَرَضَ مِنْ الشُّكُوكِ وَالشُّبُهَاتِ. وَلِهَذَا وُصِفَ مَنْ عَدَا هَؤُلَاءِ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِخْبَاتِ"[١].

حقيقة القلب السليم، وعلامات سلامته:

قال ابن رجب رحمه الله في شرحه لقوله ﷺ: **((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب))**، "فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه المحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح

(١) مجموع الفتاوى (٢٧١/١٣).

حركة قلبه. فإذا كان قلبه سليما، ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتَوَقٍّ للشبهات حذرا من الوقوع في المحرمات. وإن كان القلب فاسداً، قد استولى عليه اتباع هواه، وطلب ما يحبه، ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب"[٢].

فهذا الكلام من هذا الإمام يبين لنا أهمية سلامة القلب وصحته، وأن الجوارح تابعة له، والسؤال هنا ما المقصود بالقلب السليم؟

لقد ورد ذكر القلب السليم في موضعين من كتاب الله: في قوله تعالى: **(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩))** [الشعراء:٨٨، ٨٩]، وقوله تعالى: **(إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤))** [الصافات:٨٣، ٨٤]، فلا نجاة يوم القيامة إلا لصاحب هذا القلب، ولقد اختلفت عبارات السلف رحمهم الله في المراد بالقلب السليم.

يقول الإمام الطبري[٣]: "والذي عنى به من سلامة القلب في هذا الموضع هو سلامة القلب من الشَّكِّ في توحيد الله، والبعث بعد الممات"[٤].

ويقول البغوي[٥]: **(إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩))** [الشعراء: ٨٩]، "أي خالص من الشرك والشك"[٦].

وأما ابن كثير[٧] فجاء في تفسيره لقوله تعالى:**(إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩))** [الشعراء: ٨٩]، "أي سالم من الدّنس والشرك"[٨].

---

(٢) جامع العلوم والحكم (٧٤/١).

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كانت ولادته سنة أربع وعشرين ومائتين، بآمل طبرستان، كان إماما في فنون كثيرة، وتوفي يوم السبت في السادس والعشرين من شوال سنة عشر وثلاثمائة ببغداد، رحمه الله تعالى. انظر: وفيات الأعيان (١٩١/٤)، الأعلام للزركلي (٦٩/٦).

(٤) تفسير الطبري (٣٦٦/١٩).

(٥) أَبُو مُحَمَّدٍ الحُسَيْنِ بن مَسْعُوْدِ البَغَوِيّ، المُفَسِّرُ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، وَكَانَ سَيِّداً إِمَاماً، زَاهِداً قَانِعاً بِاليَسِيْرِ، تُوُفِّيَ: بِمَرْو الــرُّوْذ - مدينَةٍ مِنْ مَدَائِنِ خُرَاسَانَ - فِي شَوَّالٍ، سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَخَمْسِ مائَةٍ، وَعَاشَ بِضْعاً وَسَبْعِيْنَ سَنَةً - رَحِمَهُ اللهُ -. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٣٩/١٩).

(٦) تفسير البغوي (٤٧١/٣).

(٧) إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام عام ٧٠١، ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق عام ٧٧٤ هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٣٢٠/١).

(٨) تفسير ابن كثير (١٤٩/٦).

وقيل: القلب السليم أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وقال سعيد بن المسيب[٩]: القلب السليم: هو القلب الصحيح، وهو قلب المؤمن؛ لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قال الله: **(رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠))** [محمد: ٢٠].

ويقول السعدي: "والقلب السليم، معناه: الذي سلم من الشرك والشك، ومحبة الشر، والإصرار على البدعة والذنوب. ويلزم من سلامته مما ذكر، اتصافه بأضدادها، من الإخلاص، والعلم، واليقين، ومحبة الخير، وتزيينه في قلبه. وأن تكون إرادته ومحبته، تابعة لمحبة الله، وهواه، تابعا لما جاء عن الله"[١٠].

وقال في موضع آخر: "فأما القلب الصحيح فهو القلب السليم من جميع الآفات، وهو القلب الذي صحت وقويت قوته العلمية، وقوته العملية الإرادية، وهو الذي عرف الحق فاتّبعه بلا تردُّد، وعرف الباطل فاجتنبه بلا توقُّف، فهذا هو القلب الصحيح الحي السليم، وصاحبه من أولي النهى وأولي الحِجَا وأولي الألباب وأولي الأبصار، والمخبت لله والمنيب إليه"[١١].

يقول الغزالي عن هذا القلب وهو يقسم القلوب لثلاثة أقسام:"قلبٌ عُمِرَ بالتقوى، وزكا بالرياضة، وطَهُر عن خبائث الأخلاق.. وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى: **(وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨))** [الرعد:٢٨]"[١٢].

وأما ابن تيمية رحمه الله فقد بيّن معنى القلب السليم بقوله: "... بحيث لا يكون العبد مُلتفتا إلى غير الله ولا ناظرا إلى ما سواه، لا حُبَّاً له ولا خوفاً منه ولا رجاءً له، بل يكون القلب فارغاً من المخلوقات خاليًا منها لا ينظر إليها إلاَّ بنور الله، فبالحق يسمع وبالحق يُبصر، وبالحق يبطش، وبالحق يمشى، فيحب منها ما يحبه الله ويبغض منها ما يبغضه الله، ويوالى منها ما والاه الله، ويعادى منها ما عاداه الله، ويخاف الله فيها ولا يخافها في الله، ويرجو الله فيها ولا يرجوها في الله فهذا هو القلب السليم الحنيف الموحد المسلم، المؤمن العارف المحقق الموحد بمعرفة الأنبياء والمرسلين وبحقيقتهم وتوحيدهم"[١٣].

---

(٩) سعيد بن المسيّب بن حزن الْقرشِي المَخْزُومِي الْمدنِي عَالم أهل الْمَدِينَة بِلَا مدافعة، وُلد فِي خلَافَة عمر لأَرْبَع مضين مِنْهَا، كان من أعلم الناس بالنسب، توفيّ سنة أربع وَتِسْعين لِلْهِجْرَةِ. انظر: الوافي بالوفيات (١٦٣/١٥).

(١٠) تفسير السعدي (٥٩٣/١).

(١١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (٥٥/٢).

(١٢) إحياء علوم الدين (٤٦/٣).

(١٣) مجموع الفتاوى (٢٢٣/١٠).

ولقد عرّف ابن القيم القلب السّليم فقال: "وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم، والأمر الجامع لذلك : أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ومن كل شبهة تعارض خبره فسلم من عبودية ما سواه وسلم من تحكيم غير رسوله فسلم في محبة الله مع تحكيمه لرسوله في خوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه والذل له وإيثار مرضاته في كل حال والتباعد من سخطه بكل طريق وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده.

فالقلب السّليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما بل قد خلصت عبوديته لله تعالى: إرادةً ومحبةً وتوكلاً وإنابةً وإخباتاً وخشيةً ورجاءً وخلص عمله لله، فإن أحبَّ أحب في الله وإن أبغض أبغض في الله وإن أعطى أعطى لله وإن منع منع لله ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسوله ﷺ فيعقد قلبه معه عقدا محكما على الائتمام والاقتداء به وحده دون كل أحد في الأقوال والأعمال"[١٤].

وقال في موضع آخر: "وبالجملة فالقلب الصحيح: هو الذي همُّه كلُّه في الله، وحبه كله له، وقصده له، وبدنه له، وأعماله له، ونومه له، ويقظته له، وحديثه والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم على مراضيه ومحابِّه، الخلوة به آثر عنده من الخُلطة إلا حيث تكون الخُلطة أحب إليه وأرضى له، قرة عينه به، وطمأنينته وسكونه إليه"[١٥].

وقال ابن رجب: "فالقلب السليم هو السّالم من الآفات والمكروهات كلها وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته وخشية ما يباعد منه"[١٦].

وقال أيضاً: "والحاصل أن القلب السليم هو الصالح الذي لا ينفع يوم القيامة عند الله غيره، وهو أن يكون سليماً عن جميع ما يكرهه الله من إرادة ما يكرهه الله ويسخطه ولا يكون فيه سوى محبة الله وإرادته ومحبته ما يحبه الله وإرادة ذلك وكراهة ما يكرهه الله والنفور عنه"[١٧].

وبعد هذا العرض لأقوال السّلف في بيان المراد بالقلب السّليم، يظهر أنّ الأقرب في تعريف القلب السليم هو الذي سَلِم وخَلُص من كُلّ شُبهةٍ ومِنْ كُلّ شهوة، فحينئذٍ صار نقيّاً من جميع أمراض الشّبهات والشّهوات.

علامات القلب السليم:

إن للقلب السليم علامات كثيرة ذكرها أهل العلم وأشاروا إليها في كتبهم، ومن هذه العلامات ما ذكره العلامة بن القيم حيث قال:

---

(١٤) إغاثة اللهفان (٨/١).
(١٥) إغاثة اللهفان (٧٣/١).
(١٦) جامع العلوم والحكم (٧٥/١).
(١٧) فتح الباري (٢٠٨/١).

١ـ "ومن علامات صحة القلب أن يرتحل عن الدنيا حتى ينزل بالآخرة، ويحل فيها حتى يبقى كأنه من أهلها وأبنائها جاء إلى هذه الدار غريباً يأخذ منها حاجته ويعود إلى وطنه... وكلما صح القلب من مرضه ترحل إلى الآخرة وقرب منها حتى يصير من أهلها وكلما مرض القلب واعتل أثر الدنيا واستوطنها حتى يصير من أهلها"[١٨].

قال السعدي- متحدّثاً عن حال العبد مع الدّنيا -: "فمن تناولها من حلها، ووضعها في حقها، واستعان بها على ما خلق له من القيام بعبودية الله، كانت زادا له وراحلة إلى دار أشرف منها وأبقى، وتمت له السعادة الدنيوية والأخروية"[١٩].

٢ـ ومن علامات صحة القلب أنه لا يزال يحثُّ صَاحِبَهُ حتى ينيب إلى الله ويخبت إليه، ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلى محبوبه الذي لا حياة له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا برضاه وقربه والأنس به[٢٠].

قال ابن القيم: "فكيف بالمحبة التي هي حياة القلوب وغذاء الأرواح وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة إلا بها وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من الم العين إذا فقدت نورها والأذن إذا فقدت سمعها والأنف إذا فقد شمه واللسان إذا فقد نطقه بل فساد القلب إذا خلى من محبة فاطره وبارئه وإلهه الحق أعظم من فساد البدن إذا خلي منه الروح وهذا الأمر لا يصدق به إلا من فيه حياة"[٢١].

وفي موضعٍ آخر له يقول: "فاستقامة القلب بشيئين: (أحدها) أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب، فإذا تعارض حب الله تعالى الله وحب غيره سبق حب الله تعالى حب ما سواه فرتّب على ذلك مقتضاه (الأمر الثاني) الذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهي وهو ناشئ عن تعظيم الأمر والنهي وهو ناشيء عن تعظيم الآمر الناهي"[٢٢].

٣ـ ومن علامات صحة القلب: ألّا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته ولا يأنس بغيره إلا بمن يدلُّه عليه ويذكره به ويذاكره بهذا الأمر.

وقال في موضع آخر: "ولا سبيل إلى الأمان من ذلك ـ أي الهلاك والحرمان ـ إلا بدوام ذكر الله تعالى واللهج به وألّا يزال اللسان رطباً به وأن يتولى منزلة حياته التي لا غنى له عنها ومنزلة غذائه الذي إذا فقده فسد جسمه وهلك وبمنزلة الماء عند شدة العطش وبمنزلة اللباس في الحر والبرد وبمنزلة الكن في شدة الشتاء والسَّموم"[٢٣].

---

(١٨) إغاثة اللهفان (٧٠/١).
(١٩) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (٢٥٠/١).
(٢٠) انظر: إغاثة اللهفان (٧١/١).
(٢١) الجواب الكافي (١٦٨/١).
(٢٢) الوابل الصيب (١٥/١).
(٢٣) المصدر السابق (٦٧/١).

فحقيق بالعبد أن يُنزل ذكر الله منه بهذه المنزلة وأعظم فأين هلاك الروح والقلب وفسادهما من هلاك البدن وفساده؟ هذا هلاك لابد منه وقد يعقبه صلاح لابد وأما هلاك القلب والروح فهلاك لا يرجى معه صلاح ولا فلاح ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[٢٤].

٤- ومن علامات صحته: أنه إذا فاته وِرْدُه وجد لفواته ألما أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده.

٥- ومن علامات صحته: أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همُّه وغمُّه بالدنيا واشتدَّ عليه خروجه منها ووجد فيها راحته ونعيمه وقرت عينه وسرور قلبه.

٦- ومن علامات صحته: أن يكون همُّه واحداً وأن يكون في الله، فيكون قصدَه ربُّه في جميع شُؤونه.

٧- ومن علامات صحته: أن يكون أشحُّ بوقته أن يذهب ضائعاً من أشد الناس شُحاً بماله.

٨- ومنها: أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل، فيحرص على الإخلاص فيه والمتابعة والإحسان، ويشهد مع ذلك مِنَّة الله عليه فيه وتقصيره في حق الله[٢٥].

ومما ذكره أهل العلم أيضاً في علامات القلب السليم:

٩- الإقبال على القرآن الكريم تلاوة وتدبراً وعملاً: يقول السعدي في تفسير قوله تعالى: **(يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧))** [يونس:٥٧].

".. وهو هذا القرآن، شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادَّة عن الانقياد للشرع وأمراض الشبهات، القادحة في العلم اليقيني، فإن ما فيه من المواعظ والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، مما يجوب للعبد الرغبة والرهبة، وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، ونمتا على تكرار ما يرد إليها من معاني القرآن، أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس، وصار ما يرضي الله أحب إلى العبد من شهوة نفسه، وكذلك ما فيه من البراهين والأدلة التي صرفها الله غاية التصريف، وبينها أحسن بيان، مما يزيل الشبه القادحة في الحق، ويصل به القلب إلى أعلى درجات اليقين"[٢٦].

وقال صاحب تفسير البحر المديد: ".. لأن عُنْوان صحة القلب جمعُه على كلام الله وتدبر خطابه والتلذذ بسماعه"[٢٧].

قال ابن تيمية رحمه الله: "والقرآن شفاءٌ لما في الصدور، ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات، ففيه من البينات ما يزيل الحق من الباطل، فيزيل أمراض الشبهة

---

(٢٤) المصدر السابق (٦٧/١).
(٢٥) إغاثة اللهفان (٧٢/١).
(٢٦) تفسير السعدي (٣٦٦/١).
(٢٧) البحر المديد (٣٦٦/١).

المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه، وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة ما يوجب صلاح القلب فيرغب القلب فيما ينفعه ويرغب عما يضره، فيبقى القلب محباً للرشاد مبغضاً للغي بعد أن كان مريداً للغي مبغضاً للرشاد، فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة حتى يصلح القلب فتصلح إرادته ويعود إلى فطرته التي فطر عليها كما يعود البدن إلى الحال الطبيعي ويتغذى القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويؤيده كما يتغذى البدن بما ينميه ويقومه"[٢٨].

وقد ذكر ابن القيم أن القلب يتغذى من القرآن ويتربّى عليه فينمو ويزيد، فقال: "يتغذى القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويقويه ويؤيده ويفرحه ويسره وينشطه ويثبت ملكه كما يتغذى البدن بما ينميه ويقويه وكل من القلب والبدن محتاج إلى أن تربى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح فكما أن البدن محتاج إلى أن يزكو بالأغدية المصلحة له والحمية عما يضره فلا ينمو إلا بإعطائه ما ينفعه ومنع ما يضره فكذلك القلب لا يزكو ولا ينمو ولا يتم صلاحه إلا بذلك ولا سبيل له إلى الوصول إلى ذلك إلا من القرآن، وإن وصل إلى شيء منه من غيره فهو نزر يسير لا يحصل له به تمام المقصود"[٢٩].

وقال أيضاً: "وكذلك محبة كلام الله؛ فإنها من علامة محبة الله. وإذا أردت أن تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله ؛فانظر محبة القرآن من قلبك، والتذاذك بسماعه أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء بسماعهم؛ فإنه من المعلوم أن من أحبّ حبيباً كان كلامه وحديثه أحبّ شيءٍ إليه"[٣٠].

١٠- ترك الفواحش والمعاصي: فالذنوب أمراض القلوب، ودواء القلوب في ترك الذنوب. قال ابن تيمية: "وكذلك ترك الفواحش يزكو بها القلب. وكذلك ترك المعاصي فإنها بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن ومثل الدّغل في الزرع، فإذا استفرغ البدن من الأخلاط الرديئة كاستخراج الدم الزائد تخلصت القوة الطبيعية واستراحت فينمو البدن وكذلك القلب إذا تاب من الذنوب كان استفراغًا من تخليطاته حيث خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا فإذا تاب من الذنوب تخلصت قوة القلب وإراداته للأعمال الصالحة واستراح القلب من تلك الحوادث الفاسدة التي كانت فيه. فزكاة القلب بحيث ينمو ويكمل"[٣١].

---

(٢٨) أمراض القلب وشفاؤها (٤/١).
(٢٩) إغاثة اللهفان (٤٦/١).
(٣٠) الجواب الكافي (١٧٠/١).
(٣١) أمراض القلوب وشفاؤها لابن تيمية (٦/١).

وقال ابن القيم: "وحياة القلب بدوام الذكر وترك الذنوب كما قال عبدالله بن المبارك رحمه الله[٣٢]:

رأيت الذنوب تميت القلوب *** وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب *** وخير لنفسك عصيانها[٣٣]

إلى أن قال: فحياة القلب بدوام الذكر والإنابة إلى الله وترك الذنوب والغفلة الجاثمة على القلب والتعلق بالرذائل والشهوات المنقطعة عن قريب يضعف هذه الحياة ولا يزال الضعف يتوالى عليه حتى يموت"[٣٤].

١١ـ الأعمال الصالحة: فهي من علامات القلب السليم، يقول ابن تيمية: "وَالْعَمَلُ لَهُ أَثَرٌ فِي الْقَلْبِ مِنْ نَفْعٍ وَضُرٍّ وَصَلَاحٍ قَبْلَ أَثَرِهِ فِي الْخَارِجِ فَصَلَاحُهَا عَدْلٌ لَهَا وَفَسَادُهَا ظُلْمٌ لَهَا قَالَ تَعَالَى: **(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦))** [فُصِّلَت:٤٦][٣٥]، وقال في موضع آخر: فَصِحَّةُ القلب بالإيمان تحفظ بالمِثْل، وهو ما يورث القلب إيماناً من العلم النافع والعمل الصالح، فتلك أغذيةٌ له"[٣٦].

وقال ابن القيم: "فكذلك القلب لا تتم له حياته إلا بغذاءٍ من الإيمان والأعمال الصالحة تحفظ قوَّته"[٣٧].

١٢ـ أن يستقرّ بالقلب معرفة الله وعظمته، ومحبته، وخشيته، ورجاؤه، والتوكُّل عليه.

يقول ابن رجب: "فلا صلاح للقلوب حتى يستقر فيها معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكُّلُ عليه ويمتلئ من ذلك وهذا هو حقيقة التوحيد وهو معنى قول لا إله إلا الله فلا صلاح للقلوب حتى يكون إلهها الذي تألهه وتعرفه وتحبه وتخشاه هو إله واحد لا شريك له ولو كان في السموات والأرض إله يؤله سوى الله لفسدت بذلك السموات والأرض"[٣٨].

١٣ـ سلامة الصّدر من الحسد والضغائن والأحقاد، والرِّضى بما قسمه الله وقدّره، قال تعالى: **(وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا)** [الحشر:١٠].

---

(٣٢) عبدالله بن المبارك ابن واضح، أحد الأعلام، مولده في سنة ثمان عشرة ومئة. فطلب العلم وهو ابن عشرين سنة، مات سنة إحدى وثمانين ومائة رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٧٨/٨)، وفيات الأعيان (٣٤/٣) بتصرف.

(٣٣) ديوان الإمام عبدالله بن المبارك (٢٢/١).

(٣٤) مدارج السالكين (٢٦٣/٣).

(٣٥) مجموع الفتاوى (٩٨/١٠).

(٣٦) مجموع الفتاوى (٤٨/١٥٦).

(٣٧) الجواب الكافي (٧٥/١).

(٣٨) جامع العلوم والحكم (٧٥/١).

يقول السعدي: "ولهذا ذكر الله في الدعاء نفي الغل عن القلب، الشامل لقليل الغل وكثيره، الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين. فوصف الله من بعد الصحابة بالإيمان.. واجتهادهم في إزالة الغل والحقد عن قلوبهم لإخوانهم المؤمنين، لأن دعاءهم بذلك مستلزمٌ لما ذكرنا، ومتضمّنٌ لمحبة بعضهم بعضا.."[٣٩].

يقول ابن القيم: "الرّضى يفتح له باب السّلامة، فيجعل قلبَه سليماً نقيّاً من الغِشّ والدّغل والغلّ، ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم، كذلك وتستحيل سلامة القلب مع السخط وعدم الرضى، وكلما كان العبد أشد رضى كان قلبه أسلم فالخبث والدغل والغش قرين السخط، وسلامة القلب وبره ونصحه قرين الرضى، وكذلك الحسد هو من ثمرات السخط وسلامة القلب منه من ثمرات الرضى"[٤٠] .

وهناك علاماتٌ أخرى كثيرةٌ، كوجل القلب من الله سبحانه، وشدة خوفه منه، كما قال سبحانه: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢))** [الأنفال:٢].

ومنها: القشعريرة في البدن: ولين الجلود والقلوب عند سماع القرآن كما قال الله سبحانه: **(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣))** [الزُّمَر:٢٣].

ومنها: خشوع القلب عند ذكر الله سبحانه كما قال الله عز وجل: **(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦)** [الحديد:١٦].

ومنها: الإذعان للحق والإخبات له كما قال الله سبحانه: **(وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤))** [الحج:٥٤].

ومنها: كثرة الإنابة إلى الله كما قال الله سبحانه: **(مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣))** [ق:٣٣].

ومنها: السكينة والوقار، كما قال الله سبحانه: **(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤))** [الفتح:٤].

حقيقة القلب الميت، وعلامات موته:

([٣٩]) تفسير السعدي (٨٥١/١).

([٤٠]) مدارج السالكين (٢٠٧/٢).

الحديث هنا سيكون عن قلبَيْ الكافر والمنافق، البعيدة كلَّ البعد عن الوحي ونور الرسالة، فإنه قد جاء وصف القلب بالموت في عِدّة مواضع من كتاب الله كما في قوله تعالى: **(إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠))** [النمل:٨٠]، وقوله: **(أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢))** [الأنعام:١٢٢] . أيْ أَوَ مَنْ كَان كافراً ميّت القلب مغموراً في ظلمة الجهل، فهديناه لرشده ووفقناه للإيمان وجعلنا قلبه حيًّا بعد موته، مشرقاً مستنيراً بعد ظلمته[٤١].

ولمّا ذكر ابن القيم هذه الآيات الدالّة على موت قلوب الكفار قال: "فوصف الكافر بأنه ميت وأنه بمنزلة أصحاب القبور، وذلك أن القلب الحي هو الذي يعرف الحق ويقبله ويحبه ويؤثره على غيره، فإذا مات القلب لم يبق فيه إحساس ولا تمييز بين الحق والباطل ولا إرادة للحق وكراهة للباطل بمنزلة الجسد الميت الذي لا يحس بلذة الطعام والشراب وألم فقدهما"[٤٢].

وأما في حديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه- المتقدم فقد وصف القلب الميت بوصفين: قلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، فأما القلب الأغلف: فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس: فقلب المنافق عرف، ثم أنكر.

ويُوضِّح الغزالي المراد بهذا القلب فيقول: "القلب المخذول، المشحون بالهوى، المدنس بالأخلاق المذمومة والخبائث، المفتوح فيه أبواب الشياطين، المسدود عنه أبواب الملائكة"[٤٣].

ويُبيّن ابن تيمية المراد بهذا القلب بأنه: "الْجَامِدُ الْيَابِسُ بِمَنْزِلَةِ الْحَجَرِ لَا يَنْطَبِعُ وَلَا يُكْتَبُ فِيهِ الْإِيمَانُ وَلَا يَرْتَسِمُ فِيهِ الْعِلْمُ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي مَحَلًّا لَيِّنًا قَابِلًا"[٤٤].

وأمّا ابن القيم فقد قال عنه: "القلب الميّت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربّه ولا يعبده بأمره وما يحبُّه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذّاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظِّه، رضيَ ربُّه أم سخط، فهو مُتعبّدٌ لغير الله حُبّا وخوفاً، ورجاءً، ورِضاً، وسخطاً، وتعظيماً، وذُلّاً، إن أحبّ أحبّ لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فهواه آثر عنده وأحبُّ إليه من رِضا مولاه، فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه، فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور وبسكرة الهوى وحُبِّ العاجلة، مخمورٌ،

---

(٤١) انظر: إغاثة اللهفان (٢١/١).
(٤٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (٤١/١٧).
(٤٣) إحياء علوم الدين (٤٦/٣).
(٤٤) مجموع الفتاوى (٢٧١/١٣).

يُنادَى إلى الله وإلى الدار الا خرة من مكانٍ بعيد، ولا يستجيب للنّاصح، ويتّبع كُلَّ شيطان مريد، الدنيا تسخطه وترضيه، والهوى يُصِمُّه عمّا سوى الباطل ويُعميه"[٤٥].

وفي موضعٍ آخر أشار رحمه الله للقلب الميّت بقوله: "... قلبٌ خالٍ من الإيمان وجميع الخير، فذلك قلبٌ مُظلمٌ، قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه، لأنه قد اتّخذه بيتاً ووطناً، وتحكّم فيه بما يريد، وتمكّن منه غاية التّمكُّن"[٤٦].

ويُوضّح السعدي المراد بالقلب الميت بقوله: "وأما القلب القاسي فهو الذي لا يلين لمعرفة الحق، وإن عرفه لا يلين للانقياد له، فتأتيه المواعظ التي تلين الحديد وقلبه لا يتأثر بذلك، إما لقسوته الأصلية، أو لعقائد منحرفة اعتقدها ورسخ قلبه عليها، وصعب عليه الانقياد للحقّ إذا خالفها"[٤٧].

ولعل الأقرب في المراد بالقلب الميت والله أعلم أنه الخالي من الإيمان، والقاسي الذي لا يقبل الحق، ولا ينقاد له.

علامات موت القلب:

تقدم في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن المراد بالقلب الميت هو قلب الكافر والمنافق الذي غلفه الكبر، وهذا القلب لا نفع فيه ولا سبيل للإيمان إليه طالما حجبه صاحبُه بالكِبر إلا بمِنَّةٍ مِنَ الله عليه، فمن علامات موت هذا القلب:

١ـ أنه قد غلفه الرَّان فَخُتِمَ وطُبِعَ عليه، فهو مُقفلٌ عن كل خير، أعمى لا يبصر الهدى.

قال تعالى: **(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤))** [المطفِّفين:١٤].

وقال: **(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣))** [المنافقون:٣]

وقال: **(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤))** [محمد:٢٤] .

قال مجاهد[٤٨] رحمه الله: "الرّان أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الأقفال، والأقفال أشد ذلك كله"[٤٩]

قال تعالى: **(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤))** [محمد:٢٤]، أي بل ران على قلوب أقفالها، فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء من معانيه [٥٠].

---

(٤٥) إغاثة اللهفان (٩/١).

(٤٦) الوابل الصيب (٤٠/١).

(٤٧) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (٥٧/٢).

(٤٨) مجَاهِدُ بنُ جَبْرٍ، أَبُو الحَجَّاجِ المَكِّيُّ، روَى عَنِ: ابْنِ عَبَّاسٍ - فَأَكْثَرَ وَأَطَابَ - وَعَنْهُ أَخَذَ القُرْآنَ، وَالتَّفْسِيْرَ، وَالفِقْهَ، وأجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به، توفي سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمائَةٍ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٤٩/٤)، ميزان الاعتدال (٤٤٠/٣).

(٤٩) تفسير الطبري (٢٥٩/١).

(٥٠) انظر: تفسير ابن كثير (٣٢٠/٧).

٢ـ ومنها أنه لاهٍ غافل، قد أشرب حُبّ اللهو فاشتغل به ، قال: **(وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨))** [الكهف:٢٨][٥١]، أيْ لا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار بالكفر وغلبة الشقاء، واتّبع هواه، وتَرَكَ اتّباع أمر الله ونهيه، وآثَرَ هوى نفسه على طاعة ربه[٥٢].

يقول ابن القيم رحمه الله -مبيناً أثر الغفلة على القلب وإماتتها له-: "فالقحط الذي ينزل بالقلب هو الغفلة، فالغفلة هي قحط القلوب وجدبها، وما دام العبد في ذكر الله والإقبال عليه فغيث الرحمة ينزل عليه كالمطر المتدارك، فإذا غفل ناله من القحط بحسب غفلته قلةً وكَثرة، فإذا تمكّنت الغفلة منه، واستحكمت صارت أرضه خراباً ميتة، وسنته جرداء يابسة، وحريقُ الشّهوات يعمل فيها مِنْ كُلّ جانب كالسَّمائم"[٥٣][٥٤].

٣ـ ومنها أنه قاسٍ لا يقبل الحق، فالقلب القاسي هو اليابس الصلب الذي لا يقبل صورة الحق ولا تنطبع فيه[٥٥]، قال تعالى: **(فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢))** [الزُّمَر:٢٢]، والقسوة هي غلظة القلب وجفافه، وأصله من حجر قاس[٥٦]، وهي عِبارة عن خُلُوّها من الإنابة والإذعان لآيات الله[٥٧].

قوله تعالى: **(لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ)** ، أي يبُست وجفّت، وجَفاف القلب هو خروج الرحمة واللّين عنه، وقيل: غلظت، وقيل: اسودّت، من بعد ذلك، من بعد ظهور الدّلالات[٥٨]. ومعنى الآية: فويلٌ للّذين جفّت قلوبُهم ونأَت عن ذكر الله وأعرضت، يعني عن القرآن الذي أنزله تعالى ذِكْره، مُذكّراً به عباده، فلم يؤمن به، ولم يُصدِّق بما فيه[٥٩].

٤ـ ومنها تعلُّق القلب بغير الله عز وجل، يقول ابن تيمية رحمه الله: "كُلُّ مَنْ عَلَّقَ قَلْبَهُ بِالْمَخْلُوقَاتِ أَنْ يَنْصُرُوهُ أَوْ يَرْزُقُوهُ أَوْ أَنْ يَهْدُوهُ خَضَعَ قَلْبُهُ لَهُمْ ؛ وَصَارَ فِيهِ مِنْ الْعُبُودِيَّةِ لَهُمْ بِقَدْرِ ذَلِكَ؛ وَإِنْ كَانَ فِي الظَّاهِرِ أَمِيرًا لَهُمْ مُدَبِّرًا لَهُمْ مُتَصَرِّفًا بِهِمْ... فَإِنَّ أَسْرَ الْقَلْبِ أَعْظَمُ مِنْ أَسْرِ الْبَدَنِ وَاسْتِعْبَادَ الْقَلْبِ أَعْظَمُ مِنْ اسْتِعْبَادِ الْبَدَنِ"[٦٠].

---

(٥١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، لعبدالله الجربوع (٣٣٢/١).
(٥٢) انظر: تفسير الطبري (٨/١٨).
(٥٣) الريح الحارّة، الصحاح (١٩٥٤/٥).
(٥٤) أسرار الصلاة (٣/١).
(٥٥) انظر: شفاء العليل (١٠٥/١).
(٥٦) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني، (ص: ٤٠٤).
(٥٧) انظر: فتح القدير (١٥٨/١).
(٥٨) انظر: تفسير البغوي (١٣٢/١).
(٥٩) انظر: تفسير الطبري (٢٧٨/٢١).
(٦٠) رسالة العبودية (١٦/١).

والقلب لابُدَّ له من مُتعلَّق به، ويركن إليه، فمن لم يتعلّق بربّه وخالقه، وَكَلَه الله إلى غيره، يقول ابن القيم رحمه الله: "فإنّ القلب لابُدّ له من التعلُّق بمحبوب، فمن لم يكن اللهُ محبوبَه وإلهَه ومَعبُودَه، فلا بُدَّ أن يتعبَّد قلبُه لغيره[٦١].

٥ـ عدمُ الحُزن على ما فات من الطَّاعات، وتركُ النَّدم على ما فعله من الزَّلات، وقد جاء في الخبر **((مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ المُؤْمِنْ))**[٦٢]. فإذا لم يكن العبد بهذا الوصف فهو ميَّت القلب، لأن أعمال العبد الحسنة علامةٌ على وجود رضى الله عنه، وأن أعماله السيئة علامةٌ على وجود سخطه الله عليه.

٦ـ نسيان العبد ربَّه جل وعلا، والغفلة عنه: قال تعالى: **(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩))** [الحشر:١٩]. والحرمان كلُّ الحرمان ، أن يغفل العبد عن هذا الأمر، ويُشابه قوماً نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه، وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها، فلم ينجحوا، ولم يَحصُلوا على طائل، بل أنساهم الله مصالح أنفسهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها، فصار أمرهم فرطا، فرجعوا بخسارة الدَّارين، وغُبنوا غبناً، لا يمكنهم تداركه، ولا يُجبرُ كَسْرُه، لأنهم هم الفاسقون، الذين خرجوا عن طاعة ربهم وأوضعوا في معاصيه[٦٣].

يقول ابن القيم رحمه الله في معرض حديثه عن فضل الذِّكْرِ: "إنّ دوامَ ذِكْرِ الربِّ تبارك وتعالى يُوجب الأمانَ مِنْ نسيانه الذي هو سببُ شقاءِ العبد في معاشِه ومعادِه، فإنّ نسيان الربِّ سبحانه وتعالى يُوجِبُ نسيانَ نفسه ومصالحها ، وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها واشتغل عنها فهلكت وفسدت"[٦٤].

٧ـ نسيانُ الآخرة والانكبابُ على أشغال الدنيا، قال ابن القيم رحمه الله: "ومتى رأيت القلب قد ترحّل عنه حبِّ الله والاستعداد للقائه وحلَّ فيه حب المخلوق والرِّضا بالحياة الدُّنيا والطمأنينة بها، فاعلم أنه قد خُسِف به"[٦٥].

ولذلك فإنّ من جعل الدنيا همَّه، ناسياً آخرته، معرضاً عما خلق لأجله، فإنما يتعجل بذلك شقاءه، يقول السعدي رحمه الله ـ شارحاً لحديث:**((إن هذه الدنيا حلوة**

([٦١]) إغاثة اللهفان (٤٧/١).

([٦٢]) أخرجه الترمذي (٣٥/٤)، في كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في لزوم الجماعة، برقم (٢١٦٥)، وصححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (١٦٥/٥).

([٦٣]) تفسير السعدي (٨٥٣/١).

([٦٤]) الوابل الصيب (٦٧/١).

([٦٥]) بدائع الفوائد (٣٢٠/٤).

خضرة))[٦٦]: "أخبر ﷺ في هذا الحديث بحال الدنيا وما هي عليه من الوصف الذي يروق الناظرين والذائقين، ثم أخبر أن الله جعلها الدنيا محنة وابتلاء للعباد.... ومن جعلها أكبر همِّه، وغايةَ عِلمِهِ ومُرادِه، لم يُؤْتَ منها إلا ما كُتب له، وكان مآلُه بعد ذلك إلى الشَّقاء، ولم يهنأْ بلذاتِها ولا شهواتِها إلا مُدَّةً قليلة، فكانت لذَّاتُه قليلة، وأحزانُه طويلة"[٦٧].

٨. أُنسُ العبد بالخلق دون الخالق، ووحشته من الخلوةِ بربِّه، وافتقادُه لذَّة ذِكرِه ومناجاته، فإن حياة القلب بذكر ربه ومناجاته والخلوة به للعبادة والدعاء والتضرع، فمن كان مستوحشاً من هذه الحياة الطيبة فهو بسبب موت قلبه المنتكس الذي يعتقد نجاته فيما فيه عطبه، قال ذو النون[٦٨]: "ثلاثةٌ من علامات موت القلب: الأنس مع الخلق، والوحشة في الخلوة مع الله، وافتقاد حلاوة الذِّكر"[٦٩].

قال ابن القيم رحمه الله: "ومتى رأيتَ نفسَك تهربُ من الأُنسِ به إلى الأنس بالخلق، ومن الخلوةِ مع الله إلى الخلوةِ بغيره، فاعلم أنَّك لا تصلُحُ له"[٧٠].

٩ـ الإعراضُ عن كلام الله سبحانه، قال تعالى:(**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي (١٢٤)**)[طه: ١٢٤]، أي: خالف أمري، وما أنزلتُه على رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه (**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا (١٢٤)**)، أي: في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حَرَجٌ لضلاله، وإن تَنَعَّم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلقٍ وحيرةٍ وشكٍّ، فلا يزال في ريبة يتردد. فهذا من ضنك المعيشة[٧١]. قال ابن القيم رحمه الله في المراد بذكره في قوله:(**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي (١٢٤)** ، "فَذِكْرُهُ كَلامُهُ الذي أنزله على رسوله، والإعراض عنه تَركُ تدبُّره والعمل به"[٧٢].

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ هذا القلب قد يمنُّ الله عليه بالحياة بعد موته، وباللِّين بعد قسوته، وبالهداية بعد ضلاله، فالله على كل شيء قدير، ولا يأس من رَوْحِ الله.

---

(٦٦) أخرجه مسلم (٢٠٩٨/٤)، في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، وبيان فتنة النساء، برقم (٢٧٤٢).

(٦٧) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (٢٤٩/١).

(٦٨) أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري، الصالح المشهور، تُوُفِّي فِي ذِي القَعْدَةِ سَنَةَ ستٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَمائَتَيْنِ بمصر وَكَانَ مِنْ أَبْنَاءِ التِّسْعِيْنَ. انظر: وفيات الأعيان (٣١٥/١)، سير أعلام النبلاء (٥٣٣/١١).

(٦٩) شعب الإيمان (١٨٧/٢).

(٧٠) بدائع الفوائد (٣٢٠/٤).

(٧١) انظر: تفسير ابن كثير (٣٢٣/٥).

(٧٢) الفوائد لابن القيم (١٨٥/١).

يقول الله عز وجل: **(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧))** [الحديد:١٦].

أي: وكما نحيي هذه الأرض الميتة بعد دُروسها، كذلك نهدي الإنسان الضالَّ عن الحقِّ إلى الحقِّ، فنوفِّقه ونسددِّه للإيمان حتى يصير مؤمناً من بعد كُفره، ومهتدياً من بعد ضلاله[٧٣].

ففي هذه الآية إشارة إلى أنّه تعالى يُليِّن القلوبَ بعد قَسوتها، ويَهدي الحَيَارى بعد ضَلَّتها، ويُفرِّج الكروب بعد شدَّتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتَّان الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويُولج إليها النورَ بعد ما كانت مقفلةً لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال[٧٤]. فالذي أحيا الأرض بعد موتها بماء المطر قادر على أن يحيي القلوب الميتة بما أنزله من الحقّ على رسوله[٧٥].

وهذا من لطيف وسرِّ قدر الله سبحانه، بأنه يهدي عبده من الكفر للإيمان، ومن البدعة للسنَّة، ومن المعصية للطاعة، يقول ابن القيم رحمه الله: "ومما ينبغي أن يعلم أنه لا يمتنع مع الطّبع والختم والقفل حصول الإيمان بأن يفكَّ الذي ختم على القلب وطُبع عليه وضُرب عليه القفل ذلك الختم والطابع والقفل، ويهديه بعد ضلاله، ويُعلِّمه بعد جهله، ويُرشدُه بعد غيِّه، ويفتحُ قُفْلَ قَلْبِه بمفاتيح توفيقه التي هي بيده، حتى لو كُتب على جبينه الشقاوة والكفر لم يمتنع أن يمحوها ويكتب عليه السعادة والإيمان"[٧٦].

حقيقة القلب المريض وعلامات مرضه:

مرض القلب، إمّا أن يكون بسبب الشُّبهةِ كقوله تعالى: **(ﭐ ﭑ ﭒ)** [البقرة: ١٠]، وإمّا بسبب الشَّهوة كقوله تعالى: **(ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ)** [الأحزاب:٣٢][٧٧].

ولقد ورد ذكرُ مرض القلب في كتاب الله في اثني عشر موضعاً، وجاء في حديث أبي سعيد الخدري أن القلبَ المريضَ تمُدُّهُ مادَّتان؛ مادَّةُ إيمانٍ ومادَّةُ نِفَاق، وهو لما غلب منهما.

---

(٧٣) انظر: تفسير الطبري (١٨٩/٢٣).
(٧٤) انظر: تفسير ابن كثير (٢١/٨).
(٧٥) انظر: تفسير السعدي (٨٤٠/١).
(٧٦) شفاء العليل (٩٠/١).
(٧٧) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢٦/١٦).

وخُلاصة هذه الأدلّة أن سبب المرض إما نفاقٌ، وإمَّا ضعفُ إيمانٍ بسبب الشُّبهةِ أو الشهوةِ، والحديثُ هنا عن قلب المسلم العاصي.

وقد صوّر الغزالي حالة هذا القلب، وكأنّه في معركة بين جندين، وحزبين، كلٌّ منهما يريده تبعاً له، فيقول: "قلبٌ تبدو فيه خواطرُ الهوى، فتدعوه إلى الشرِّ فيلحقُه خاطرُ الإيمان فيدعوه إلى الخير، فتنبعث النَّفس بشهوتها إلى نُصرةِ خاطر الشرِّ، فتقوى الشهوةُ وتُحسِّنُ التمتُّع والتنعم، فينبعث العقلُ إلى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة، ويقبِّح فعلها، وينسبها إلى الجهل، ويشبهها بالبهيمة والسَّبُع في تهجُّمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب، فتميلُ النفس إلى نصح العقل، فيحملُ الشيطانُ حملةً على العقل فيقوى داعي الهوى.... فتميل النفس إلى الشيطان وتنقلب إليه، فيحملُ الملكُ حملةً على الشيطان.... فعند ذلك تمتثل النَّفس إلى قول الملك، فلا يزال يتردَّدُ بين الجُنْدين متجاذباً بين الحزبين إلى أن يغلب على القلب ما هو أولى به"[٧٨].

ويكون مرض القلب بسبب فسادٍ في التصوُّر، فيلتبس عليه الحقُّ والباطل، قال ابن تيمية رحمه الله: وكذلك مرض القلب هو نوع فساد يحصل له يفسد به تصوُّره، وإرادتُه فتصوُّره بالشُّبهات التي تَعرِض له حتى لا يرى الحقَّ، أو يراه على خلاف ما هو عليه، وإرادتُه بحيث يُبغض الحقَّ النافعَ، ويحُبَّ الباطلَ الضارَّ، فلهذا يُفسَّرُ المرضُ تارةً بالشَّكِّ والرَّيْب[٧٩].

وجعل ابن القيم رحمه الله سببَ مرضِ القلب هو خروجه عن صِحّته واستقامته بسبب الشُّبهة أو الشُّهوة، فقال: "ومرض القلب خروجٌ عن صِحّته واعتداله، فإنَّ صِحَّتهَ أن يكون عارفاً بالحقِّ محباً له مُؤثِراً له على غيره، فمرضُه إمّا بالشكِّ فيه وإمّا بإيثار غيره عليه، فمرضُ المنافقين مرضُ شكٍّ وريْب، ومرضُ العصاةِ مرضُ غَيٍّ وشهوة، وقد سمَّى الله سبحانه كُلًّا منهما مرضا"[٨٠].

وقال في موضعٍ آخر: "ومرض القلب أن يتعذّر عليه ما خلق له من معرفة الله ومحبته والشوق إلى لقائه والإنابة إليه وإيثار ذلك على كل شهوة.."[٨١].

ويقول أيضاً -مُبيِّناً حقيقة هذا القلب وتلك المواد التي تمدُّه-: "قلبٌ له حياةٌ وبه علَّة، فله مادَّتان تمُدُّه هذه مرة وهذه أخرى وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبَّة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه ما هو مادة حياته، وفيه من محبَّة الشهوات وإيثارِها والحرص على تحصيلها والحسد والكبر والعجب وحُبِّ العُلُّو والفساد في الأرض بالرياسة ما هو مادَّة هلاكِه وعطبه، وهو ممتحنٌ بين داعيين.... والقلب

([٧٨]) إحياء علوم الدين (٤٧/٣).
([٧٩]) مجموع الفتاوى (٩٤/١٠).
([٨٠]) شفاء العليل (٩٩/١).
([٨١]) إغاثة اللهفان (٦٨/١).

المريض إن غلب عليه مرضُه التحق بالميت القاسي، وإن غلبت عليه صِحَّتُه التحقَ بالسَّليم.."[٨٢].

ويتبيّن ممّا سبق من كلام العلماء في المراد بالقلب المريض أنّه المتردِّدُ بين السّلامة، والقساوة، تُمِدُّه مادَّة حياة، ومادَّة هلاكٍ، فيستجيب لما يغلب عليه منهما.

وقد يمرض القلب ويشتدُّ مرضُه، ولا يعرف به صاحبُه لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحَّته وأسبابِها، بل قد يموتُ وصاحبُه لا يشعر بموته، فأمراض القلوب أصعبُ من أمراض الأبدان، لأنَّ غايةَ مرضِ البدن أن يُفضي بصاحبه إلى الموت، وأمَّا مرضُ القلب فيفُضي بصاحِبه الى الشَّقاء الأَبدي[٨٣]. نعوذ بالله من ذلك.

وأمراض القلوب نوعان:

١ـ مرض الشُّبهات، يُصيب المعتقدات، ومنه يكون الكفر والنفاق، ومرضه هو نوع فساد يحصل للقلب يفسد به تصوُّره للحق، فلا يرى الحق حقاً، أو يراه على خلاف ما هو عليه، أو ينقص إدراكه له.

٢ـ مرض الشّهوات، يُصيب العواطف والرغبات، ومنه تكون المعاصي، ومرضه هو نوع فساد يحصل للقلب يفسد به إرادته للحق، فيبغض الحق النافع، أو يحب الباطل الضار[٨٤].

قال ابن تيمية: "فإنه كما تعرض الأمراض للأبدان، كذلك تعرض الأمراض للنفوس مرض الشّبهات والشّهوات"[٨٥].

وفي كتاب الله يُطلَق مرض القلب على هذين النوعين: يقول الشنقيطي[٨٦]: "وَاعْلَمْ أَنَّ مَرَضَ الْقَلْبِ فِي الْقُرْآنِ يُطْلَقُ عَلَى نَوْعَيْنِ: أَحَدُهُمَا : مَرَضٌ بِالنِّفَاقِ وَالشَّكِّ وَالْكُفْرِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْمُنَافِقِينَ **(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠))** [البقرة:١٠] الْآيَةَ، وَقَوْلُهُ هُنَا **(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣))** [الحج:٥٣]، أَيْ: كُفْرٌ وَشَكٌّ.

([٨٢]) إغاثة اللهفان (٩/١).

([٨٣]) انظر: مفتاح دار السعادة (١١١/١).

([٨٤]) انظر: إغاثة اللهفان (١٧/١).

([٨٥]) درء التعارض (٣٩١/٢).

([٨٦]) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا) . ولد عام ١٣٢٥هـ، وتعلم بها، واستقر مدرساً في المدينة المنورة ثم الرياض وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة، له كتب عديدة، وتوفي بمكة عام ١٣٩٣ هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٤٥/٦).

وَالثَّانِي: إِطْلَاقُ مَرَضِ الْقَلْبِ عَلَى مَيْلِهِ لِلْفَاحِشَةِ وَالزِّنَى، وَمِنْهُ بِهَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: **(فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢))** [الأحزاب:٣٢]، أَيْ : مَيْلٌ إِلَى الزِّنَا وَنَحْوِهِ"[٨٧].

قال ابن القيم: "إن القلب يعترضه مرضان يتواردان عليه إذا استحكما فيه كان هلاكه وموته، وهما مرض الشهوات ومرض الشبهات، هذان أصل داء الخلق إلا من عافاه الله"[٨٨].

وكذلك يقول السعدي في قوله: **(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا)** [البقرة:١٠]، والمراد بالمرض هنا: "مرض الشك والشبهات والنفاق، لأن القلب يعرض له مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله: مرض الشبهات الباطلة، ومرض الشهوات المردية، فالكفر والنفاق والشكوك والبدع، كلها من مرض الشبهات، والزنا، ومحبة الفواحش والمعاصي وفعلها، من مرض الشهوات، كما قال تعالى: **(فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ))** [الأحزاب:٣٢]، وهي شهوة الزنا، والمعافى من عوفي من هذين المرضين، فحصل له اليقين والإيمان، والصبر عن كل معصية، فرفل في أثواب العافية"[٨٩].

وقد أشار الله تعالى إلى أنّ هذين المرضين هما أساسُ فسادِ الدِّين بقوله : **(كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٩))** [التوبة:٦٩] .

قال ابن تيمية رحمه الله: "وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق، وبين الخوض، لأن فساد الدين، إما أن يقع بالاعتقاد الباطل، والتكلم به، أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحقِّ.

والأول هو البدع ونحوها، والثاني: فسق الأعمال ونحوها، والأول من جهة الشبهات، والثاني من جهة الشهوات.."[٩٠]، فبيَّن رحمه الله أنّ الفسادَ في القول والعمل أصلُه شبهةٌ، أو شهوةٌ قائمةٌ في القلب.

والقلب المريض بشبهة، أو شهوة محرمة فيه من صفات القلب الميّت بحسب ما فيه من المرض، فهو يتأثّر بأدنى شبهة وشهوة، ففيه من الرّان والقلق والقسوة والغفلة واللّهو ما يتناسب مع قوة المرض، إلا أنه لم يصل إلى درجة الختم والقفل والطبع، فهو

---

(٨٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/٢٩٠).
(٨٨) مفتاح دار السعادة (١/١١٠).
(٨٩) تفسير السعدي (١/٤٢).
(٩٠) اقتضاء الصراط المستقيم (٤/٢٦).

قلب مريض ينفع فيه العلاج بإذن الله، كما أنه في طريقه إلى الموت إن أُهمل علاجُه، واستمرّ به داؤه[٩١].

قال ابن القيم مُشيراً إلى هذا المعنى: "ولما كان البدن المريض يؤذيه ما لا يؤذي الصحيح: من يسير الحر والبرد والحركة ونحو ذلك، فكذلك القلب إذا كان فيه مرض آذاه أدنى شيءٍ من الشبهة أو الشهوة حيث لا يقوى على دفعهما إذا وردا عليه .... وبالجملة فإذا حصل للمريض مثل سبب مرضه زاد مرضه وضعفت قوته وترامى إلى التلف ما لم يتدارك ذلك بأن يحصل له ما يقوي قوته ويزيل مرضه"[٩٢].

وهناك من الأمراض ما هو مُركّب من مَرَضَيْ الشبهة والشهوة جميعاً، فهو يجمع بين التصوُّر الفاسد، والإرادة الباطلة، يقول ابن القيم رحمه الله: "وللقلب أمراض أخر من الرياء والكبر والعجب والحسد والفخر والخيلاء وحب الرياسة والعلو في الأرض، وهذا مرض مركب من مرض الشبهة والشهوة، فإنه لا بد فيه من تخيل فاسد وإرادة باطلة كالعجب والفخر والخيلاء والكبر المركب من تخيل عظمته وفضله وإرادة تعظيم الخلق له ومحمدتهم، فلا يخرج مرضه عن شهوة أو شبهة أو مركب منهما"[٩٣].

وأمراض الشُّبهات أخطر من أمراض الشّهوات، فهي تؤثر على اعتقاد العبد، وتورثه الرّيب والشُّكوك في دينه، ولذلك كثيرٌ من أصحابه ينافحون عن معتقداتهم، ظانّين أنهم على صواب، خلافاً لمرض الشهوة الذي يُدرِك العبد غالباً أنه مبتلى به، وتنفع معه المواعظ والتّذكير، وقد يتخلّص منه، قال ابن القيم: "فتنة الشبهات، وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد وقد ينفرد بإحداهما"[٩٤].

ويقول أيضاً وهو يورد الآيات الدالّة على هذين المرضين: "وقد ذكر الله تعالى هذين المرضين في كتابه، أمّا مرض الشّبهات وهو أصعبهما وأقتلهما للقلب"[٩٥].

علامات القلب المريض:

إن للقلب المريض علامات عديدة بينها أهل العلم في كتبهم، وسأشير هنا لبعضها ـ مع العلم أن كلَّ ما يقابل علامات القلب السليم يصلح أن يكون علامة للقلب المريض ـ.

فمن علامات مرض القلب:

١ـ أن يتعذّر على صاحبِ هذا القلبِ محبّةَ الله عز وجل فوق كُلِّ محبوبٍ، وإيثارَه، ومحبةَ الدار الآخرة، قال ابن القيم: "ومرض القلب أن يتعذّر عليه ما خلق له من معرفة الله ومحبته والشوق إلى لقائه والإنابة إليه وإيثار ذلك على كل شهوة، فلو عرف العبد كل

---

(٩١) انظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة (٣٣٨/١).
(٩٢) إغاثة اللهفان (١٨/١).
(٩٣) مفتاح دار السعادة (١١١/١).
(٩٤) إغاثة اللهفان (١٦٥/٢).
(٩٥) مفتاح دار السعادة (١١٠/١).

شيء ولم يعرف ربه فكأنه لم يعرف شيئا ولو نال كل حظ من حظوظ الدنيا ولذاتها وشهواتها ولم يظفر بمحبة الله والشوق إليه والأنس به فكأنه لم يظفر بلذة ولا نعيم ولا قرة عين"[٩٦].

وقال ابن رجب: "كُلُّ مَنْ أحبّ شيئاً وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لأجله وعادى لأجله، فهو عبده، وكان ذلك الشيء معبودَه وإلهه"[٩٧].

٢ـ أنّ صاحبَ القلب المريض لا تُؤلِمُه جِراحات المعاصي، فالجسد الحي يتألم بالجراحة إذا جرح بخلاف غيره، وهذا الألم الذي يحس به المؤمن عندما يقع في المعصية يدعوه إلى التوبة وإلى الرجوع وإلى الاستقامة على طريق الله عز وجل، كما قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١))** [الأعراف:٢٠١]، فقوله: **(تَذَكَّرُوا)** ، أي: عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعده ووعيده، فتابوا وأنابوا، واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب[٩٨].

٣ـ ألا يُوجعه جهله بالحق، ولا يتألّم بما يرِد على قلبه من عقائد باطلة، ومن شُبهةٍ مُضلّة، قال ابن القيم: "وقد يمرض القلب ويشتدُّ مرضُه، ولا يعرف به صاحبه لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح، ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة، فإن القلب إذا كان فيه حياة تألم بورود القبيح عليه وتألم بجهله بالحق بحسب حياته" [٩٩].

٤ـ استبدال صاحب هذا القلب الأغذيةَ النافعة لقلبه بالسُّموم الضارة، فيستبدل السُّنة بالبدعة، والطاعة بالمعصية، والذِّكر بالغفلة، قال ابن القيم: "إن من علامات أمراض القلوب عُدُولُها عن الأغذية النّافعة الموافقة لها إلى الأغذية الضّارة ... فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضّار المؤذي، والقلب المريض بضدّ ذلك"[١٠٠].

٥ـ ومن علامات مرض القلب كذلك أن يستوطنَ صاحبُه الدُّنيا ويرضى بها، وتصير الدُّنيا أكبرَ همّه ومبلغَ علمه، فلا يسعى للآخرة، قال تعالى ناهياً عباده عن الاغترار بالدنيا: **(فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣))** [لقمان:٣٣]، أي: فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذّاتها، فتميلوا إليها، وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم[١٠١].

---

(٩٦) إغاثة اللهفان (٦٨/١).
(٩٧) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، لابن رجب الحنبلي (ص: ٢٧).
(٩٨) انظر: تفسير ابن كثير (٥٣٤/٣).
(٩٩) إغاثة اللهفان (٦٨/١).
(١٠٠) المصدر السابق (٧٠/١).
(١٠١) انظر: تفسير الطبري (١٥٨/٢٠).

قال ابن القيم -مبيناً المراد بالعذاب- في قوله تعالى: **(فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥))** [التوبة:٥٥]، "والصواب والله أعلم أن يقال: تعذيبهم بها هو الأمر المشاهد من تعذيب طلاب الدنيا ومحبيها ومؤثريها على الآخرة، بالحرص على تحصيلها والتعب العظيم في جمعها ومقاساة أنواع المشاق في ذلك، فلا تجد أتعب ممن الدنيا أكبر همه وهو حريص بجهده على تحصيلها، والعذاب هنا هو الألم والمشقة والنصب.... ومن أبلغ العذاب في الدنيا: تشتيت الشمل، وتفريق القلب، وكون الفقر نصب عيني العبد لا يفارقه"[١٠٢].

٦ـ اتِّباع شهوات النّفس، والميل للحرام، فالقلب المريض يؤزُ صاحبَه لما تشتهيه نفسه، ولو كان فيه عطبُه وهلاكُه، يقول تعالى: **(وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧))** [النساء:٢٧]. فقوله:**(وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا)** ، أي: يميلون معها حيث مالت، ويقدمونها على ما فيه رضا محبوبهم، ويعبدون أهواءهم، من أصناف الكفرة والعاصين، المقدِّمين لأهوائهم على طاعة ربهم[١٠٣].

قال ابن الجوزي[١٠٤]: "رأيت ميل النفس إلى الشهوات زائداً في المقدار، حتى إنها إذا مالت، مالت بالقلب والعقل والذهن، فلا يكاد المرء ينتفع بشيء من النُّصح"[١٠٥].

٧ـ والجامع لهذه الأمراض هو اتّباع الهوى بغير هدى من الله، والمراد بالهوى هو كل ما لم يأت به الرسول ﷺ[١٠٦]، وفي ذلك يقول الله جل وجلاله: **(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣))** [الجاثية:٢٣]. فمن جعل ما يألهه هو ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه، أي جعل معبوده هو ما يهواه[١٠٧]. فاتّباع الهوى صادٌّ لصاحبه عن الحق، وطريق الرشاد، قال ابن القيم: "فإن اتّباع الهوى يصدُّ عن الحقّ ويُضلُّ عن سبيل الله"[١٠٨].

---

(١٠٢) إغاثة اللهفان (٣٦/١).
(١٠٣) انظر: تفسير السعدي (١٧٥/١).
(١٠٤) أَبُو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ عَلِيٍّ التَّيْمِيُّ، البَكْرِيُّ، البَغْدَادِيُّ، الحَنْبَلِيُّ، الوَاعِظُ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ. وُلِدَ: سَنَةَ تِسْعٍ -أَوْ عَشْرٍ- وَخَمْسِ مائَةٍ، صنف في فنون عديدة، وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٥/٢١)، وفيات الأعيان (١٤٢/٣).
(١٠٥) صيد الخاطر (٧١/١) .
(١٠٦) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤٨/١).
(١٠٧) انظر: إقامة الدليل على إبطال التحليل (٤٩٦/٥) .
(١٠٨) الصواعق المرسلة (٨٤٤/٣) .

وله أيضاً: "اتّباع الهوى وطول الأمد مادة كل فساد، فإن اتباع الهوى يعمى عن الحق معرفة وقصداً، وطول الأمل ينسي الآخرة ويصدُّ عن الاستعداد لها"[١٠٩].
وكذلك فإن اتّباع الهوى أعظم سبب في ضياع أمر القلب، حتى لا يقوى على فعل طاعة، أو اجتناب معصية، يقول ابن القيم: "وأعظم الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة، اضاعة القلب واضاعة الوقت، فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كلّه في اتباع الهدى والاستعداد للقاء، والله المستعان"[١١٠].
وقد ذكر رحمه الله في آخر كتابه الموسوم بروضة المحبين خمسين ثمرة وفائدة في مخالفة الهوى، وأن العطب في اتباع الهوى، ثم قال: "فالله سبحانه وتعالى المسؤول أن يعيذنا من أهواء نفوسنا الأمارة بالسوء، وأن يجعل هوانا تبعاً لما يحبه ويرضاه إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير"[١١١].
وهناك علامات عديدة لأنواع القلوب الثلاثة غير ما ذكر، لم أنقلها طلباً للاختصار، فاللهم نسألك قلوباً سليمة، ونعوذ بك من غيرها.

(١٠٩) الفوائد (٩٩/١).
(١١٠) الفوائد (١١٢/١).
(١١١) روضة المحبين (٤٨٦/١).

ثبت المصادر والمراجع

١. **إحياء علوم الدين:** لمحمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت.
٢. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ.
٣. **إعلام الموقعين عن رب العالمين:** لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
٤. **الأعلام:** لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر.
٥. **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان:** لمحمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٦. **أمراض القلوب وشفاؤها:** لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
٧. **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:** لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الفاسي، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.
٨. **بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار:** لأبي عبدالله، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي ال الدريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٩. **تعظيم قدر الصلاة:** لمحمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
١٠. **تفسير القرآن العظيم:** لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
١١. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** لعبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة،الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ
١٢. **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن:** لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى١٤٢٢هـ.
١٣. **روضة المحبين ونزهة المشتاقين:** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة ١٤٠٣هـ.

١٤.**سير أعلام النبلاء:** لشمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ.
١٥.**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل:** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨هـ
١٦.**صيد الخاطر:** لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى،١٤٢٥هـ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:** لمحمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ
١٧.**كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء):** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، دار الكتب العلمية – بيروت.
١٨.**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، تحقيق: محمد حامد الفقي دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
١٩.**معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي:** لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٢٠.**مجموع الفتاوى:** لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

علامات اليقين

اعداد
عبدالله بن علي بن عبدالله الرشيد

Doi: 10.33850/jasis.2019.44485
الاستلام : ٢/ ٤ /٢٠١٩ القبول : ٥ / ٥ /٢٠١٩

المُقَدِّمَة :

إن الحمدلله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ [آل عمران:١٠٢] ، يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء: ١] . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠ (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب : ٧٠ – ٧١]، أمَّا بَعدُ(١) :

فاليقين الذي يستقر في النفوس ويتمكن من القلوب يحدث تغييراً هائلاً في ضبط سلوك المرء وطريقة تفكيره وسلامة منهجه وتوازن فكره وثبات مبادئه؛ لذلك كانت

(١) هذه تسمى خطبة الحاجة، وقد وردت عن بعض الصحابة منهم: عبدالله بن مسعود وأبو موسى الأشعري، وعبدالله بن عباس، وجابر بن عبدالله، ونُبيط بن شريط، وعائشة وسهل بن سعد ﷺ . وقد رواها أهل السنن وغيرهم. ينظر: (خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني : . وقد كان السلف الصالح يقدمونها بين يدي دروسهم وكتبهم ومختلف شؤونهم، فكانوا يفتتحون كتبهم بهذه الخطبة، كما صنع الإمام أبو جعفر الطحاوي (ت٣٢١هـ) حيث قال في مقدمة كتابه "شرح مشكل الآثار" (ص٦-٩): "وأبتدئ بما أمر ﷺ بابتداء الحاجة، مما قد روي عنه بأسانيد أذكرها بعد ذلك إن شاء الله: إن الحمدلله ..." ثم ذكرها بتمامها . وقد جرى على هذا النهج أيضاً شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية فهو يكثر من ذلك في مؤلفات، كما لا يخفى على من له عناية بها، ومن الخير للمسلم أن يعود لسانه قولها، وقلمه كتابتها بين يدي كلامه .

عناية الإسلام بهذا الأصل كبيرة فجعل تحقيقه يوصل إلى أعلى الرتب الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (البقرة: ٣ – ٥) ، وحكم على من تردد وشك بالخروج والمروق، فهو لا يرضى لأتباعه أن يكونوا في حال تردد وارتياب، بل في حال اطمئنان وثبات وثقة تامة بصدق ما جاء به .

"واليقين في الجملة متعلقه الاعتقاد، وذلك أن مجمل الإيمان القلبي هو الإيمان بالغيب، فإذا رسخ هذا الإيمان وارتقى عن الشكوك حتى يصبح كالمعاينة فهو اليقين .

اليقين أصلٌ عظيم من أصول الإيمان يقول الواحدي [٢] : :"واليقين أعلى مراتب الإيمان"[٣]. واليقين أعلى درجات أعمال القلوب فهو الباعث على الأعمال الصالحة؛ لأنه استقرار العلم الجازم في القلب مع الطمأنينة والتسليم بما جاء عن الله تعالى ورسوله ﷺ والثبات على الدين .

يقول ابن القيم : : "وهو – أي اليقين - من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر المشمرون، وعمل القوم إنما كان عليه وإشارتهم كلها إليه؛ فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية، وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره "[٤]. فاليقين أساس عبادات البواطن ؛ لأن "القلب هو منبع اليقين ومصب الإيمان "[٥]، كذلك فإن "القلوب وعاء اليقين الإيماني" [٦] .

واليقين أفضل ما ألقي في القلب، فقد قال ابن مسعود س : (وخير ما ألقي في القلب اليقين)[٧] . وقد روي عن ابن عباس ب مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: (خير الزاد التقوى وخير ما ألقي في القلب اليقين) [٨] . وبقوة اليقين تقوى الأعمال القلبية، وأعمال الجوارح يقول ابن القيم : : "واليقين والمحبة هما ركنا الإيمان، وعليهما ينبني وبهما

---

(٢) هو الإمام العلامة أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، صنف التفاسير الثلاثة "البسيط" و "الوسيط" و "الوجيز"، وبتلك الأسماء سمى الغزالي تواليفه الثلاثة في الفقه، توفي سنة ٤٦٨ هـ. انظر ترجمته في: [سير أعلام النبلاء ٣٣٩/١٨-٣٤٢ ، شذرات الذهب ٣٣٠/٣].

(٣) التفسير الوسيط (٣/ ١٢٧٤) .

(٤) مدارج السالكين (٢٢٠/٣ - ٢٢١) باختصار .

(٥) تفسير الشعراوي (٤١١/١).

(٦) تفسير الشعراوي (٤٢٦٦/٧).

(٧) حلية الأولياء (١٣٨/١) .

(٨) رواه أبو الشيخ في الثواب ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٨٩٠) والضعيفة (٤٩/٨) رقم (٣٥٦٥).

قِوامُه، وهما يمدان سائر الأعمال القلبية والبدنية، وعنهما تصدر وبضعفهما يكون ضعف الأعمال، وبقوتهما قوتها، وجميع منازل السائرين ومقامات العارفين إنما تصح بهما، وهما يثمران كل عمل صالح وعلم نافع وهدىً مستقيم"[٩] .

وللیقين علاماتٌ تدل على وجود اليقين في قلب العبد، وأخرى تدل على زيادته وقوته وكماله.

وهنا يرد تساؤل وهو: هل يعلم العبد أنه وصل إلى مرحلة اليقين؟

يقول شيخ الإسلام : : "العلم واليقين يجده الإنسان من نفسه كما يجد سائر إدراكاته وحركاته مثلما يجد سمعه وبصره وذوقه ، فهو إذا رأى الشيء يقيناً يعلم أنه رآه ، وإذا علمه يقيناً يعلم أنه علمه ، وأما إذا لم يكن مستيقناً فإنه لا يجد ما يجده العالم ، كما إذا لم يستيقن رؤيته لم يجد ما يجده الرائي وإنما يكون عنده ظن ونوع إرادة توجب اعتقاده"[١٠] .

وأما تزكية النفس باستكمال اليقين وقوته فإنه"لا يجوز لإنسان أن يدعي اليقين الكامل، وأما من منَّ الله تعالى عليه بشيء من اليقين فليحمد الله عليه، ولا بأس أن يحدث به، وترك ذلك أولى، ومن يقول: إن لدي اليقين الكامل، فهذا مثل أن يقول أنا مؤمن كامل الإيمان، وقد أنكرها السلف على من قالها إنكاراً شديداً "[١١] .

"وأما الحكم على الغير باليقين، فهذا جزء من الشهادة، كمن تشهد له بالإيمان أو باليقين، فإن علمت ذلك ورأيت أماراته وعلاماته، فلا بأس أن تقول أحسبه من المتقين أو من الموقنين، أحسبه والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً "[١٢] .

وذلك لأن الإيمان باطنٌ في القلب لا يطلع عليه إلا الله تعالى واليقين أصلٌ عظيمٌ وشعبةٌ عليا من أصول الإيمان، ويدل على ذلك حديث سعد بن أبي وقاص س في الصحيحين (أن النبي ﷺ أعطى رهطاً، وسعدٌ جالس، فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إليَّ، فقلت: يا رسول الله ! ما لك عن فلانٍ فوالله إني أراه مؤمناً؟ فقال: أو مسلماً؟ فسكت قليلاً ثم غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسولَ الله ! ما لك عن فلانٍ ؟ فوالله إني أراه مؤمناً، قال: أو مسلماً؟ فسكت قليلاً ثم غلبني ما أعلم منه، فعدتُ لمقالتي، وعاد رسول الله ﷺ ثم قال: يا سعد، إني لأعطي الرجل، وغيره أعجبُ إليَّ منه، خشية أن يكبَّه الله في النار)[١٣] .

---

(٩) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٣٦) .
(١٠) جامع المسائل (١/ ٢٤٠) .
(١١) سلسلة أعمال القلوب للدكتور سفر الحوالي (ص ٧٧) .
(١٢) المرجع السابق (ص ٨٣) .
(١٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، حديث رقم

قال ابن رجب : في شرح هذا الحديث: "والظاهر والله أعلم أن النبي ﷺ زجر سعداً عن الشهادة بالإيمان؛ لأن الإيمان باطنٌ في القلب لا اطلاع للعبد عليه، فالشهادة به شهادة على ظن، فلا ينبغي الجزم بذلك كما قال: (إن كنت مادحاً لا محالة، فقل: أحسِبُ فلاناً كذا، ولا أزكي على الله أحداً)[١٤] .

وأمره أن يشهد بالإسلام؛ لأنه أمر مطلع عليه؛ كما في المسند عن أنس س مرفوعاً: (الإسلام علانية والإيمان في القلب)[١٥] .

ولهذا كره أكثر السلف أن يطلق الإنسانُ على نفسه أنه مؤمن، وقالوا: هو صفة مدح، وتزكيةٌ للنفس، بما غاب من أعمالها، وإنما يشهد لنفسه بالإسلام لظهوره فأما حديث: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان) فقد خرجه أحمد [١٦] والترمذي [١٧] وابن ماجه [١٨] من حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعاً .

وقال أحمد: هو حديث منكر، ودراجٌ له مناكير "[١٩] .

ـ ولليقين علامات يعرف بها منها:

١ـ **العلامة الأولى من علامات اليقين:** الإيمان بالغيب كما قال تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ [البقرة: ٤].

يقول ابن عاشور : في تفسير هذه الآية: "عطف صفة ثانية وهي : ثبوت إيمانهم بالآخرة أي: اعتقادهم بحياة ثانية بعد هذه الحياة، وإنما خص هذا الوصف بالذكر عند الثناء عليهم من بين بقية أوصافهم؛ لأنه ملاك التقوى والخشية التي جعلوا موصوفين

---

(٢٧) ومسلم في كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه، حديث رقم (١٥٠) .

(١٤) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب إذا زكى رجلٌ رجلاً كفاه، حديث رقم (٢٦٦٢) ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراطٌ وخيف منه فتنة على الممدوح، حديث رقم (٣٠٠٠) عن أبي بكرة س .

(١٥) أخرجه أحمد في المسند (١٩/ ٣٧٤) حديث رقم (١٢٣٨١) وضعفه محققو المسند، وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/٥٨٠ ـ ٥٨١) رقم (٣٠٩٥٥)، وأبو يعلى في مسنده (٥/٣٠١ ـ ٣٠٢) حديث رقم (٢٩٢٣) وضعفه الألباني في الضعيفة (٤/ ٩٤٤) رقم (٦٩٠٦) وضعيف الجامع رقم (٢٢٨٠) .

(١٦) أخرجه أحمد في المسند (١٨/١٩٤) حديث رقم (١١٦٥١) وضعف إسناده محققو المسند

(١٧) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم (٢٦١٧).

(١٨) أخرجه ابن ماجه في كتاب المساجد والجماعة، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، حديث رقم (٨٠٢) وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ١١٤) حديث رقم (٢٠٣).

(١٩) فتح الباري (١/ ١٣٨ ـ ١٣٩).

بها؛ لأن هذه الأوصاف كلها جارية على ما أجمله الوصف بالمتقين؛ فإن اليقين بدار الثواب والعقاب هو الذي يوجب الحذر والفكرة فيما ينجي النفس من العقاب وينعمها بالثواب؛ وذلك الذي ساقهم إلى الإيمان بالنبي ﷺ ؛ ولأن هذا الإيقان بالآخرة من مزايا أهل الكتاب من العرب في عهد الجاهلية؛ فإن المشركين لا يوقنون بحياة ثانية فهم دهريون"(٢٠) .

ويقول أبو حيان الأندلسي (٢١) : في تفسير هذه الآية : "وأكد أمر الآخرة بتعلق الإيقان بها الذي هو أجل وآكد مراتب العلم والتصديق، فذكر أن الإيمان والعلم بالأخرة لا يكون إلا إيقاناً لا يخالطه شيء من الشك والارتياب، وغاير بين الإيمان بالمنزل والإيمان بالآخرة في اللفظ لزوال كلفة التكرار، وكان الإيقان هو الذي خص بالآخرة؛ لكثرة غرائب متعلقات الآخرة، وما أعد فيها من الثواب والعقاب السرمديين، وتفصيل أنواع التنعيم والتعذيب، ونشأة أصحابها على خلاف النشأة الدنيوية ورؤية الله تعالى؛ فالآخرة أغرب في الإيمان بالغيب من الكتاب المنزل؛ فلذلك خص بلفظ الإيقان؛ ولأن المنزل إلى الرسول ﷺ شاهد أو كالشاهد، والآخرة غيب صرف فناسب تعليق اليقين بما كان غيباً صرفاً"(٢٢) .

"وحقيقة الإيمان هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحسِّ، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر، إنما الشأنُ في الإيمان بالغيب الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به، لخبر الله وخبر رسوله ﷺ.

فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر؛ لأنه تصديق مجرد لله ورسله. فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله سواء شاهده أو لم يشاهده، وسواء فهمه وعقله، أو لم يهتدِ إليه عقله وفهمه، بخلاف الزنادقة والمكذبين بالأمور الغيبية لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتدِ إليها فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه؛ ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم؛ وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى الله.

---

(٢٠) التحرير والتنوير (١/ ٢٣٩) .

(٢١) هو محمد بن يوسف بن علي أبو حيان الغرناطي الأندلسي، ولد سنة ٦٥٤هـ في غرناطة وارتحل إلى مالقة وتنقل إلى أن أقام في القاهرة وتوفي فيها بعد أن كف بصره وكان عالماً بالتفسير والحديث والعربية متفنناً توفي سنة ٧٤٥هـ. انظر ترجمته في: [الدرر الكامنة ٣٠٢/٤ ، الأعلام ١٥٢/٧].

(٢٢) البحر المحيط (١٦٧/١ ـ ١٦٨).

ويدخل في الإيمان بالغيب، الإيمان بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلة وأحوال الآخرة وحقائق أوصاف الله وكيفيتها وما أخبرت به الرسل من ذلك، فيؤمنون بصفات الله ووجودها، ويتيقنونها وإن لم يفهموا كيفيتها"[٢٣] .

٢- **العلامة الثانية من علامات اليقين:** الصبر عند المصائب والرضا بقضاء الله وقدره

قال سفيان الثوري[٢٤] : : "اليقين أن لا تتهم مولاك في كل ما أصابك"[٢٥] ؛ لأن الجزع والسخط منافٍ لليقين فالموقِن يعلم أن ما أصابه بقضاء الله وقدره؛ فلا يجزع ويسخط وقوة اليقين من قوة التوحيد. "فالاطمئنان إنما يكون عن ثلج اليقين وشرح الصدر بمعرفة التوحيد"[٢٦] .

قال شيخ الإسلام : "وكلما قوي التوحيد في قلب العبد قوي إيمانه وطمأنينته وتوكله ويقينه"[٢٧] .

وقال النهرجوري[٢٨] : "إذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة والرخاء عنده مصيبة "[٢٩] .

فاليقين سببٌ لتهوين المصائب، كما في الدعاء المأثور عن النبي ﷺ : (ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصيبات الدنيا)[٣٠] .

وفي حديث ابن عباس ب مرفوعاً: (يا غلام احفظ الله يحفظك ... الحديث وفيه :قلت يا رسول الله كيف لي بمثل ذلك من اليقين حتى أخرج من الدنيا ؟ قال :تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك)[٣١] ، وفي رواية: (فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فإن لم تستطع فاصبر فإن الصبر على ما تكره خيراً كثيراً)[٣٢].

---

(٢٣) تيسير الكريم الرحمن (ص٢٩).

(٢٤) هو الإمام الكبير أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ولد سنة ٩٧هـ وتوفي سنة ١٦١هـ ولد ونشأ في الكوفة وسكن مكة وتوفي بالبصرة وهو إمام في علم الحديث وغيره من العلوم وفقيه مجتهد أجمع الناس على دينه وزهده وورعه. انظر ترجمته في: [وفيات الأعيان ٣٨٦/٢-٣٩١، سير أعلام النبلاء ٢٢٩/٧-٢٧٩، الأعلام ١٠٤/٣-١٠٥].

(٢٥) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٩).

(٢٦) مفاتيح الغيب للرازي (١٥/ ٩٦).

(٢٧) الفتاوى (٣٥/٢٨).

(٢٨) هو إسحاق بن محمد النهرجوري "نسبة إلى نهر جور قرية بالقرب من الأهواز" أبو يعقوب من علماء الصوفية، رحل إلى الحجاز وأقام مجاوراً بالحرم سنين كثيرة، توفي سنة ٣٣٠هـ في مكة. انظر ترجمته في: [سير أعلام النبلاء ٢٣٢/١٥-٢٣٣، الأعلام ٢٩٦/١].

(٢٩) مدارج السالكين (٢٢٤/٣).

(٣٠) رواه الترمذي عن ابن عمر ب في كتاب الدعوات باب (٨٠) حديث رقم (٣٥٠٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٣١) أخرج هذه الرواية الآجري في الشريعة (٨٣١/٢) رقم (٤١٢) وأصل الحديث عند

قال ابن رجب : معلقاً على هاتين الروايتين: "ومعنى هذا: أن حصول اليقين للقلب بالقضاء السابق والتقدير الماضي: يعين العبد على أن ترضى نفسه بما أصابه، فمن استطاع أن يعمل في اليقين بالقضاء والقدر على الرضا بالمقدور فليفعل، فإن لم يستطع الرضا، فإن الصبر على المكروه خيراً كثيراً"(٣٣) .

والرضا بما قسم الله من الأرزاق، وعدم الخوف من الفقر دليلٌ على قوة اليقين، قال تعالى: وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [الحديد: ١٠] .

"فهذا بيان لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم من السبق، وقوة اليقين، وتحري الحاجات؛ حثاً على تحري الأفضل منها بعد الحث على الإنفاق"(٣٤) .

وأما عدم الرضا بما قسم الله للعبد من رزق؛ فهذا من ضعف اليقين، ففي قوله تعالى: فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ [القصص: ٧٩] .

يقول ابن عاشور : : "والذين يريدون الحياة الدنيا لما قوبلوا بالذين أوتوا العلم كان المعني بهم عامة الناس وضعفاء اليقين الذين تلهيهم زخارف الدنيا عما يكون في مطاويها من سوء العواقب فتقصر بصائرهم عن التدبر إذا رأوا زينة الدنيا فيتلهفون عليها ولا يتمنون غير حصولها فهؤلاء وإن كانوا مؤمنين إلا أن إيمانهم ضعيف فلذلك عظم في عيونهم ما عليه قارون من البذخ فقالوا: يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ "(٣٥) .

لأن من علامات اليقين :

"الثقة بضمان الله سبحانه وتعالى بالرزق في قوله تعالى: وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ[هود: ٦] واليقين بأن ذلك يأتيه، وأن ما قُدِّر له سينساق إليه، أو مهما غلب ذلك على قلبه، كان مجملاً في

الترمذي في كتاب القيامة والرقائق، باب رقم (٥٩) وحديث رقم (٢٥١٦) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٣٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٤١).

(٣٣) جامع العلوم والحكم (ص ٣٦٥) .

(٣٤) انظر :تفسير البيضاوي (٢/ ٤٦٧).

(٣٥) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٨٣).

الطلب، ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على ما يفوته، وأثمر هذا اليقين أيضاً جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة"[٣٦] .

ومن علامات قوة يقين العبد:

"أن يعلم أن منع الله سبحانه وتعالى لعبده المؤمن عطاء، وابتلاءه إياه عافية، قال سفيان الثوري: (منعه عطاء وذلك: أنه لم يمنع عن بخل ولا عدم، وإنما نظر في خير عبده المؤمن فمنعه اختياراً وحسن نظر). فإنه سبحانه لا يقضي لعبده المؤمن قضاء إلا كان خيراً له، ساءه ذلك القضاء أو سره، فقضاؤه لعبده المؤمن المنع: عطاءً، وإن كان في صورة المنع، ونعمة وإن كان في صورة محنة، وبلاؤه عافية، وإن كان في صورة بلية ولكن لجهل العبد وظلمه لا يعد العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذ به في العاجل، وكان ملائماً لطبعه ولو رزق من المعرفة حظاً وافراً لعدَّ المنع نعمة، والبلاء رحمة، فالعاقل الراضي: من يعد البلاء عافية، والمنع نعمة، والفقر غنى، وقال بعض العارفين: ارضَ عن الله في جميع ما يفعله بك، فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك، فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفة عين، فتسقط من عينه"[٣٧] .

٣- **العلامة الثالثة من علامات اليقين:** محبة لقاء الله تعالى ، ففي حديث عبادة بن الصامت س أن الرسول ﷺ قال: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)[٣٨] . وروي في الحديث: (اللهم حبب الموت إلى من يعلم أني رسولك)[٣٩] .

قال المناوي : في شرحه لهذا الحديث: "لأن النفس إذا أحبت الموت أنست بربها، ورسخ يقينها في قلبها، وإذا نفرت منه: نفر اليقين فانحط المرء عن منازل المتقين، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه وعكسه بعكسه"[٤٠] .

وبعد أن ذكر ابن القيم : درجات اليقين قال: "وعلامة هذا: انشراح الصدر لمنازل الإيمان وانفساحه، وطمأنينة القلب لأمر الله، والإنابة إلى ذكر الله، ومحبته والفرح بلقائه، والتجافي عن دار الغرور"[٤١] .

---

(٣٦) إحياء علوم الدين (١/ ٢٧٦) .

(٣٧) مدارج السالكين (٢/٥٢٣ ـ ٥٢٥).

(٣٨) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، حديث رقم (٦٥٠٧) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، حديث رقم (٢٦٨٣) .

(٣٩) رواه الطبراني عن أبي مالك الأشعري ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٤٠٤): "فيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف "، وضعف الحديث الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم (١٢٠٧).

(٤٠) فيض القدير (٢/١٤١).

٤- **العلامة الرابعة من علامات اليقين:** أن يتقي العبد الشبهات لكي يسلم دينه، كما في حديث النعمان بن بشير ب مرفوعاً: (فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه)[٤٢].
وكذلك روى الحسن بن علي ب أن النبي ﷺ قال: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)[٤٣].
وعن أبي أمامة س أن النبي ﷺ قال : (إذا حاك في نفسك شيء فدعه)[٤٤].
"والذي يشرح الله صدره بنور اليقين ويُعلي قدره في المعارف تكون له ملكة للإدراك القلبي ويقوى على التفرقة بين الوارد الرحماني والوسواس الشيطاني"[٤٥].
وجاء في حديث واثلة بن الأسقع س وفيه: أن النبي ﷺقال له: (جئت تسأل عن اليقين والشك) قال: قلت هو ذاك يا رسول الله، قال: (فإن اليقين ما استقر في الصدر واطمأن إليه القلب وإن أفتاك المفتون، دع ما يريبك إلى مالا يريبك، فإن الخير طمأنينة والشك ريبة، وإذا شككت فدع ما يريبك إلى مالا يريبك)[٤٦].
"والقلب يتوارده جيشان من الباطل: جيش شهوات الغيِّ وجيشُ شبهات الباطل، فأيما قلبٍ صفا إليها وركن إليها تشرَّبها وامتلأ بها، فينضحُ لسانه وجوارحه بمُوجَبها، فإن أُشرب شبهات الباطل تفجرت على لسانه الشكوك والشبهات والإيرادات فيظنُّ الجاهلُ أن ذلك لسعة علمه، وإنما ذلك من عدم علمه ويقينه"[٤٧].

---

(٤١) مفتاح دار السعادة (٤٢٠/١).
(٤٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم (٥٢) ورواه مسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم (١٥٩٩).
(٤٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٤٩/٣) رقم (١٧٢٣)، وصحح إسناده محققو المسند، والترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول اللهﷺ، باب رقم (٦٠)، حديث رقم (٢٥١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٧٨).
(٤٤) رواه أحمد في المسند (٣٦ / ٤٩٨) رقم (٢٢١٦٧)، وصححه محققو المسند، وصححه الحاكم (٥٨/١-٥٩)، والألباني في صحيح الجامع رقم (٤٨٤)، والصحيحة (٩١/٢) رقم (٥٥٠).
(٤٥) انظر : فيض القدير (٤٢٢/١) بتصرف يسير .
(٤٦) أخرجه الطبراني في الكبير (١٥/ ٤٥٧) حديث رقم (١٧٦٥٨).
(٤٧) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٩٥) قال ابن القيم : : قال لي شيخ الإسلام : وقد جعلت أورد عليه إيراداً بعد إيراد: "لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السِّفنجَة، فيتشربه، فلا ينضح إلا بها ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمرُّ الشبهاتُ بظاهرها ولا تستقرُّ فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمرُّ عليك صار ممقراً للشبهات" أو كما قال: "فما أعلم أني انتفعتُ بوصيةٍ في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك" . مفتاح دار السعادة (٣٩٥/١).

وأما الدواء النافع لأمراض الشبهات فهو ما كان طبيب القلوب ﷺ يقوله إذا قام من الليل يفتتح صلاته: (اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)(٤٨) .

"فإن الرسول ﷺ توسل إلى ربه بربوبية جبريل وميكائيل وإسرافيل أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه إذ حياة القلب بالهداية ، وقد وكَّل الله سبحانه هؤلاء الثلاثة بالحياة: فجبريل موكَّل بالوحي الذي هو سبب حياة القلوب، وميكائيل بالقطر الذي هو سبب حياة البدان وسائر الحيوان، وإسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة العالم وعود الأرواح إلى أجسادها، فالتوسل إلى الله سبحانه بربوبية هذه الأرواح العظيمة الموكَّلة بالحياة، له تأثيرٌ عظيمٌ في حصول المطلوب والله المستعان "(٤٩) .

٥- العلامة الخامسة من علامات اليقين: الخوف من الله تعالى والتوكل عليه، وترك الخوف من أولياء الشيطان، وألا يرضي الناس بسخط الله تعالى .

قال ابن القيم : :"ومن كيد عدوِّ الله أنه يخوِّف المؤمنين من جنده وأوليائه؛ فلا يجاهدونهم، ولا يأمرونهم بالمعروف، ولا ينهونهم عن المنكر ، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنه بهذا فقال: وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَعَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [آل عمران: ١٧٥] . والمعنى عند جميع المفسرين: يخوِّفكم بأوليائه. ولهذا قال: چ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ چ فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم"(٥٠) .

وقد بوَّب الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب : في كتاب التوحيد (باب قول الله تعالى : وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَعَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [آل عمران: ١٧٥])، و ذكر تحت هذا الباب حديث أبي سعيد الخدري س مرفوعاً : (إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذُمَّهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق

(٤٨) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم (٧٧٠) عن عائشة ل .

(٤٩) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٤٨).

(٥٠) إغاثة اللهفان (١/ ١٩٣).

الله لا يجُرُّه حرص حريص ولا يردُّه كراهية كاره)[٥١] . فيفهم من هذا الحديث أن الذي يرضي الناس بسخط الله يخاف الناس أكثر من خوفه من الله وهذه علامة ضعف اليقين .
يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن[٥٢] : "قوله: (أن ترضي الناس بسخط الله) أي: تؤثر رضاهم على رضا الله بأن توافقهم على ترك ما أمر الله به وفعل ما نهى الله عنه استجلاباً لرضاهم وهذا ينافي قوة
اليقين وكمال الإيمان في إيثار ما يرضي الله على ما تهواه النفوس والصبر على مخالفة هواها"[٥٣] .
"كذلك من ضعف اليقين حمد الناس الحمد المطلق على رزق الله تعالى ناسياً المُتسبِّب المنعم الأصلي وهو الله عز وجل الذي له النعمة الأولى.
أما إن كان في قلبك أن الله هو الذي منَّ عليك بسياق هذا الرزق ثم شكرت الذي أعطاك فليس هذا داخلاً في الحديث بل هو من الشرع لقوله ﷺ : (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)[٥٤].
إذن إذا حمدتهم ناسياً بذلك ما يحب الله من الحمد والثناء فهذا هو الذي من ضعف اليقين، أما إذا حمدتهم على أنهم سبب من الأسباب، وأن الحمد كله عز وجل فهذا حق وليس من ضعف اليقين"[٥٥] .
وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : : "وقوله: (وأن تحمدهم على رزق الله) أ ي: على ما وصل إليك على أيديهم بأن تضيفه إليهم وتحمدهم عليه فإن المتفضل في الحقيقة هو الله وحده، الذي قدره لك وأوصله إليك، وإذا أراد أمراً قيض له أسباباً .

---

(٥١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٠٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٨٢)، وقال البيهقي: محمد مروان ضعيف، قال الشيخ سليمان بن عبدالله : : "إسناده ضعيف ومعناه صحيح" . تيسير العزيز الحميد (ص٣٦٧)، وقال الألباني: "موضوع". الضعيفة (٦٧٤/٣) رقم (١٤٨٢).
(٥٢) هو العلامة الشيخ أبو الحسن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ولد في الدرعية سنة ١١٩٣هـ، ألف مجموعة من الكتب منها: فتح المجيد و قرة عيون الموحدين، توفي سنة ١٢٨٥هـ في مدينة الرياض. انظر ترجمته في: [علماء نجد ٥٦/١، مقدمة فتح المجيد ص ٩-١٥] .
(٥٣) فتح المجيد (ص ٤٠١) .
(٥٤) أخرجه أحمد (٩/ ٢٦٦) ،وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ، ورواه أبو داود في كتاب الزكاة، باب عطية من سأل لله، حديث رقم (١٦٧٢) ورواه النسائي (٥/ ٨٢) في كتاب الزكاة، باب من سأل بالله عز وجل، حديث رقم (٢٥٦٧) عن ابن عمر ب ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.
(٥٥) القول المفيد (ص ٤١٩ ـ ٤٢٠) بتصرف يسير .

وهذا لا ينافي حديث: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)[٥٦]؛ لأن شكرهم إنما هو في الدعاء لهم؛ لكون الله ساقه على أيديهم فتدعو لهم أو تكافئكم؛ لحديث: (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) فإضافة الصنيعة إليهم لكونهم صاروا سبباً في إيصال المعروف إليك والذي قدَّره وساقه هو الله وحده"[٥٧] .

وقال شيخ الإسلام : : "وفي الحديث:(إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله أو تذمهم على ما لم يؤتك الله) فإن اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما وعد الله أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره فإذا أرضيتهم بسخط الله لم تكن موقناً لا بوعده ولا برزقه فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك، إما ميل إلى ما في أيديهم من الدنيا فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة؛ فإنك إن أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم ، فإرضاؤهم بسخطه إنما يكون خوفاً منهم ورجاء لهم وذلك من ضعف اليقين .

وإذا لم يقدر لك ما تظن أنه يفعلونه معك :فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فإن ذممتهم على ما لم يقدر: كان ذلك من ضعف يقينك فلا تخفهم ولا ترجهم ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك، لكن من حمده الله ورسوله فهم المحمود ومن ذمه الله ورسوله فهو المذموم"[٥٨] .

٦- العلامة السادسة من علامات اليقين: صدق الرؤيا فتكون صالحة، يقول القرطبي : في تفسيره: "والرؤيا الصالحة تكون على حسب ما يكون من صدق الحديث وأداء الأمانة والدين المتين وحسن اليقين فمن خلصت له نيته في عبادة ربِّه ويقينه وصدق حديثه كانت رؤياه أصدق، وإلى النبوة أقرب كما أن الأنبياء يتفاضلون والنبوة كذلك قال الله تعالى: وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا [الإسراء: ٥٥] "[٥٩] .

٧- العلامة السابعة من علامات اليقين: سلامة القلب من الكبر والحسد والحقد وسائر أمراض القلوب . "فالقلب لا يدخله حقائق الإيمان إذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد، كما قال الله تعالى: سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

(٥٦) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، حديث رقم (٤٨١١) والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم (١٩٥٤) عن أبي هريرة س ، وصححه الألباني في الصحيحة (١/ ٧٧٦) حديث رقم (٤١٦).
(٥٧) فتح المجيد (ص ٤٠٢) .
(٥٨) الفتاوى (٥١/١ ـ ٥٢).
(٥٩) تفسير القرطبي (١١/ ٢٤٩).

وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ [الأعراف: ١٤٦] "[٦٠] ،والإعراض والمكابرة من أسباب عدم حصول اليقين، وفي قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ [البقرة: ١١٨] . يقول ابن عاشور : : "فأما الذين دأبهم الإعراض عن النظر والمكابرة بعد ظهور الحق فإن الإعراض يحول دون حصول اليقين والمكابرة تحول عن الانتفاع به فكأنه لم يحصل، فأصحاب هذين الخلقين ليسوا من الموقنين فالمعنى قد بينا الآيات لقوم من شأنهم أن يوقنوا ولا يشككوا أنفسهم أو يعرضوا حتى يحول ذلك بينهم وبين الإيقان أو يكون المعنى قد بينا الآيات لقوم يظهرون اليقين ويعترفون بالحق لا لقوم مثلكم من المكابرين"[٦١] .

ـ علامات أهل اليقين :

لليقين علامات تظهر عند من يكتسب هذه المرتبة الشريفة، ويعمل على تحصيل أسبابها وتحقيق رتبها فأهل اليقين يشعرون ويعلمون بقوة يقينهم وتميزهم عن غيرهم بهذه الصفة العظيمة . قال ابن القيم : :"وخص الله سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين، فقال وهو أصدق القائلينوَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ [الذاريات: ٢٠] .

وخص أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين، فقال: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤ (أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [البقرة: ٤ ـ ٥] "[٦٢].

وقال ذو النون المصري [٦٣] : : "ثلاثة من أعلام اليقين : قلة مخالطة الناس في العشرة ، وترك المدح لهم في العطية ، والتنزه عن ذمهم عند المنع"[٦٤] .

وقال : : " ثلاثة من أعلام اليقين: النظر إلى الله في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال"[٦٥] .

---

(٦٠) ينظر : فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٢٤٢).

(٦١) التحرير والتنوير (١/ ٦٩٠ ـ ٦٩١) باختصار .

(٦٢) مدارج السالكين (٣/ ٢٢٠).

(٦٣) هو ثوبان بن إبراهيم وقيل: فيض بن إبراهيم النوبي الإخميمي المصري يكنى أبا الفيض، ويقال: أبا الفياض من أهل مصر، نوبي الأصل من الموالي، كانت له فصاحة وحكمة وشعر وهو أحد الزهاد العُبَّاد المشهورين، توفي سنة ٢٤٥هـ. انظر ترجمته في:[سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٢ـ٥٣٦، الأعلام ٢/ ١٠٢].

(٦٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٣٧٣) والبيهقي في الزهد الكبير (١/ ٣٥٨) رقم (٩٨٠).

(٦٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٣٥٤) والبيهقي في الزهد الكبير (١/ ٣٥٨) رقم

١- العلامة الأولى من علامات أهل اليقين:
أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم وهذا علامة على قوة يقينهم وأما ترك الأعمال وعدم الثبات هذا عنوان ضعف اليقين قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
[المائدة: ٥٤] . يقول ابن عاشور : في تفسير هذه الآية: وهذا الوصف علامة على صدق إيمانهم حتى خالط قلوبهم بحيث لا يصرفهم عنه شيء من الإغراء واللوم لأن الانصياع للملام آية ضعف اليقين والعزيمة ، ولم يزل الإعراض عن ملام اللائمين علامة على الثقة وأصالة الرأي "[٦٦] .

٢- العلامة الثانية من علامات أهل اليقين:
كثرة الإنفاق في سبيل الله، وعدم الخوف من الفقر، وهذا عنوان اليقين، كما قيل في تفسير قوله تعالى: وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[البقرة: ٢٦٥] أي: يخرجون الزكاة طيبة بها أنفسهم على يقين بالثواب وتصديق بوعد الله، يعلمون أن ما أخرجوا خير لهم مما تركوا، وقيل: على يقين بإخلاف الله عليهم"[٦٧] .

وفي حديث أبي مالك الأشعري س أن النبي ﷺ قال: (والصدقة برهان)[٦٨] .
ـ دليلٌ على أن الصدقة علامة من علامات صحة وقوة الإيمان، وصدق وقوة اليقين.
يقول ابن رجب : في شرحه لهذا الحديث: "وأما الصدقة فهي برهان، والبرهان هو: الشعاع الذي يلي وجه الشمس، ومنه: سميت الحجة القاطعةُ برهاناً؛ لوضوح دلالتها على ما دلت عليه، فكذلك الصدقة برهان على صحة الإيمان وطيب النفس بها علامة على وجود حلاوة الإيمان وطعمه . كما في حديث عبدالله بن معاوية الغاضري عن النبي ﷺ : (ثلاثٌ من فعلهن فقد طَعِمَ طَعمَ الإيمان: من عبد الله وحده وأنه لا إله إلا الله، وأدَّى زكاة ماله طيبةً بها نفسه رافدةً عليه في كل عام) وذكر الحديث خرجه أبو داود[٦٩] .

---

(٩٨٠) وفي السنن الصغرى (٢٧/١) رقم (١٧).
(٦٦) التحرير والتنوير (٦/ ٢٣٨) .
(٦٧) تفسير البغوي "معالم التنزيل" (١/ ٢٨٦).
(٦٨) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، حديث رقم (٢٢٣) وأول الحديث: "الطهور شطر الإيمان ..." الحديث .
(٦٩) في كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة تحت حديث رقم (١٥٨٢) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٤٦٠/١) رقم (٧٥٠) والصحيحة (٣/ ٣٨) رقم (١٠٤٦).

والمال تحبه النفوس، وتبخل به، فإذا سمحت بإخراجه لله عز وجل دلَّ على صحة إيمانها بالله ووعده ووعيده، ولهذا منعت العربُ الزكاة بعد النبي ﷺ ، وقاتلهم الصديقُ على منعها "(٧٠) .

٣- العلامة الثالثة من علامات أهل اليقين:

أنهم لا يزيغون عن الحق ولا تتشابه عليهم الأمور قال تعالىوَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ [البقرة: ١١٨] .

وأنهم يرضون بأحكام الله تعالى فهم يمتثلون أوامر الله تعالى ويجتنبون نواهيه، قال تعالى: أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ [المائدة: ٥٠] .

"ففي هذه الآية مدح الله سبحانه أحكامه الشرعية بالجمال والحسن، ولكن القرآن ذاته نبَّه أنه لا يتمتع بكمال الفهم لحسن وجمال أحكام الله إلا من تطهرت قلوبهم باليقين، ومن فاته إدراك جمال وحسن أحكام الشريعة؛ إنما كان ذلك بسبب ما فات قلبه من اليقين، وبسبب ما زاحم اليقين في قلبه من الارتياب والتردد"(٧١).

وأهل اليقين يتفكرون بآيات الله تعالى وإعجازه في خلقه ويعتبرون بالآيات المنظورة، كما قال تعالى في سورة [الذاريات: ٢٠] . وينتفعون بالآيات المقروءة، كما قال تعالى: قي سورة [البقرة: ١١٨] .

- ومن علامات أهل اليقين كذلك على سبيل الإجمال:

* تعلق القلب بالله تعالى ، والحرص على إقامة الصلاة جماعة في المسجد .
* ميل القلب إلى مداومة قراءة القرآن وحفظه وتدبره والعمل بما فيه .
* حب السنة واتباع ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه .
* الخوف من الله تعالى ، وإحسان الظن به ، وعدم القنوط من رحمته .
* الافتقار إلى الله تعالى والإلحاح بالدعاء وعدم استعجال الإجابة .
* تذكر الموت وما بعده والاستعداد له.
* الخوف على الدين من النقص واستكمال الفرائض بفعل النوافل .
* القناعة بما رزق الله تعالى والرضا بما قسم .
* الغضب عند انتهاك حرمات الله تعالى والغيرة على دينه .
* الفرح بانتصار الدين ، وحب الخير للناس .

(٧٠) جامع العلوم والحكم (ص ٤١٢ - ٤١٣) باختصار .
(٧١) رقائق القرآن لإبراهيم السكران (ص ١٥٦) بتصرف يسير .

المراجع

١. **إحياء علوم الدين:** للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المنهاج، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ.
٢. **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان:** لابن القيم الجوزية، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.
٣. **تفسير البحر المحيط:** لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٤. **تفسير البغوي (معالم التنزيل):** للإمام أب محمد الحسين بن مسعود البغوي، المتوفى سنة ٥١٦هـ، تحقيق: محمد عبدالله النمر، د.عثمان جمعة ضميرية، وسليمان بن مسلم الحرش، دار طيبة، الطبعة الثالثة، ١٤٣١هـ.
٥. **تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل):** للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٩هـ.
٦. **تفسير التحرير والتنوير:** لسماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس .
٧. **تفسير الشعراوي خواطر فضيلة الشيخ: محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم:** أخبار اليوم، قطاع الثقافة، طبعة ١٤١١هـ ١٩٩١م.
٨. **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن):** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
٩. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** للعلاَّمة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة، ١٤٣١هـ.
١٠. **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم:** للإمام الحافظ الفقيه زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، الطبعة الثامنة، ١٤٣٠هـ.
١١. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:** للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني الشافعي المتوفى سنة ٤٣٠هـ، تحقيق: مصفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة، ٢٠١٠م.
١٢. **سلسلة أعمال القلوب:** لفضيلة الشيخ سفر بن عبدالرحمن الحوالي، دار ابن حزم، القاهرة، أنوار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

١٣. **شرح العقيدة الطحاوية:** للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: د. عبدالله التركي، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، ١٤١٤هـ.
١٤. **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** للإمام الحافظ الفقيه زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
١٥. **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** للإمام الحافظ الفقيه زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
١٦. **فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد:** لعبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، دار المؤيد، الطبعة الثامنة، ١٤٢٣هـ.
١٧. **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير:** للعلامة محمد عبدالرؤوف المناوي، ضبطه وصححه: أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
١٨. **القول المفيد على كتاب التوحيد:** لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
١٩. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:** لشمس الدين أبي عبدالله ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالعزيز بن ناصر الجليل، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ.
٢٠. **مفاتيح الغيب "تفسير الرازي":** تأليف الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٢١. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة:** للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيِّم الجوزية، تحقيق: عبدالرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

الرؤى في القرآن الكريم

اعداد

فهد بن عبد الله المحيا

Doi: 10.33850/jasis.2019.44486

الاستلام : ١٣/ ٤ /٢٠١٩ القبول : ١٦ / ٥ /٢٠١٩

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن القرآن الكريم الذي هو معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة لا يزال ولن يزال ينهل الناس من معينه على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم وتخصصهم .

والمكتبة القرآنية الموجودة في واقعنا اليوم تشهد بذلك فكم من المؤلفات ألفت ومحورها في تأليفها عليه. وقد شهدت تلك المكتبة في الآونة الأخيرة اتجاها في التأليف في تفسير القرآن ومما شهدت ما يكتب تحت لون التفسير الموضوعي .

وقد درست هذه المادة في دراستي للسنة المنهجية في مرحلة الماجستير ووقع نظري على موضوع قد شهدت الساحة بواقعيته وحاجة التنبيه فيه إلى هدي القرآن ألا وهو موضوع (الرؤى في القرآن الكريم) . أسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه إنه سميع مجيب. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

تمهيد

لقد جاء الاهتمام بالرؤيا الصادقة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اهتماما يحفظ المسلم من الغلو أو التفريط، فالرؤيا الصادقة من الله وهي جزء من أجزاء النبوة والتصديق بها حق ولا خلاف فيها بين أهل الحق والدين ولا ينكرها إلا من شذ عن الحق[١] .

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول لأصحابه: ((هل رأى أحد منكم رؤيا)) كما ثبت من حديث سمرة بن جندب عند البخاري ومسلم[٢] .

---

(١) الرؤى عند أهل السنة والجماعة ص ٢٣ .

(٢) أخرجه البخاري ح ١٣٢٠ ومسلم ح ٢٢٧٥ .

وورد في حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول: ((هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا فيقول : ليس يبق بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة)) [٣].

قال ابن عبد البر رحمه الله: "وهذا الحديث يدل على شرف علم الرؤيا وفضلها لأنه صلى الله عليه وسلم إنما كان يسأل عنها لتقص عليه ويعبرها وليعلم أصحابه كيف الكلام في تأويلها". أهـ [٤].

ولهذا قال الإمام مالك رحمه الله: " الرؤيا جزء من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة " [٥].

وفي حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له)) رواه مسلم [٦].

فهذه الأحاديث تفيد عظم شأن الرؤيا الصالحة وبيان أنها من المبشرات التي يبشر بها المؤمن في حياته.

مباحث أولية في الرؤى

المبحث الأول : تعريف الرؤى لغة واصطلاحا:

أولا : في اللغة :

قال ابن فارس: "رأى؛ الراء والهمزة والياء أصل يدل على نظرة وإبصار بعين أو بصيرة ..... والرؤيا معروفة والجمع رؤى". أهـ [٧]. وقال الراغب في المفردات: "والرؤيا ما يرى في المنام، وهو فعلى وقد يخفف فيه الهمزة فيقال بالواو".أهـ[٨]. وفي المعجم الوسيط: "الرؤيا ما يرى في النوم، وجمعه رؤى". أهـ[٩].

أما الرؤية: فهي مصدر رأى كالرؤيا مصدر رأى إلا أن الرؤية مختصة بما يراه الإنسان في اليقظة والرؤيا بما يراه الإنسان في النوم[١٠]،

وقد استعمل لفظ الرؤيا بمعنى الرؤيا في اليقظة، كما في قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاس} [١١] فالمراد بالرؤيا في هذه الآية رؤية العين ، كما روى البخاري عن ابن عباس في قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً

---

(٣) أخرجه مالك ح ٣٥١٣ .
(٤) التمهيد (٣١٣/١) .
(٥) التهميد (٢٨٨/١) .
(٦) أخرجه مسلم ح٤٧٩ .
(٧) معجم مقاييس اللغة (٤٧٢/٢) .
(٨) مفردات ألفاظ القرآن (٤٢٩/١) .
(٩) المعجم الوسيط ص ٣٢٠ .
(١٠) الرؤى عند أهل السنة ص ٦٨ .
(١١) سورة الإسراء آية ٦٠ .

لِلنَّاس}، قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به إلى البيت المقدس[١٢] .

ثانيا: في الاصطلاح:

إذا علمنا أن معنى الرؤى هي ما يراه الإنسان في منامه فإننا لا نجد فرقاً بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي وإنما اختلف الناس في بيان كيفية هذه الرؤى وحقيقتها وبين من غلا في ذلك ومن أنكرها .

ومذهب أهل السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم قسم الرؤى إلى ثلاثة أقسام :

رؤيا حق من الله عز وجل والله أعلم بكيفية ذلك، ورؤيا باطلة فهي أضغاث أحلام من تهويل الشيطان وتحزينه وتمثيله لابن آدم، أو مما يحدث به المرء نفسه في اليقظة فيراه في المنام[١٣] .

قال ابن عبد البر: "وجملة القول في هذا الباب أن الرؤيا الصادقة من الله وأنها من النبوة وأن التصديق بها حق وفيها من بديع حكمة الله ولطفه ما يزيد المؤمن إلى إيمانه ولا أعلم بين أهل الدين والحق من أهل الرأي والأثر خلافاً فيما وصفت ولا ينكر الرؤيا إلا أهل الإلحاد وشرذمة من المعتزلة " أهـ[١٤].

أما عن حقيقة الرؤيا: فقد قال ابن القيم: "فالرؤيا أمثال مضروبة يضربها الملك الذي قد وكله الله بالرؤيا ليستدل الرائي بما ضرب له من المثل على نظيره ويعبر منه إلى شبهه ولهذا سمي تأويلها تعبيرا"أهـ[١٥].

المبحث الثاني : أقسام الرؤى :

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قسم الرؤيا إلى ثلاثة أقسام:

فقد أخرج عبد الرزاق في مصنفه من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (في آخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا. والرؤيا ثلاث : الرؤيا الحسنة بشرى من الله، والرؤيا يحدث بها الرجل عن نفسه، والرؤيا تحزين من الشيطان فإذا رأى أحدكم رؤيا يكرها فلا يحدث بها أحدا وليقم فليصل) [١٦].

وفي هذا الحديث بيان تقسيم الرؤى وأنها ثلاثة أنواع :-

---

(١٢) صحيح البخاري ح ٣٦٧٥ .
(١٣) الرؤى عند أهل السنة ص٤٤ .
(١٤) التمهيد (٢٨٥/١) .
(١٥) إعلام الموقعين (٢٣١/١) .
(١٦) المصنف ح ٢٠٣٥٢ ورواه مسلم من طريق عبد الرزاق وروي الحديث من عدة طرق أخرى .

١ـ رؤيا حق: وستأتي في مبحث قادم إن شاء الله تعالى.
٢ـ حديث النفس: وهي ما يراه الإنسان في منامه مما يقع له في مجريات حياته من الخواطر التي تجري من غير قصد وهذا كثير في مرائي الناس .
وعلامة هذا القسم أنه من الأمور المباحة فلا يسر كحال الرؤية الصالحة ولا يحزن كالتي من الشيطان ومثلها الهم والخواطر في اليقظة .
قال الشيخ ابن باز رحمه الله: "حديث النفس لا خير ولا شر ولا بأس أن يحدث به ولذلك جاء الخبر في بعض الأحاديث بتقسيم الرؤيا قسمين من الله ومن الشيطان كحديث أبي قتادة وذلك لأن أحاديث النفس لا حكم لها" [١٧] .
٣ـ الحلم: وهي من الشيطان وهي إفزاع وتخويف وتحزين من الشيطان كما وردت بذلك الأحاديث.
وقد ورد في حديث أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيـطان)) رواه البخاري[١٨]. يقول ابن الأثير: "الرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن وغلب الحلم على ما يراه من الشر القبيح" أهـ[١٩].

المبحث الثالث : الرؤيا الصالحة :

ورد في حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الرؤيا ثلاثة))[٢٠]، وذكر منها الرؤيا الصالحة وهي بشرى من الله سبحانه .
قال البغوي: " قوله صلى الله عليه وسلم: ((الرؤيا ثلاثة:)) فيه بيان أن ليس كل ما يراه الإنسان في منامه يكون صحيحاً ويجوز تعبيره إنما الصحيح منها ما كان من الله عز وجل يأتيك به ملك الرؤيا من نسخة أم الكتاب وما سوى ذلك أضغاث أحلام لا تأويل لها وهي على أنواع : قد يكون من فعل الشيطان يلعب بالإنسان أو يريه ما يحزنه .... وقد يكون ذلك من حديث النفس فلا تأويل لشيء منها" أهـ[٢١].
والرؤيا الصالحة التي يجوز تعبيرها على نوعين :

---

(١٧) الرؤى عند أهل السنة ص ١١٢ .
(١٨) صحيح البخاري ح ٣١١٨ .
(١٩) النهاية في غريب الحديث (٤١٧/١) .
(٢٠) سبق تخريجه، ص .
(٢١) شرح السنة (٢١١/١٢) .

النوع الأول: ما هو ظاهر لا يحتاج إلى تأويل كرؤيا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ذبح ولده إسماعيل عليه السلام ورؤيا النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيأتي البيت هو وأصحابه ويطوفون به وجاء تصديق الرؤيا في عمرة القضاء .

النوع الثاني : ما هو من ضرب الأمثال للنائم وهذا النوع هو الأكثر والغالب على الرؤيا وهو الذي يحتاج فيه إلى تأويل وهو الذي نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقص على غير عالم أو ناصح ومنه رؤيا يوسف عليه الصلاة والسلام في سجود أحد عشر كوكبا والشمس والقمر لـه ورؤيا لفتيين الذين معه في السجن ورؤيا ملك مصـــــر [٢٢].

المبحث الرابع : في آداب الرؤى :

جاءت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في بيان الآداب التي ينبغي أن يتأدب بها المسلم إذا رأى رؤيا، فمن ذلك : ما أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله وليحدث بها وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره)) [٢٣].

وفي حديث أبي قتادة: ((فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، وليتفل ثلاثا)) رواه البخاري ومسلم [٢٤]، وفي رواية لمسلم: ((فإن رأى رؤيا حسنة فليبشر)).

وفي حديث أبي هريرة عند عبد الرزاق:((فإذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فلا يحدث بها أحدا وليقم وليصل))[٢٥].

ففي هذه الأحاديث بيان الآداب عند رؤية ما يسر أو يكره.

فعند رؤية ما يسر:

١ـ يحمد الله سبحانه.

٢ـ يستبشر بهذه الرؤيا، وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة من المبشرات، ولهذا قال الإمام أحمد: "الرؤيا تبشر المؤمن ولا تغره" [٢٦].

٣ـ ألا يحدث بها إلا من يحب، وسيأتي مزيد كلام عن هذا إن شاء الله تعالى.

وأما عند رؤية ما يكره:

---

(٢٢) كتاب الرؤيا للشيخ حمود التويجري ص٥٢ – ١٣٥ .

(٢٣) صحيح البخاري ح ٦٥٨٣ .

(٢٤) صحيح البخاري ح ٦٦٣٧، وصحيح مسلم ح ٢٢٦١ .

(٢٥) سبق تخريجه، ص .

(٢٦) الآداب الشرعية لابن مفلح (٤٣٦/٣) .

١ـ فيستعيذ بالله من شر ما رأى.
٢ـ ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.
٣ـ أن يبصق عن يساره ثلاثاً.
٤ـ أن يقوم فيصلي.
٥ـ أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه إلى الجنب الآخر.
٦ـ ألا يحدث بها أحداً[٢٧].

الرؤيا في سورة يوسف

لا يكاد أحد يذكر نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام إلا ويذكر ما آتاه الله من تأويل الرؤى، بل ولا تقرأ سورة يوسف إلا ويتذكر القارىء ما كان عليه يوسف عليه الصلاة والسلام من علم بتأويل الرؤى، بل إن أول ما تبتدئ به سورة يوسف هي رؤيا يوسف عليه الصلاة والسلام، وهذا يدل دلالة واضحة بينة أن من مقاصد سورة يوسف عليه الصلاة والسلام الإشارة إلى تأويل الرؤى وأنه علم يتفضل الله به على من يشاء من عباده، وقد ذكرت الرؤى وتأويلها في سورة يوسف في عدة آيات نجملها في المباحث التالية:

المبحث الأول: في رؤيا يوسف عليه الصلاة والسلام:

قال الله تعالى: { إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[٢٨].

كانت هذه الرؤيا مقدمة لما وصل إليه يوسف عليه الصلاة والسلام من الارتفاع في الدنيا والآخرة، وهكذا إذا أراد الله أمراً من الأصول العظام قدم بين يديه مقدمة توطئة له وتسهيلا لأمره، واستعدادا لما يرد على العبد من المشاق، ولطفاً بعبده وإحسانا إليه.

فأولها يعقوب بأن الشمس أمه، والقمر أبوه، والكواكب إخوته، وأنه ستنتقل به الأحوال إلى أن يصير إلى حال يخضعون له ويسجدون له إكراماً وإعظاماً، وأن ذلك لا يكون إلا بأسلوب تتقدمه من اجتباء الله له، واصطفائه إياه، وإتمام نعمته عليه بالعلم والعمل، والتمكين في الأرض[٢٩].

---

(٢٧) كتاب الرؤيا للتويجري ص ٢٢ ، الرؤى عند أهل السنة ص ٤٢٦ – ٤٣٩ .
(٢٨) سورة يوسف الآيات ٤،٥،٦، .
(٢٩) تيسير الكريم الرحمن (٦/٤) .

وفي هذه الرؤيا مع ما جرى بين يوسف ويعقوب عليهما السلام من الحديث **عدة وقفات وتأملات**:

الأولى: أنه قد يتأخر وقوع تأويل الرؤى إلى أمد بعيد، فقد روي عن سلمان الفارسي قوله:"كانت بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة" رواه ابن جرير [٣٠]. وعن عبد الله بن شداد قال: "وقعت رؤيا يوسف بعد أربعين سنة وإليها ينتهي أقصى الرؤيا"رواه ابن جرير [٣١]. وقال سعيد بن المسيب: "آخر الرؤيا أربعون سنة، يعني في تأويلها" رواه ابن سعد في الطبقات [٣٢].

قال الشهاب العابر: "الغالب من الرؤيا المليحة أن يتأخر تفسيرها وذلك من كرم الله تعالى يبشر بالخير قبل وقوعه لتفرح النفس بوصوله وربما يقدم تفسيره لأمر ضروري يحتاج إليه الرائي، والغالب في الرؤيا الردية أن يراها قريب وقوعها أو بعد وقوعها لئلا يضيق صدره قبل ذلك" أهـ[٣٣].

الوقفة الثانية: في قوله تعالى { قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً}.

قال القرطبي: هذه الآية أصل في ألا تقص الرؤيا على غير شفيق أو ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها.أهـ[٣٤].

وقد وردت أدلة تؤيد هذا المعنى، فمن ذلك:

١-حديث أبي رزين العقيلي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الرؤيا معلقة برجل طائر ما لم يحدث بها صاحبها فإذا حدث بها وقعت ولا تحدثوا بها إلا عالما أو ناصحا أو لبيبا)) رواه أحمد [٣٥].

٢-وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح)) رواه الترمذي [٣٦].

٣-وسبق في حديث أبي قتادة المتفق عليه وفيه:((فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب))[٣٧].

---

(٣٠) تفسير الطبري (٢٧١/١٦) .
(٣١) المصدر السابق (٢٧٢/١٦) .
(٣٢) الطبقات الكبرى (١٢٥/٥) .
(٣٣) البدر المنير ص ١٤٣ .
(٣٤) الجامع لأحكام القرآن (١٠٩/٩) .
(٣٥) مسند الإمام أحمد (١٠٣/٢٦)
(٣٦) رواه الترمذي ح ٢٢٨٠، وصححه الألباني .
(٣٧) سبق تخريجه .

قال القرطبي: "ويدل أيضا على أن يعقوب عليه الصلاة والسلام كان أحس من بنيه حسد يوسف وبغضه فنهاه عن قص الرؤيا عليهم خوف أن تغل بذلك صدورهم فيعملوا الحيلة في هلاكه" أهـ[٣٨].

ولذلك لما بين يعقوب عليه الصلاة والسلام أن كتمان يوسف لتلك الرؤيا عن إخوته لئلا يكيدوا له كيدا ختم قوله بأن الشيطان للإنسان عدو مبين. والبعد عن الأسباب التي يتسلط بها الشيطان على العبد أولى[٣٩] .

فتأويل الرؤيا هنا لم يقع وإنما كانت الرؤيا بشارة بحدوث خيـر يقع .

قال ابن كثير: "ومن هذا يؤخذ الأمر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر" أهـ[٤٠]، ولهذا امتثل يوسف عليه الصلاة والسلام أمر نبيه ولم يخبر إخوته بذلك بل كتمها عنهم[٤١].

الوقفة الثالثة: في قوله تعالى: { وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ}، فبعض العلماء فسر ذلك أنها إشارة إلى لنبوته عليه الصلاة والسلام، وبعضهم فسرها بأنها تعبير الرؤيا. وهذا قول مجاهد وغيره[٤٢]، ومثل ذلك قوله تعالى بعد ذلك: { وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ}[٤٣]. وقول يوسف في آخر السورة اعترافا بفضل الله عليه: { وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ}[٤٤].

الوقفة الرابعة: العلاقة بين رؤيا يوسف عليه الصلاة والسلام وتأويلها :

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: وإن أغلب ما تبنى عليه يقصد علم تعبير الرؤيا المناسبة والمشابهة في الاسم والصفة، فإن رؤيا يوسف التي رأى فيها الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً له ساجدين وجه المناسبة فيها أن هذه الأنوار هي زينة السماء وجمالها، وبها منافعها وكذلك الأنبياء والعلماء زينة للأرض وجمال، وبهم يهتدى في الظلمات كما يهتدى بهذه الأنوار، ولأن الأصل أبوه وأمه وإخوته هم الفرع، فمن المناسب أن يكون الأصل أعظم نوراً وجرماً لما هو فرع عنه، فلذلك كانت الشمس أمه والقمر أباه، والكواكب إخوته، ومن المناسبة أن الشمس لفظ مؤنث، فلذلك كانت أمه، والقمر أباه، والكواكب مذكرات، فكانت لأبيه وإخوته. ومن المناسبة أن الساجد معظم

---

(٣٨) الجامع لأحكام القرآن (١١٠/٩) .
(٣٩) تيسير الكريم الرحمن (٧/٤) .
(٤٠) تفسير القرآن العظيم (٥٧٣/٣) .
(٤١) تيسير الكريم الرحمن (٧/٤) .
(٤٢) تفسير القرآن العظيم (٥٧٤/٣) .
(٤٣) سورة يوسف آية ٢١ .
(٤٤) سورة يوسف آية ١٠١ .

محترم للمسجود له، والمسجود معظم محترم، فلذلك دل ذلك على أن يوسف كان معظماً محترماً عند أبويه وإخوته، ومن لازم ذلك أن كون مجتباً مفضلاً في العلم والفضائل الموجبة لذلك، ولذلك قال أبوه {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ} أ.هـ[٤٥].

المبحث الثاني: رؤيا الفتيين:

قال الله تعالى {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ * يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ * وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ}[٤٦].

ظهر لأولئك القوم الذين استرقوا يوسف عليه الصلاة والسلام ظهر لهم وبدا لهم الآيات الدالة على براءته مما اتهمته به امرأة العزيز، ولما اشتهر الخبر وبان وصار الناس فيها بين عاذر ولائم، وقادح بدا لهم أن يسجنوه، ورأوا أن هذا فيه مصلحة لهم لكي ينقطع بذلك الخبر ويتناساه الناس.

فلما دخل يوسف عليه الصلاة والسلام السجن كان من جملة من دخل معه فتيان وشابان، فرأى كل واحد منهما رؤيا فقصها على يوسف ليعبرها، قال أحدهما: { إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً}، يعني عنباً، وقال الآخر: { وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ}، أي بتفسيره ولما يؤول إليه أمره، { إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ}، وكان يوسف عليه الصلاة والسلام كان قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة وصدق الحديث وحسن السمت، وكثرة العبادة، ومعرفة التعبير، والإحسان إلى أهل السجن، وعيادة مرضاهم، والقيام بحقوقهم صلوات الله وسلامه عليه.

---

(٤٥) تيسير الكريم الرحمن (٦٦/٤، ٦٧)

(٤٦) سورة يوسف الآيات ٣٦-٤٢ .

فقال لهم مجيباً لطلبهما: { لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا}، أي فلتطمئن قلوبكما فإني سأبادر إلى تعبير رؤياكما، فلا يأتيكما غدائكما أو عشائكما أو ما يجيء إليكما إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما.

ولعل يوسف عليه الصلاة والسلام قصد أن يدعوهما إلى الإيمان في هذه الحال التي بدت حاجتهما إليه ليكون أنجح لدعوته، وأقبل لهما.

ثم دعاهما للإيمان بالله سبحانه وتعالى، وتوحيده، وترك عبادة ما سواه، مع بيان فضل الله عليه وعلى آله بالتوحيد وبيان الأدلة والبراهين على دعوة التوحيد، وبطلان دعوة الشرك.

ولما فرغ من دعوتهما للتوحيد شرع في تعبير رؤياهما، فقال: { يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً}، وهو الذي رأى أنه يعصر خمراً، فإنه يخرج من السجن فيسقي ربه خمراً، أي سيسقي سيده الذي كان يخدمه خمراً، وذلك مستلزم لخروجه من السجن، وأما الآخر وهو الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه {فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ}، ، فإنه عبر عن الخبز الذي تأكله الطير بلحم رأسه، وشحمه، وما فيه من المخ، وأنه لا يقبر ويستر عن الطيور، بل يصلب ويجعل في محل تتمكن الطيور من أكله، ثم أخبرهما بأن هذا التأويل الذي تأوله لهما أنه لابد من وقوعه فقال { قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ}[٤٧].

وفي هذه الآيات وقفات وتأملات:

الأولى: ينبغي على العبد في تأويله للرؤيا أن يبدأ بالأهم فالأهم، وأنه إذا سئل وكان السائل في حاجة أشد

لغير ما سأله عنه ينبغي له أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله، فإن يوسف عليه الصلاة والسلام لما سأله الفتيان عن الرؤيا قدم لهما قبل تعبيرها دعوتهما إلى الله تعالى وحده لا شريك له[٤٨].

الوقفة الثانية: قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: "ومنها: أي من العبر والفوائد من قصة يوسف أن علم التعبير من العلوم الشرعية، وأنه يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، وأن تعبير الرؤيا داخل في الفتوى لقوله للفتيين { قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ}، وقال الملك: { أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ}، وقال الفتى ليوسف: {أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ}، فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم" أ.هـ[٤٩].

([٤٧]) تفسير القرآن العظيم (٣/٥٨٦ – ٥٨٨) تيسير الكريم الرحمن (٤/٢٤ – ٢٩) .

([٤٨]) تيسر الكريم الرحمن (٤/٧٥) .

([٤٩]) المصدر السابق (٤/٧٧) .

ولذلك لما قيل لمالك أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال: أبالنبوة يلعب[٥٠] .

الوقفة الثالثة: ورد أن الفتيين لما قال لهما يوسف تعبير الرؤيا، قالا ما رأينا شيء، فقال لهما { قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ}. قال ابن كثير معلقاً على هذا: "وحاصله أن من تحلم بباطل وفسره فإنه يلزم بتأويله، والله تعالى أعلم" أ.هـ[٥١].

ولذلك ورد الوعيد الشديد في التحلم بما لم يره النائم، فعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن من أفرى الفرى أن يري عينيه ما لم ترى)) رواه البخاري [٥٢].

قال ابن الأثير: الفرى جمع فرية، وهي الكذبة [٥٣] .

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتيه ولن يفعل)) رواه البخاري [٥٤].

قال الخطابي: معنى عقد الشعيرة أنه يكلف ما لا يكون ليطول عذابه في النار، وذلك أن عقد ما بين طرفي
الشعيرة غير ممكن.أ.هـ[٥٥].

الوقفة الرابعة: في قوله تعالى { وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا}:

وهو الذي رأى أنه يعصر خمرا، { اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ}، أي اذكر له شأني وقصتي لعله يرق لي، ويرحمني، فيخرجني مما أنا فيه { فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ}، أي أنسى الشيطان ذلك الناجي أن يذكر يوسف لربه وسيده، { فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِين}[٥٦].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: "من وقع في مكروه وشدة لا بأس أن يستعين بمن له قدرة على تخليصه أو الإخبار بحاله وأن هذا لا يكون شكوى للمخلوق، فإن هذا من الأمور العادية التي جرى العرف باستعانة الناس بعضهم ببعض، ولهذا قال يوسف للذي ظن أنه ناج من الفتيين {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ}" أ.هـ[٥٧].

المبحث الثالث: في رؤيا ملك مصر:

قال الله تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ * وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ

---

(٥٠) التمهيد (٢٨٨/١) .
(٥١) تفسير القرآن العظيم (٥٨٨/٣) .
(٥٢) صحيح البخاري ح ٦٦٣٦ .
(٥٣) النهاية في غريب الحديث (٣٩٧/٣) .
(٥٤) صحيح البخاري ح ٦٦٣٥ .
(٥٥) معالم السنن (٤٩٨/٢) .
(٥٦) الجامع لأحكام القرآن (١٦٧/٩) تيسير الكريم الرحمن (٣٠/٤) .
(٥٧) تيسير الكريم الرحمن (٧٥/٤) .

أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ}الآيات[٥٨] .

لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يخرج يوسف من السجن قدر لذلك سبباً لإخراج يوسف وارتفاع شأنه وإعلاء قدره وهو رؤيا ملك مصر فقد أرى الله ملك مصر هذه الرؤيا العجيبة التي تأويلها يتناول جميع الأمة ليكون تأويلها على يد يوسف فيظهر من فضله ويبين من علمه ما يكون له رفعة في الدارين.

ومن التقادير المناسبة أن الملك الذي ترجع إليه أمور الرعية هو الذي رآها لارتباك مصالح الرعية به.

وذلك أنه رأى رؤيا هالته فجمع علماء قومه، وذوي الرأي منهم، وقال { إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ }، بقرات { عجَافٌ }، وهذا من العجب أن السبع العجاف الهزيلات اللاتي سقطت قوتهن يأكلن السبع السمان اللاتي كن نهاية في القوة.

ورأيت {سَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ}، أي يأكلهن سبع سنبلات أخر يابسات.

{ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ}، أي أخلاط أحلام لا حاصل لها ولا تأويل لها. وهذا جزم منهم بما لا يعلمون، وتعذر منهم بما ليس بعذر، ثم قالوا {وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ}، أي لا نعبر إلا الرؤيا، وأما الأحلام التي هي من الشيطان أو من حديث النفس فإنا لا نعبرها، فجمعوا بين الجهل والجزم بأنها أضغاث أحلام والإعجاب بالنفس بحيث أنهم لم يقولوا: لا نعلم تأويلها وهذا من الأمور التي لا تنبغي لأهل الدين والحجا.

{ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا}، أي من الفتيين، وهو الذي رأى أنه يعصر خمراً، { وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ} أي وتذكر يوسف بعد مدة من السنين، فقال: { أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ}، إلى يوسف لأسأله عنها. فأرسلوه فجاء إليه وسأله وقال { يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ}.

فعبّر يوسف لهم الرؤيا وقال {تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً}، أي يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات،

([٥٨]) سورة يوسف الآيات ٤٣ – ٥٠ .

ففسر البقر بالسنين، ولعل وجه ذلك والله أعلم أن الخصب والجدب لما كان الحرث مبنياً عليه، وأنه إذا حصل الخصب قويت الزروع والحروث وحسن منظرها وكثرة غلاتها، والجدب بالعكس من ذلك. وكانت البقر هي التي تحرث عليها الأرض، وتسقى عليها الحروث في الغالب، والسنبلات هي أعظم الأقوات وأفضلها، فهذا هو وجه المناسبة فلذلك عبرها بذلك.

ثم أرشدهم إلى ما يفعلونه ويستعدون به في التدابير في سني الخصب إلى سني الجدب فقال { فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ}، أي فاخزنوه في سنبله ليكون أبقى له وابعد عن إسراع الفساد إليه { إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ}، وليكن قليلاً قليلا لا تسرفوا فيه لتنتفعوا في السبع الشداد، { ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ}، أي مجدبات { يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ}، أي يأكلن أهلهن ما ادخرتم لأجلهن. {إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ} أي مما تحبون لتزرعوا لأن في استبقاء البذر تحصين الأقوات.

{ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ}، أي يأتيهم الغيث وهو المطر { وَفِيهِ يَعْصِرُونَ}، فيعصر الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم من زيت وعنب ونحوها زيادة على أكلهم.

ولعل استدلال يوسف عليه الصلاة والسلام على وجود هذا العام المخصب مع أنه غير مصرح به في رؤيا الملك لأنه فهم من التعبير بالسبع الشداد أن العام الذي يليها تزول به شدتها، ومن المعلوم أنه لا يزول الجدب المستمر سبع سنين متواليات إلا بعام مخصب جداً وإلا لما كان للتقدير فائدة.

فلما رجع الرسول إلى الملك والناس وأخبرهم بتأويل يوسف للرؤيا عجبوا من ذلك وفرحوا بها أشد الفرح[٥٩].

وفي هذه الرؤيا وتأويلها وقفات وتأملات:

الأولى: ذكر الله سبحانه أن الملأ عجزوا عن تفسيرها ثم فسرها يوسف عليه الصلاة والسلام وهذا من لطف الله بيوسف عليه الصلاة والسلام .

فإنه لو عبرها ابتداء قبل أن يعرضها على الملأ من قومه وعلمائهم فعجزوا عنها – لم يكن ذلك الموقع ولكن لما عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب وكان الملك مهتما لها غاية الاهتمام فعبرها يوسف عليه الصلاة والسلام وقعت عندهم موقعاً عظيماً .

وهذا نظير إظهار الله فضل آدم على الملائكة بالعلم َبعد أن سألهم فلم يعلموا ثم سأل آدم فعلمهم أسماء كل شيء فحصل بذلك زيادة فضله[٦٠].

([٥٩]) الجامع لأحكام القرآن (١٦٩/٩ -١٧٤) ، تفسير القرآن العظيم (٥٩٠/٣) ، تيسير الكريم الرحمن (٣١/٤ -٣٦) .

([٦٠]) تيسير الكريم الرحمن (٣٢/٤) .

الوقفة الثانية: في هذه الرؤيا وتأويلها يتبين ما عليه يوسف عليه الصلاة والسلام من كريم الخصال وعظيم الصفات .

فإن يوسف عليه الصلاة والسلام قد قال ووصى أحد الفتيين أن يذكره عند ربه فلم يذكره ونسي فلما بدت حاجتهما إلى سؤال يوسف أرسلوا ذلك الفتى وجاءه سائلا مستفتيا عن تلك الرؤيا فلم يعنفه يوسف ولا وبخه لتركه ذكره بل أجابه عن سؤاله جوابا تاما من كل وجه .

فينبغي ويتأكد على المعلم استعمال الإخلاص التام في تعليمه وأن لا يجعل تعليمه وسيلة لمعارضة أحد في مال أو جاه أو نفع وأن لا يمتنع من التعليم أو لا ينصح فيه إذا لم يفعل السائل ما كلفه به المعلم[٦١] .

الوقفة الثالثة: وفيها من كريم خصاله عليه الصلاة والسلام أنه لم يشترط عليهم بتفسير الرؤيا الخروج من السجن[٦٢] مع أنه في شدة وضيق بل أجابهم مباشرة .

فكيف بمن جعل من تفسيره للرؤى تكسبا للمال والله المستعان .

الوقفة الرابعة: وفيها من كريم خصاله عليه الصلاة والسلام أنه لم يقتصر على تعبير رؤيا الملك بل ولهم مع ذلك على ما يصنعون في تلك السنين المخصبات من كثرة الزرع وكثرة جبايته .

فينبغي للمسؤول أن يدل السائل على أمر ينفعه مما يتعلق بسؤاله ويرشده إلى الطريق التي ينفع بها فإن هذا من كمال نصحه وفطنته وحسن إرشاده[٦٣] .

الوقفة الخامسة : في هذه الرؤيا وتأويلها وما ظهر بعد ذلك من استدعاء الملك ليوسف وكون ذلك كان سببا في رفعته عليه الصلاة والسلام يستفاد منه فضيلة العلم علم الأحكام والشرع وعلم تعبير الرؤى وعلم التدبير والتربية وأنه أفضل من الصورة الظاهرة ولو بلغت في الحسن جمال يوسف عليه الصلاة والسلام فإن يوسف عليه الصلاة والسلام بسبب جماله حصلت له تلك المحنة والسجن وبسبب علمه حصل له العز والرفعة والتمكين في الأرض فإن كل خير في الدنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته[٦٤] .

---

(٦١) المصدر السابق (٧٦/٤) .
(٦٢) تفسير القرآن العظيم (٥٩٠/٣) .
(٦٣) تيسير الكريم الرحمن (٧٦/٤) .
(٦٤) المصدر السابق (٧٧/٤) .

الوقفة السادسة: قال القرطبي: هذه الآية أصل في صحة رؤيا الكافر وأنها تخرج على حسب ما رأى لاسيما إذا تعلقت بمؤمن فكيف إذا كانت آية لنبي ومعجزة الرسول" أهـ[٦٥].

ونقل ابن حجر في الفتح عن المهلب قال: "وقد وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفار كما في رؤيا صاحبي السجن مع يوسف عليه الصلاة والسلام ورؤيا ملكهما وغير ذلك" أهـ[٦٦].

ونقل ابن حجر عن القرطبي أيضاً: "وأما الكافر الفاسق والمخلط فلا ولو صدقت رؤياهم أحيانا فذلك كما يصدق الكذوب وليس كل من حدث عن غيب يكون خبره من أجزاء النبوة كالكاهن والمنجم" أهـ[٦٧].

الرؤى المتعلقة بالنبي صلى الله عليه وسلم التي تكلم عنها القرآن

المبحث الأول : مقدمة وفيها أن رؤيا الأنبياء حق :

يوجد في القرآن الكريم اثنتين من الرؤى التي رآها النبي صلى الله عليه سلم وتكلم عنها القرآن.

الأولى: في سورة الأنفال عن غزوة بدر، والثانية في سورة الفتح عن عمرته صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية، والمتأمل يرى أن هذين الموضعين كان فيهما انتصار للمسلمين كبير فإن غزوة بدر حصل فيها نصر مؤزر للمسلمين وتحول المجتمع الإسلامي في المدينة مجتمعا ذا شوكة عظيمة تهابه قريش وغيرها حتى إن بعض الكفار في المدينة أسلموا نفاقا خوفا على أنفسهم وحقنا لدمائهم بعد غزوة بدر.

أما عمرته صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية فلها تعلق كبير بذلك الصلح الذي سماه الله في القرآن فتحا فقال سبحانه { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً}[٦٨]، بل إن المتأمل يجد أن أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في المنان فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها[٦٩].

فالرسالة والنبوة حدث عظيم وبدأ بالرؤى وهذا يدل على عظم شأن الرؤيا ومكانتها في الوحي .ففي حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الرؤيا

---

(٦٥) الجامع لأحكام القرآن (١٧٤/٩) .
(٦٦) فتح الباري (٣٦٢/١٢) .
(٦٧) المصدر السابق .
(٦٨) سورة الفتح الآية ١
(٦٩) رواه البخاري ح ٣/ ٤٦٧٠ – ٦٥٨١ ورواه مسلم ح١٦٠ .

الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة)) رواه البخاري [٧٠]، وقد ذكر الخطابي عن بعض العلماء: "أن مقصود الحديث ومعناه أن الرؤيا تجيء على موافقة النبوة لا أنها جزء باق من النبوة" [٧١].

بل إن الرؤيا في حق الأنبياء وحي وحق فعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((رؤيا الأنبياء في المنام وحي)) رواه ابن أبي حاتم [٧٢].

المبحث الثاني : رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم قبل غزوة بدر .

قال الله تعالى {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ}[٧٣]،

لقد كان من تدبير الله عز وجل في غزوة بدر الكبرى أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكافرين في الرؤيا قليلا فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك وبشرهم فاطمأنت قلوبهم وكان تثبيتا لهم .

قال تعالى {وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ} أي لو أراكهم الله في منامك كثيرا فأخبرت يا رسول الله أصحابك لجبنتم عنهم واختلفتم فيما بينكم فمنكم من يرى الإقدام ومنكم من لا يرى ذلك والتنازع مما يوجب الفشل .{ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ} أي من ذلك بأن أراكهم قليلا، ثم قال الله سبحانه { وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً}، وهذا أيضاً من لطفه تعالى بهم أن أراهم إياهم قليلاً في رأي العين ليجرئهم عليهم ويطمعهم فيهم.

وقد روى ابن جرير بسنده عن ابن مسعود قال: "لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جانبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مئة. فأسرنا رجلاً منهم، فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفاً" [٧٤].

وقوله تعالى { وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ} فكل من الطائفتين ترى الأخرى قليلة لتقدم كل منهما على الأخرى، قال تعالى {لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً } أي ليلقي بينهم الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على من أراد تمام النعمة عليه من أهل ولايته. ومعنى هذا أنه تعالى أغرى كلاً من الفريقين بالآخر، وقلله في عينه ليطمع فيه وذلك عند

---

(٧٠) رواه البخاري ح ٦٥٨٨ .
(٧١) معالم السنن للخطابي (٤٩٧/٢) .
(٧٢) تفسير القرآن العظيم (٣٥١/٥) .
(٧٣) سورة الأنفال الآيتان ٤٣ - ٤٤ .
(٧٤) تفسير الطبري (٢٤٠/٦) .

المواجهة فلما التحم القتال وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين بقي حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعفيه، كما قال تعالى في سورة آل عمران { فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ}[٧٥][٧٦].

المبحث الثالث: رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في دخول مكة وطوافه بالبيت:

قال الله تعالى: { لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً}[٧٧].

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُري في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تفسر هذا العام فلما وقع ما وقع في قضية الصلح ـ صلح الحديبية وكان من ضمن الشروط أن يرجعوا عامهم هذا على أن يعودوا من العام القابل ـ فلما وقع ذلك وقع في نفس الصحابة من ذلك شيء حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك.

ففي صحيح البخاري أنه قال: قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به، قال صلى الله عليه وسلم: ((بلى فأخبرتك أنا نأتيه العام))، قلت: لا، قال: ((فإنك آتيه ومطوف به))[٧٨].

ولهذا قال الله هنا: { لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ}، وهذا لتحقيق الخبر وتوكيده وليس هذا من الاستثناء في شيء وقد كان كفار قريش صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه طوال السنوات الست التي تلت الهجرة حتى كان العام السادس الذي رأى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الرؤيا في السنة السابعة من الهجرة في ذي القعدة وحصل لهم أمن فيها غير خائفين وهذا ما وعدهم الله به في قوله { آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ}، فأثبت لهم الأمن حال الدخول ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد لا يخافون من أحد، وأما قوله سبحانه { مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ}، فهذه حال مقدرة لأنهم في حال دخولهم لم يكونوا محلقين ومقصرين وإنما كان هذا في ثاني الحال كان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصره.ثم قال تعالى { فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً}، أي فعلم الله تعالى من الخيرة والمصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم ذلك ما لم تعلموا

---

(٧٥) سورة آل عمران الآية ١٣ .

(٧٦) انظر تفسير القرآن العظيم (٣١٨/٣) ، تيسير الكريم الرحمن (١٢٧/٣) الرؤى والأحلام في سيرة خير الأنام ص١١٣ .

(٧٧) سورة الفتح الآية ٢٧ .

(٧٨) رواه البخاري ح٢٥٨١ .

أنتم { فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ } أي قبل دخولكم الذي وعدتم به في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فتحاً قريباً، وهو الصلح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين[٧٩].

وفي هذه الحادثة تتبين عدة أمور:

١- منها: أن الرؤيا بشارة استبشر بها المسلمون لأمر سيحدث لهم وهو دخولهم مكة والطواف بالبيت.

٢-ومنها أنها آية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقه وتحقق ما رأى فإنه رأى ذلك وأخبرهم ووقع لهم ذلك وصدق الله رسوله الرؤيا بالحق.

٣- ومنها: أن تحقق الرؤيا لا يلزم أن يكون عاجلاً كما سبق في رؤيا يوسف أن بين رؤياه وتأويلها أربعون سنة.

٤- ومنها: أن رؤيا الأنبياء وحي وحق وصدق، ولابد من وقوعها، وكما ورد في الحديث عن عائشة، وقد سبق عند قولها "فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"[٨٠].

آيات في الرؤى غير ما ذكر

المبحث الأول: رؤيا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ذبح ولده إسماعيل:

يقول تعالى { فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}[٨١].

يقول تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه بعد ما نصره الله على قومه وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من بين أظهرهم { وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ}، يعني أولاداً مطيعين عوضاً من قومه وعشيرته الذين فارقهم.

قال الله بعدها { فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ }، وهو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وما يكاد يأنس به ويبلغ معه السعي ويرافقه في الحياة ويترعرع أمامه وبلغ سناً يكون في الغالب أحب ما يكون لوالديه قد ذهبت مشقته وأقبلت منفعته، فقال له إبراهيم عليه الصلاة والسلام { إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ}، ورؤيا الأنبياء وحي كما تقدم ـ فهو يعرض الأمر على ابنه ليأخذ الأمر طاعة لله وليس قهراً واضطراراً لينال أجر الطاعة والتسليم { فَانظُرْ مَاذَا تَرَى}، فإن الله أمر بذلك فلابد من تنفيذه، فما كان من أمر إسماعيل عليه

---

(٧٩) تفسير القرآن العظيم (٥/٦٣٥ – ٦٣٩).الرؤى والأحلام في سيرة خير الأنام ص ١١٦

(٨٠) سبق تخريجه .

(٨١) سورة الصافات الآيات من (١٠١ – ١٠٧) .

الصلاة والسلام إلا أن ارتقى إلى طاعة التسليم التي ارتقى لها أبوه عليهما الصلاة والسلام { قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ }، فأخبر اباه أنه موطن نفسه على الصبر وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى لأنه لا يكون شيء بدون مشيئته سبحانه.

{ فَلَمَّا أَسْلَمَا }، يعني استسلما وانقادا فإبراهيم امتثل أمر ربه بذبح ابنه وإسماعيل امتثل طاعة الله وطاعة أبيه. { وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}، أي صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه.

{وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا}، أي في تلك الحالة نودي: أن قد فعلت ما أمرت به فإنك وطنت نفسك على ذلك وفعلت كل سبب ولم يبق إلا إمرار السكين على حلقه.

فلما قدم إبراهيم عليه الصلاة والسلام حب الله وآثره على هواه وعزم على ذبح ولده وصدق القلب في عدم مزاحمة حب غير الله مع حب الله سبحانه بقي الذبح لا فائدة منه فلهذا قال سبحانه {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}، أي صار بدله ذبح من الغنم ذبحه إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

فكان عظيماً من جهة أنه فداء لإسماعيل عليه الصلاة والسلام ومن جهة أنه من جملة العبادات الجليلة ومن جهة أنه كان قرباناً وسنة إلى يوم القيامة[٨٢].

وفي هذه الحادثة يتبين لنا عظم شأن الرؤيا وأنها بالنسبة للأنبياء وحي ولذلك لزم إبراهيم عليه الصلاة والسلام تنفيذ أمر ربه لما رأى رؤيا.

ولهذا ولما كان أمر الرؤيا عظيماً كان الكذب فيها أشد من الكذب في الحقيقة كما سبق ذكر ذلك وأن من تحلم بحلم لم يره كلف أن يفقد بين شعيرتين ولن يفعل كما ورد به الخبر عن المصطفى صلى الله عليه وسلم[٨٣].

المبحث الثاني: الرؤيا الصالحة بشرى للمؤمن:

قال الله تعالى { أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[٨٤].

يخبر تعالى عن أوليائه وأحبائه ويذكر أعمالهم وأوصافهم وثوابهم فيقول سبحانه { أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ}، فيما يستقبلونه مما أمامهم { وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}، على

([٨٢]) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣٥٠ – ٣٥٢) ، تيسير الكريم الرحمن (٣٨٩/٦ – ٣٩١) الرؤى والأحلام ص ١٠٢ .

([٨٣]) سبق تخريجه .

([٨٤]) سورة يونس الآيات ٦٢ – ٦٣ – ٦٤ .

ما أسلفوا لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال، ثم ذكر وصفهم فقال سبحانه { الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}، فكل من كان مؤمنا تقياً كان لله ولياً.

ثم قال الله سبحانه { لَهُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ} أما البشارة في الدنيا فهي الثناء الحسن والمودة في قلوب المؤمنين وكذلك الرؤيا الصالحة فقد وردت عدة أحاديث تفسر البشرى في الحياة الدنيا بأنها الرؤيا الصالحة ومنها حديث أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم: سأل عن قوله عز وجل { لَهُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}، فقال صلى الله عليه وسلم: ((هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له)) رواه أحمد، وزاد ((وبشراه في الآخرة الجنة)) (٨٥).

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((لم يبق من النبوة إلا المبشرات))، قالوا: وما المبشرات؟ قال: ((الرؤيا الصالحة)) (٨٦).

وأما البشارة في الآخرة فأولها البشارة عند قبض أرواحهم كما قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}(٨٧)، وكذلك في القبر ما يبشر به من رضا الله والنعيم المقيم وفي الآخرة تمام البشرى بدخول جنات النعيم(٨٨).

وفي هذه الآيات دلالة واضحة على أن من أسباب صدق الرؤيا تحقيق ولاية الله تعالى، وأولياء الله هم كما بينهم الله في هذه الآيات { الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}(٨٩).

قال ابن عبد البر: "فمن خلصت له نيته في عبادة الله ويقينه وصدق حديثه كانت رؤياه أصدق وإلى النبوة أقرب" أ.هـ(٩٠).

وقال ابن القيم: "ومن أراد أن تصدق رؤياه فليتحر الصدق وأكل الحلال والمحافظة على الأمر والنهي ولينم على طهارة كاملة مستقبل القبلة ويذكر الله حتى تغلبه عيناه فإن رؤياه لا تكاد تكذب البتة" أ.هـ(٩١).

---

(٨٥) المسند (٥٣٨/٤٥) .
(٨٦) رواه البخاري ح ٦٥٨٩.
(٨٧) سورة فصلت آية ٣٠ .
(٨٨) انظر تيسير الكرم الرحمن (٣٦٧/٣) .
(٨٩) الرؤى عند أهل السنة ص ١٦٧ .
(٩٠) التمهيد (١/ ٢٨٣) .
(٩١) مدارج السالكين (٥١/١) .

المبحث الثالث: الوحي يفسر أحياناً بالرؤيا:

الوحي في القرآن يطلق على عدة معان، وأحد هذه المعاني هي الرؤيا، وهذا أيضاً يكون على تفسير لبعض العلماء، وقد ورد في ذلك آيتين:

أولاهما: قوله تعالى { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ}[٩٢].

هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله سبحانه، ففي هذه الآية ذكر الله تعالى أنواع التكليم العام، فقال سبحانه { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً}.

قال البغوي: " يوحي إليه في المنام أو بالإلهام" [٩٣].

وقال ابن الجوزي: " والمراد بالوحي ههنا الوحي في المنام". أهـ[٩٤].

{ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}، وهذا كما حصل لموسى عليه الصلاة والسلام.

{ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ}، كما ينزل جبريل وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[٩٥].

فهذه الآية دلت عند بعض العلماء ـ على أن رؤيا الأنبياء وحي، وهذا قد وردت فيه الأحاديث كما سبق.

الآية الأخرى: قال تعالى { وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ}[٩٦].

لما أوجد الله رسوله موسى عليه الصلاة والسلام الذي جعل استنقاذ هذا الشعب الإسرائيلي على يديه وبسببه، وكان في وقت تلك المخافة العظيمة التي يذبحون بها الأبناء أوحى الله إلى أمه أن ترضعه ويمكث عندها. وقد اختلف العلماء في بيان هذا الوحي فمنهم من قال كان إلهاماً، ومنهم من قال: كان قولاً في منامها. قال تعالى { فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ}، بأن أحسست أحداً تخافين عليه منه أن يوصله إلى آل فرعون {فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ}، وهو نيل مصر في وسط تابوت مغلق { وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ}، فبشرها بأنه سيرده إليها وأن سيكبر ويسلم من كيدهم ويجعله

---

(٩٢) سورة الشورى آية ٥١ .
(٩٣) معالم التنزيل (٢٠٠/٧) .
(٩٤) زاد المسير (٢٩٧/٧) .
(٩٥) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٥١٤) الرؤى عند أهل السنة ص ١٩٨ .
(٩٦) سورة القصص آية ٧ .

الله رسولاً، وهذا من أعظم البشائر الجليلة وتقديم هذه البشارة لأم موسى ليطمئن قلبها ويسكن روعها[٩٧]

وعلى القول بأن الوحي هنا رؤيا منام فهذا يؤيد ما سبق من أن الرؤيا من المبشرات لكن هنا لا يمكن أن نقول إن الوحي وحي نبوة لأنه بالاتفاق لم تكن أم موسى نبية. ولكن نقول إن الوحي هنا إذا كان رؤيا منام فهي من الرؤيا الصالحة ومن المبشرات، والله تعالى أعلم.

خاتمة

وفيها أهم النتائج

في نهاية هذا البحث توصلت إلى نتائج وهي كما يلي:

١ـ شرف علم الرؤى وتأويلها.

٢ـ الرؤيا هي ما يراه الإنسان في النوم، وقد يستعمل على الرؤية في اليقظة.

٣ـ لفظ الرؤيا غلب على ما يراه الإنسان في النوم من الخير بخلاف الحلم فغلب على ما يراه الإنسان في النوم من الشر.

٤ـ الرؤيا الصالحة هي التي تعبر وهي على نوعين:

أـ ما هو ظاهر لا يحتاج إلى تأويل.

ب ـ ما هو من ضرب الأمثال للنائم وهذا هو الغالب في الرؤى.

٥ـ قد يتأخر تأويل وقوع الرؤيا إلى أمد بعيد وهذا إذا كانت الرؤيا مبشرة وسارة في الغالب بخلاف ما إذا كانت ردية فالغالب أن يراها قريب وقوعها.

٦ـ أن علم الرؤى من العلوم الشرعية وأن يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه.

٧ـ أن من تحلم بباطل وفسره فقد يلزم بتأويله.

٨ـ ما ينبغي أن يكون عليه معبري الرؤى من عدم جعل مجال تعبير الرؤى تكسباً للمال واستغلال للناس وعدم نصحهم.

٩ـ تأويل الرؤى لا يقتصر على مجرد فك رموز الرؤيا فقط بل ينبغي على المعبر أن يكون تفسيره متضمناً لإرشاد السائل إلى ما ينفعه وتحذيره عما يضره.

١٠ـ أن رؤيا الكافر تصدق أحياناً.

١١ـ أن الرؤى المذكورة في القرآن ذكرت في أحداث عظيمة تغير فيها شأن كبير للرائي أو المرئي، فرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم قبل غزوة بدر وكذلك رؤياه قبل صلح الحديبية كلاهما تغير بسببه شأن المسلمين، وكذلك رؤيا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فقد شرعت الأضاحي والهدي بعدها وكذلك رؤيا يوسف، ورؤيا الملك والفتيين تغير بسببها شأن يوسف عليه الصلاة والسلام.

---

(٩٧) الجامع لأحكام القرآن (١٣ / ٢٢٤) . تيسير الكريم الرحمن (٦/٦) .

١٢ـ من أراد أن تصدق رؤياه فليكن من أولياء الله.

وفي ختام هذا البحث أسأل الله أن يكون خالصاً لوجهه، وأن ينفعني به وينفع به غيري، وما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله عليه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الآداب الشرعية ـ محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة ١٤١٧هـ

إعلام الموقعين عن رب العالمين- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف، مكتبة الكليات الأزهرية .

البدر المنير في علم التعبير – الشهاب العابر المقدسي، تحقيق حسين جمعة، مؤسسة الريان الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، تحقيق مصطفى العلوي ومحمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب١٣٨٧هـ .

تفسير القرآن العظيم. إسماعيل بن كثير، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ

تيسير الكريم الرحمن. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المجموعة الكاملة للشيخ، مركز صالح بن صالح الثقافي، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ.

جامع البيان في تأويل آي القرآن. محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .

الجامع الصحيح المختصر. محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير، الطبعة ١٤٠٧هـ

الجامع الصحيح (سنن الترمذي) محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي.

الجامع لأحكام القرآن. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ

الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين. د. سهل بن رفاع العتيبي، دار كنوز اشبيليا، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ

الرؤى والأحلام في سيرة خير الأنام. جمعة أسامة بن كمال، مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ .

كتاب الرؤيا. حمود بن عبد الله التويجري، مصدر إلكتروني المكتبة الشاملة.
زاد المسير في علم التفسير. عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ
شرح السنة. الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية.
صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد بن فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي .
الطبقات الكبرى. محمد بن سعد البصري، تحقيق إحسان عباس، دار صادر الطبعة الأولى ١٩٦٨م .
فتح الباري. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة التي حققها الشيخ عبد العزيز بن باز ورقم أحاديثها محمد بن فؤاد عبد الباقي، دار الفكر .
مدارج السالكين. محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ .
مسند الإمام أحمد. أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ .
مصنف عبد الرزاق. أبو بكر عبد الرازق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الأعظمي المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .
معالم التنزيل. الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد النمر وآخرون، دار طيبة، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ .
معالم السنن. أبو سليمان الخطابي، (مصدر الكتروني المكتبة الشاملة) .
معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار عالم الكتب، دار الجيل، طبعة ١٤٠٢ هـ .
المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية.
مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني دار القلم.
الموطأ. مالك بن أنس، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد آل نهيان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
النهاية في غريب الحديث والأثر. أبو السعادات ابن الأثر الجزري، تخريج وتعليق صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

المسائل التي انفرد بها الإمام أبو عوانة - رحمه الله - عن المذاهب الفقهية الأربعة في بعض أبواب الصلاة من كتابه "المستخرج"

إعداد

هند بنت عبد الرحمن بن علي الطريقي

ماجستير في الفقه وأصوله من قسم الدراسات الإسلامية

بكلية التربية في جامعة الملك سعود

Doi: 10.33850/jasis.2019.44487

الاستلام : ١٣/ ٤ /٢٠١٩ القبول : ١٦ / ٥ /٢٠١٩

المستخلص:

عُرف الإمام أبو عوانة الإسفراييني - رحمه الله - من خلال كتابه "المسند الصحيح المُخَرَّج على صحيح مسلم" بإمامته في الحديث، واتساع روايته، إلا أنه - رحمه الله - اعتنى بفقه الحديث عناية خاصة من خلال التبويب؛ فقد احتوت تراجمه للأحاديث على مسائل فقهية عديدة. وهذا البحث يهدف إلى إبراز الجانب الفقهي للإمام أبي عوانة - رحمه الله - من خلال عرض المسائل التي انفرد برأيه الفقهي فيها عن المذاهب الفقهية الأربعة في جزء من أبواب الصلاة. واشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة: المقدمة: وفيها: مشكلة البحث، وأهميته، وأسباب اختياره، ومصطلحاته، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وإجراءاته. التمهيد: وفيه: أولًا: نبذة موجزة عن الإمام أبي عوانة - رحمه الله - . ثانيًا: التعريف بكتاب "المسند الصحيح". المباحث: وهي أربعة مباحث: المبحث الأول: ما يقال في السكتة بين تكبيرة الافتتاح، والقراءة. المبحث الثاني: من أذكار الصلاة. المبحث الثالث: إعادة الصلاة في جماعة أخرى. المبحث الرابع: محل سجود السهو. وأما الخاتمة: فاشتملت على أبرز نتائج البحث، وتوصياته. هذا وأسأل الله أن ينفعني به، والمسلمين، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم.

الكلمات الدلالية للبحث: فقه، مقارن، شافعي، المستخرجات، أبو عوانة.

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله،

وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده، ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد:

جاءت شريعة الإسلام كاملة، وشاملة لكل شيء، فلم يلحق رسول الله - رحمه الله - بالرفيق الأعلى إلا وقد أكمل الله ﷻ الدين، ومن رحمة الله تعالى بالأمة أن قيض لها علماء ربانيين اجتهدوا في فهم نصوص الكتاب، والسنة، والاعتناء بهما، وفهم أحكامهما.

ومن هؤلاء العلماء الإمام أبي عَوَانة - رحمه الله - ، الذي اقتدى بعلماء السلف الصالح، فخدم السنة النبوية، والفقه من خلال كتابه "المستخرج".

وقد اعتنى- رحمه الله - بفقه الأحاديث عناية خاصة من خلال تراجمه في تبويبه للأحاديث؛ فلربما استغرق الإمام- رحمه الله - في ترجمة بعض الأحاديث ربع صفحة، فيذكر فيها المسائل الفقهية المستفادة من الحديث.

ولم يتقيد الإمام أبو عوانة - رحمه الله - بمذهبه الشافعي، فإذا رأى أن الدليل على خلاف مذهب الشافعية أخذ به، وترك مذهبه.

واعتناءُ الإمام أبي عوانة - رحمه الله - بذكر المسائل الفقهية في التبويب للأحاديث هي طريقة أئمة الحديث مثل الإمام البخاري، وغيره[1].

ولما كانت مسائل كتاب "المستخرج" التي ذكرها الإمام أبو عوانة - رحمه الله - تشمل جميع أبواب الفقه، رأى مسار الفقه، وأصوله، بقسم الدراسات الإسلامية، بكلية التربية في جامعة الملك سعود، مناسبة طرحه مشروعًا خاصًا بفقه الإمام أبي عوانة من كتابه "المستخرج"، من خلال دراسة تراجم أبوابه.

وفي هذا البحث عرض للمسائل الفقهية التي انفرد بها الإمام - رحمه الله - عن المذاهب الفقهية الأربعة في بعض أبواب الصلاة، وهو جزء من رسالتي في الماجستير ضمن مشروع فقه الإمام أبي عوانة- رحمه الله - ، وهي بعنوان: فقه الإمام أبي عوانة الإسفراييني من كتابه "المستخرج" من أول باب "بيان إباحة ترك انتظار الجماعة للصلاة إذا أخروها عن وقتها" إلى آخر باب "بيان حظر التصفيق في الصلاة للرجال"، إشراف: أ.د/ عبد العزيز بن سعود الضويحي، ونوقشت في ١٤٣٨/٤/٢٠هـ، وحصلت على درجة الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

([1]) من الكتب المؤلفة في ذلك: "المتواري على تراجم أبواب البخاري"، لابن المنير، و"تراجم البخاري"، للقاضي بدر الدين بن جماعة، ورسالة "شرح تراجم أبواب صحيح البخاري"، لأحمد الدهلوي.

مشكلة البحث:

لم يُفرد الإمام أبو عوانة الإسفراييني - رحمه الله - كتابًا مستقلًا في الفقه، وإنما ألف "المسند الصحيح المخرّج على صحيح مسلم"، وحوى فقهه مفرقًا في تراجمه لأبواب الكتاب، فمن أراد الاطلاع على فقهه وجد صعوبة في ذلك، فناسب أن يجمع ما تناثر من فقهه في كتاب يحويها، مع دراستها دراسة مقارنة.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١. يكتسب البحث أهميته من أهمية الموضوع الذي استمد منه، وهو الصلاة.
٢. الارتباط الوثيق بين السُّنَّة النبويَّة، والفقه الإسلامي؛ باعتبارها إحدى مصادره.
٣. إبراز الجانب الفقهي الذي اتَّسم به الإمام أبو عوانة - رحمه الله - ، فضلاً عنْ كونه إمامًا في الحديث.
٤. الاستفادة من طريقة المحدثين في صياغتهم للتراجم الفقهية؛ مما يسهل استخراج الأحكام من أحاديث الباب.

مصطلحات البحث:

المستخرج: نوع من المصنفات الحديثية يأتي مصنفه إلى كتاب من كتب الحديث كـ"صحيح مسلم" مثلاً، فيخرِّج أحاديث هذا الكتاب بأسانيد لنفسه من غير طريق الكتاب الذي يعمل عليه، حيث يلتقي إسناد المصنف مع شيخ الكتاب الذي يعمل عليه، أو مع شيخه، أو من فوقه، ولو حصل الالتقاء في صحابي الحديث[٢].

حدود البحث:

المسائل التي انفرد بها الإمام أبو عوانة الإسفراييني - رحمه الله - عن المذاهب الفقهية الأربعة من أول باب "بيان إباحة ترك انتظار الجماعة للصلاة إذا أخروها عن وقتها" إلى آخر باب "بيان حظر التصفيق في الصلاة للرجال"، وقد اعتمدت على النسخة المحققة التي أصدرتها الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، الطبعة الأولى، عام ١٤٣٥هـ

الدراسات السابقة:

بعد البحث في مكتبة الملك فهد الوطنية، ومركز الملك فيصل للبحوث، والدراسات الإسلامية، والبحث في مكتبات الجامعات الخاصة، والمكتبات العامة في المملكة العربية السعودية، لم أجد رسالة كتبت عن فقه الإمام أبي عوانة - رحمه الله - في موضوع هذا البحث، والموجود في المكتبات هي أبحاث مجموعة من طلبة الماجستير ضمن مشروع فقه الإمام أبي عوانة - رحمه الله - التابع لقسم الدراسات الإسلامية في كلية التربية

(٢) انظر: "فتح المغيث"، للسخاوي (٥٧/١). [بتصرف].

بجامعة الملك سعود، وهذه الأبحاث أبرزت فقه الإمام أبي عوانة - رحمه الله - في كتب، وأبواب فقهية مختلفة عن أبواب هذا البحث.

منهجية البحث، وإجراءاته:

منهج البحث: اعتمدت في البحث على المنهج التحليلي.

إجراءات البحث:

سلكت في إعداد، وتحرير هذا البحث الطريقة التالية:

١. الاعتماد على كتاب "المسند الصحيح المخرَّج على صحيح مسلم"، من نشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ

٢. الالتزام بترتيب الإمام أبي عوانة للكتب، والأبواب، إلا إذا كان الباب مرتبطًا بالذي قبله فأجمع بينهما.

٣. أضع عنوانًا لكل ترجمة، مالم تكن مشتملة على مسائل عديدة، فإني أفرد لكل مسألة عنوانًا.

٤. دراسة الترجمة وفق الآتي:

أ- ذكر الترجمة التي ترجم بها الإمام أبو عوانة للباب قبل دراسة المسألة دراسة فقهية، أما التراجم المتضمنة لأكثر من مسألة، فإني اذكر الترجمة في أول مسألة، وأشير إلى تضمنها مسائل، وأفردت كل مسألة في مبحث، أو مطلب مستقل، وكذلك التراجم المتتالية الدالة على مسألة واحدة.

ب- ذكر غريب الترجمة، قبل دراستها.

ت- دراسة المسألة دراسة فقهية، وفق الآتي:

١. ترتيب المسألة كالآتي: اذكر صورة المسألة -إن لزم ذلك-، ثم أحرر محل الخلاف -إن وجد-، ثم أعرض الأقوال في المسألة مبينة رأي الإمام أبي عوانة - رحمه الله - ، ثم الأدلة، ثم المناقشة -إن وجدت-، ثم الترجيح.

٢. في ترتيب الأقوال أقدم القول الموافق لرأي الإمام - رحمه الله - .

٣. دراسة المسألة دراسة فقهية مقارنة بين المذاهب الأربعة، مع ذكر أدلة كل قول، ثم ما يرد عليها من مناقشة -إن وجدت-، ثم أبين الراجح في المسألة.

٤. المراد بالفقهاء في البحث: فقهاء المذاهب الأربعة.

٥. ذكر الأدلة التي استدل بها الإمام - رحمه الله - ، مع بيان وجه الاستدلال.

٦. اذكر وجه الدلالة من الدليل، وأعزوه إلى من ذكره، فإن لم أجد من ذكره اجتهدت في بيانه.

٥. الأخذ بالمنهج العلمي المتبع في الحواشي، وهو:

أ. عزو الآيات القرآنية، بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

ب. تخريج الأحاديث، والآثار الواردة في البحث، وفق الآتي:

١. أخرج أدلة الإمام أبي عوانة من "المستخرج" بلفظها، ومن كتب المتون الحديثية، فإن كانت في الصحيحين، أو أحدهما، فاكتفي بالعزو إليهما، أو إلى أحدهما.
وإن كانت في غير الصحيحين، وهي عند أصحاب الكتب الستة عزوتها إلى مصادرها، مع ذكر درجة الحديث صحةً، وضعفًا.
٢. أخرج بقية الأحاديث، والآثار الواردة في البحث وفق المنهج المتقدم.
ت. عزو النصوص المقتبسة من المراجع، والمصادر، مع الإشارة إلى الاسم المتعارف عليه للكتاب، والجزء، والصفحة في الهامش، وتجمع بيانات المرجع كاملة في ثبت المراجع.
ث. ترتيب المراجع في الحاشية يكون وفق الترتيب المذهبي، فأبدأ بالمذهب الحنفي، ثم المالكي، ثم الشافعي، ثم الحنبلي، ويكون الترتيب في المذهب الواحد بالأقدم وفاة.
ج. لم أترجم لأحد من الأعلام.
٦. شرح الألفاظ الغريبة.
٧. ضبط الألفاظ المبهمة بالشكل.

التمهيد، وفيه:

أولًا: ترجمة موجزة للإمام أبي عوانة - رحمه الله - .

- **اسمه، ونسبه، وكنيته، ومولده، ووفاته:**

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد النيسابوري[٣] الأصل، الإسفراييني[٤]، ويكنَّى: بأبي عَوَانة[٥]، وقد اشتهر بها[٦].

([٣]) النيسابوري نسبة إلى نيسابور، وهي: مدينة عظيمة من بلاد خراسان، وهي: معدن الفضلاء، ومنبع العلماء، اختلف في تسميتها بهذا الاسم؛ فقال بعضهم: إنما سميت بذلك؛ لأن سابور مرّ بها وفيها قصب كثير، فقال: يصلح أن يكون هاهنا مدينة، فقيل لها نيسابور، وقيل اسمها: سابور، وقيل: خواست. انظر: "معجم البلدان" (٣٣١/٥)، و"الروض المعطار في خبر الأقطار" (ص: ٥٨٨).

([٤]) الإسفراييني نسبة إلى إسْفَرَايين، وهي: بلدة حصينة من نواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان، واسمها القديم مهرجان، سمّاها بذلك بعض الملوك؛ لخضرتها، ونضارتها. انظر: "معجم البلدان"(١٧٧/١)، و"الروض المعطار في خبر الأقطار"(ص:٥٧).

([٥]) لم يذكر أصحاب التراجم سبب تكنيته بأبي عوانة، أو المراد بها، وليس للإمام ابن باسم عوانة، وإنما له ابن واحد اسمه محمد، ويكنى بأبي مصعب. انظر: "تذكرة الحفاظ" (٣/٣)، و"طبقات الفقهاء الشافعيين" (٢٣٦/١).

أما مولده: فولد بعد الثلاثين ومائتين[٧]، وتوفي - رحمه الله - في سلخ ذي الحجة سنة ٣١٦هـ، في إسفرايين[٨].

- **طلبه للعلم:**

اعتنى الإمام - رحمه الله - بطلب العلم، وتحصيله؛ فطاف الدنيا، وتنقل بين البلدان، وأكثر من الترحال؛ حتى لقب بالجوَّال[٩].

واشتغل الإمام - رحمه الله - بعلم الحديث، وحفظه، وسماعه من كبار المحدثين، حتى برع فيه، وبرز على أقرانه، وشهد له العلماء بالحفظ، والعلم[١٠].

كما اعتنى الإمام - رحمه الله - بأخذ الفقه الشافعي، ونشره، فكان أول من نشر الفقه الشافعي بإسفرايين[١١]، قال السبكي : (وهو أول من أدخل مذهب الشافعي إلى إسفرايين أخذه عن المزني، والربيع) [١٢].

وعَوَانة في اللغة: النخلة الطويلة، وقيل: دودة تخرج من الرمل فتدور أشواطًا كثيرة، وقيل: دابة دون القنفذ تكون في وسط الرمل. انظر مادة (عون) في: "تهذيب اللغة" (١٢٩/٣)، و"لسان العرب" (٣٠٠/١٣).

(٦) انظر: "تاريخ دمشق" (١٤٥/٧٤)، و"الأنساب" (ص:٢٣٥-٢٣٧)، و"معجم البلدان" (١٧٨/١)، و"طبقات الفقهاء الشافعية" (٢/ ٦٧٩)، و"وفيات الأعيان" (٣٩٣/٦)، و"تذكرة الحفاظ" (٣/٣)، و"سير أعلام النبلاء" (٤١٧/١٤)، و"مرآة الجنان وعبرة اليقظان" (٢٠٢/٢)، و"طبقات الشافعية الكبرى" (٤٨٧/٣)، و"طبقات الشافعية"، للأسنوي (٨٧/٢)، و"طبقات الفقهاء الشافعيين" (٢٣٥/١)، و"البداية والنهاية" (٣٤/١٥)، "طبقات الشافعية" (٦٨/١)، و"طبقات الحفاظ" (ص:٣٢٩)، و"شذرات الذهب في أخبار من ذهب" (٨٠/٤).

(٧) انظر: "سير أعلام النبلاء"، للذهبي (١٤/ ٤١٧). ولم يذكر مولده غير الذهبي من أصحاب التراجم.

(٨) انظر: "وفيات الأعيان" (٣٩٤/٦)، و"سير أعلام النبلاء" (٤١٩/١٤)، و"العبر في خبر من غبر" (٤٧٣/١)، و"طبقات الشافعية الكبرى" (٣/ ٤٨٨)، و"طبقات الشافعية" (٨٧/٢)، و"طبقات الفقهاء الشافعيين" (٢٣٥/١)، و"طبقات الحفاظ" (ص:٣٢٩).

(٩) انظر: "تاريخ دمشق" (١٤٥/٧٤)، و"معجم البلدان" (١٧٨/١)، و"سير أعلام النبلاء" (٤١٧/١٤).

(١٠) انظر: "سير أعلام النبلاء"(١٤/ ٤١٩)، و"طبقات الشافعية الكبرى" (٤٨٧/٣)، و" طبقات الفقهاء الشافعيين" (٢٣٦/١)، و"طبقات الحفاظ" (ص: ٣٢٩).

(١١) انظر: "تذكرة الحفاظ" (٣/٣)، و"سير أعلام النبلاء" (٤٢٠/١٤)، و"طبقات الشافعية الكبرى" (٤٨٧/٣)، و"طبقات الفقهاء الشافعيين" (٢٣٥/١)، و"وفيات الأعيان" (٣٩٤/٦)، و"طبقات الحفاظ" (ص:٣٢٩).

(١٢) "طبقات الشافعية الكبرى" (٤٨٧/٣).

وكان - رحمه الله - فقيهًا مجتهدًا؛ يحكم في المسائل بما توصل إليه نظره في الأدلة، فيحكم بما يوافقها، وتدل عليه؛ فخالف مذهبه الشافعي في مسائل، منها: قراءة الفاتحة خلف الإمام، ومحل سجود السهو، وغير ذلك.

- **شيوخه، وتلاميذه:**

تتلمذ الإمام - رحمه الله - في رحلاته على جمع من العلماء، في بلدان كثيرة، مختلفة منها ما يلي:

١. في مصر سمع: يونس بن عبد الأعلى ، والمزني، والربيع، وغيرهم[١٣].
٢. في دمشق سمع: يزيد بن عبد الصمد، وإسماعيل بن قيراط، وغيرهم[١٤].
٣. في خُراسان[١٥] سمع: محمد بن يحيى الذهلي، ومسلم بن الحجاج، وأحمد بن سعيد الدارمي، وأقرانهم[١٦].
٤. في الرَّي سمع: أبا زرعة، وفضلك، وأبا حاتم، وغيرهم[١٧].
٥. في العراق سمع: الحسن الزعفراني ، وعمر بن شبة، وغيرهم[١٨].
٦. في الجزيرة سمع: علي بن حرب ، وغيره[١٩].

كما سمع - رحمه الله - بفارس، وبغداد، والبصرة، والكوفة، والحجاز، وبالشام، والجزيرة، واليمن، وأصفهان[٢٠]، والأهواز خلقًا يسئم تعدادهم[٢١].

([١٣]) انظر: "تاريخ دمشق" (١٤٦/٧٤)، و"معجم البلدان" (١٧٨/١)، و"طبقات الفقهاء الشافعية" (٦٨٠/٢).

([١٤]) انظر: "تاريخ دمشق" (١٤٥/٧٤)، و"معجم البلدان" (١/ ١٧٨)، و"وفيات الأعيان" (٣٩٣/٦).

([١٥]) خُراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند، وتشتمل على أمّهات من البلاد منها: نيسابور، وهراة، ومرو، وسرخس، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون. انظر: "معجم البلدان"(٣٥٠/٢)، و"آثار البلاد وأخبار العباد" (ص: ٣٦١).

([١٦]) انظر: "تاريخ دمشق" (١٤٦/٧٤)، و"معجم البلدان" (١٧٨/١)، و"طبقات الفقهاء الشافعية" (٦٨٠/٢).

([١٧]) انظر: "طبقات الفقهاء الشافعية"، لابن الصلاح (٦٨٠/٢).

([١٨]) انظر: "تاريخ دمشق" (١٤٦/٧٤)، و"معجم البلدان" (١٧٨/١)، و"وفيات الأعيان" (٣٩٣/٦).

([١٩]) انظر: "تاريخ دمشق" (١٤٦/٧٤)، و"معجم البلدان" (١٧٨/١).

([٢٠]) أصفهان: ويقال: أصبهان، مدينة عظيمة من بلاد فارس، سميت باسم بانيها: أصبهان بن نوح، وقيل: سميت أصبهان؛ لأن (أصبه) بلسان الفرس البلد، (وهان) الفرس، معناه: بلد الفرسان. وتضم اثنتا عشرة مدينة، أشهرها: جي، وشهرستان. انظر: "آثار البلاد وأخبار العباد" (ص: ٢٩٦)، و"الروض المعطار في خبر الأقطار" (ص:٤٣).

وقد تتلمذ على الإمام - رحمه الله - جمع كبير من المحدثين من كبار المحدثين، ومصنفيهم، كأحمد بن علي الرازي، وأبي علي النيسابوري، والطبراني، وعبد الله ابن عدي[٢٢].

كما أخذ عنه - رحمه الله - : حفيده شافع بن محمد، وابن أخته الحسن بن محمد بن إسحاق الإسفراييني، وابن ابن أخته عبد الملك بن الحسن ، وغيرهم[٢٣].

- **مصنفاته:**

اشتهر عن الإمام أبي عوانة - رحمه الله - كتابه "المستخرج"، كما رَوى - رحمه الله - عدة كتب عن جماعة من المحدثين، وهي:

١. كتب الإمام عبد الرزاق.
٢. كتب الإمام ابن أبي الدنيا.
٣. أحاديث سفيان.
٤. أحاديث شعبة .
٥. أحاديث مالك.
٦. أحاديث الأوزاعي[٢٤].
٧. أحاديث "مختصر المزني"[٢٥].

ثانيًا: التعريف بكتاب "المسند الصحيح".

- **اسم الكتاب، ونسبته للإمام:**

صنف الإمام أبو عوانة - رحمه الله - "المسند الصحيح المخرَّج على صحيح مسلم"[٢٦]، ونسبة الكتاب للإمام صحيحه، وثابتة باتفاق أصحاب التراجم[٢٧]، مع اختلافهم في اسم الكتاب؛ فيقال: "المسند"[٢٨]، أو "الصحيح"[٢٩]، أو "الصحيح

---

(٢١) انظر: "طبقات الفقهاء الشافعية"، لابن الصلاح (٦٨٠/٢).
(٢٢) انظر: "سير أعلام النبلاء"(١٤/ ٤١٩)، و"طبقات الشافعية الكبرى" (٤٨٧/٣)، و"طبقات الفقهاء الشافعيين" (٢٣٦/١)، و"طبقات الحفاظ" (ص: ٣٢٩).
(٢٣) انظر: "تذكرة الحفاظ" (٣/٣)، و"سير أعلام النبلاء" (٤١٩/١٤).
(٢٤) انظر: "سير أعلام النبلاء"، للذهبي (٧٢/١٧).
(٢٥) انظر: "طبقات الفقهاء الشافعية"، لابن الصلاح (٦٧٩/٢).
(٢٦) رجّح محققو الكتاب هذا الاسم؛ لأنه جامع للأوصاف التي ذكرها العلماء. انظر: "مقدمة تحقيق المسند الصحيح" (ص:٨٠-٨٢).
(٢٧) انظر: "وفيات الأعيان" (٣٩٣/٦)، "سير أعلام النبلاء" (٤١٧/١٤)، و"تذكرة الحفاظ" (٣/٣)، و"طبقات الشافعية" (٦٨/١)، و"طبقات الحفاظ" (ص:٣٢٩).
(٢٨) انظر: "طبقات الفقهاء الشافعية" (٦٧٩/٢)، و" طبقات الشافعية" (٨٧/٢).
(٢٩) انظر: "طبقات الفقهاء الشافعيين"، لابن كثير (٢٣٥/١).

المسند"[٣٠]، أو "المسند الصحيح"[٣١]، أو "مختصر المسند الصحيح"[٣٢]، أو "المسند المصَحَّح المخرَّج على كتاب مسلم"[٣٣].
وسبب اختلافهم راجع إلى أن الإمام - رحمه الله - لم يسم مؤَلَّفه[٣٤].

- **موضوع الكتاب:**

تخريج الإمام أبي عوانة - رحمه الله - أحاديث النبي - رحمه الله - ، وآثار الصحابة، والتابعين الواردة في صحيح مسلم، وأحمد بن سلمة[٣٥] [٣٦]، بأسانيد إلى نفسه من غير طريقهما[٣٧].

- **درجة أحاديث الكتاب:**

الأحاديث الواردة في "المستخرج" غالبها صحيح؛ فهو مخرَّج على صحيح مسلم[٣٨]، وفيه الحسن، والضعيف، والموقوف، قال ابن حجر: (كتاب أبي عوانة، وإن سماه

([٣٠]) انظر: "العبر في خبر من غبر" (٤٧٣/١)، و"شذرات الذهب في أخبار من ذهب" (٨٠/٤).
([٣١]) انظر: "سير أعلام النبلاء" (٤١٧/١٤)، "مرآة الجنان وعبرة اليقظان" (٢٠٢/٢).
([٣٢]) انظر: "صيانة صحيح مسلم"، لابن الصلاح (ص: ٨٨).
([٣٣]) انظر: "معجم البلدان"، لياقوت الحموي (١٧٨/١).
([٣٤]) انظر:"المسند الصحيح المخرَّج على صحيح مسلم"(٥/١-١٩)، و"مقدمة تحقيق المسند الصحيح"(ص:٧٧و٢٤٢).
([٣٥]) أحمد بن سلمة النيسابوري، البزاز، أبو الفضل. الحافظ، الحجة، المعدّل، رفيق مسلم في الرحلة إلى بلخ، والبصرة، له مستخرج كهيئة "صحيح مسلم"، توفي سنة ٢٨٦ه. انظر: "تذكرة الحفاظ" (١٥٦/٢)، و"طبقات الحفاظ" (ص: ٢٨٣-٢٨٤).
([٣٦]) قال السيوطي: (ولذلك يقول أبو عوانة في مستخرجه على مسلم بعد أن يسوق طرق مسلم كلها: من هنا أخرجه، ثم يسوق أسانيد يجتمع فيها مع مسلم فيمن فوق ذلك، وربما قال: من هنا لم يخرجاه، قال: ولا يظن أنه يعني البخاري، ومسلمًا، فإني استقريت صنيعه في ذلك فوجدته إنما يعني مسلمًا، وأبا الفضل أحمد بن سلمة، فإنه كان قرين مسلم، وصنف مثل مسلم). "تدريب الراوي" (١١٨/١).
([٣٧]) قال العراقي: (المستخرج: موضوعه: أن يأتي المصنف إلى كتاب البخاري، أو مسلم، فيخرّج أحاديثه بأسانيد لنفسه، من غير طريق البخاري، أو مسلم، فيجتمع إسناد المصنف مع إسناد البخاري، أو مسلم في شيخه، أو من فوقه). "شرح التبصرة والتذكرة" (١٢١/١). وانظر: "توضيح الأفكار"، للصنعاني (٧٣/١).
([٣٨]) قال المعلمي: (فإنما يسمى كتابه "صحيحاً"؛ لأنه مستخرج على "الصحيح"، ولأن معظم أحاديثه وهي مستخرجة الصحاح). "التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل" (٦٧٦/٢).

بعضهم مستخرجًا على مسلم، فإن له فيه أحاديث كثيرة مستقلة في أثناء الأبواب نبه هو على كثير منها، ويوجد فيها: الصحيح، والحسن، والضعيف - أيضًا -، والموقوف)[٣٩].
وقال الذهبي: (خرجه على "صحيح مسلم"، وزاد أحاديث قليلة في أواخر الأبواب)[٤٠].

- **معنى الاستخراج، وشرطه، وفوائده:**

الاستخراج لغة: على وزن استفعال، وهو مشتق من الفعل: "استخرج" المزيد من الفعل الثلاثي: "خرج".
قال ابن فارس: ((الخاء، والراء، والجيم) أصلان، وقد يمكن الجمع بينهما، إلا أنا سلكنا الطريق الواضح. فالأول: النفاذ عن الشيء. والثاني: اختلاف لونين)[٤١].
والخروج نقيض الدخول، وخارج كل شيء: ظاهره، والاستخراج كالاستنباط، واستخرجت الشيء من المعدن: خلصته من ترابه[٤٢].

الاستخراج اصطلاحًا:

عرَّف علماء مصطلح الحديث الاستخراج بقولهم: (الاستخراج: أن يعمد حافظ إلى "صحيح البخاري" مثلًا، فيورد أحاديثه حديثًا حديثًا بأسانيد لنفسه، غير ملتزم فيها ثقة الرواة، وإن شذ بعضهم حيث جعله شرطًا، من غير طريق البخاري إلى أن يلتقي معه في شيخه، أو في شيخ شيخه)[٤٣].

شرط الاستخراج:

يشترط في الاستخراج: ألا يروي المستخرِج الحديث من طريق المصنِّف الذي يستخرج على كتابه، أو من طريق شيخ شيخ المصنِّف، وعنده سند يوصله إلى شيخ المصنِّف.
واستثنى من ذلك: ما إذا اضطر المستخرِج إلى ترك الرواية عن الشيخ الأقرب؛ لعذر: من علوٍ، أو زيادة حكم مهم[٤٤].

فوائد الاستخراج:

ذكر علماء مصطلح الحديث فوائد للمستخرجات، منها:
١. علو الإسناد.

([٣٩]) "النكت على كتاب ابن الصلاح" (١/٢٩١-٢٩٢).
([٤٠]) "سير أعلام النبلاء" (١٤/ ٤١٧).
([٤١]) مادة (خرج) في: "مقاييس اللغة" (٢/ ١٧٥).
([٤٢]) انظر مادة (خرج) في: "مختار الصحاح" (ص:٨٩)، و"تاج العروس" (٥/٥١٥)، و"لسان العرب" (٢/٢٤٩-٢٥٠)، و"المصباح المنير" (١/١٦٦)، و"القاموس المحيط" (ص:١٨٥-١٨٦).
([٤٣]) "فتح المغيث"، للسخاوي (١/٥٧). وانظر: "شرح التبصرة والتذكرة"، للعراقي (١/١٢١).
([٤٤]) انظر: "فتح المغيث" (١/٥٧)، و"تدريب الراوي" (١/١١٧).

٢. زيادة لفظ، أو تتمة لمحذوف، أو زيادة شرح في حديث، حكم بصحته؛ لأنها خارجة من مخرج الصحيح.
٣. القوة؛ بكثرة الطرق للترجيح عند المعارضة.
٤. أن يكون مصنِّف الصحيح روى عمن اختلط، ولم يبين، هل سماع ذلك الحديث في هذه الرواية قبل الاختلاط، أو بعده؟ فيبينه المستخرِج، إما تصريحًا، أو بأن يرويه عنه من طريق من لم يسمع منه إلا قبل الاختلاط.
٥. أن يروى في الصحيح عن مدلس بالعنعنة، فيرويه المستخرِج بالتصريح بالسماع.
٦. أن يروى عن مبهم: كحدثنا فلان، أو رجل، أو فلان، أو غير واحد، فيعينه المستخرِج.
٧. أن يروى عن مهمل، كمحمد من غير ذكر ما يميزه عن غيره من المحمدين، ويكون في مشايخ من رواه كذلك من يشاركه في الاسم، فيميزه المستخرِج.
٨. ما يقع في أصل الصحيح موقوفًا، أو كصورة الموقوف، فيصرح المستخرِج برفعه.
٩. عدالة من أُخرج له فيه؛ لأن المخرِّج على شرط الصحيح يلزمه ألا يخرِّج إلا عن ثقة عنده.
١٠. أن يرد الحديث في الصحيح غير مفصل، ويرد الفصل للكلام المدرج في المستخرَج[٤٥].
١١. سلامة الحديث المعل في أحد الصحيحين، إذا جاء في رواية المستخرَج سالمًا منها[٤٦].

المبحث الأول: ما يقال في السكتة بين تكبيرة الافتتاح، والقراءة.

أولًا: ترجمة الإمام أبي عوانة - رحمه الله - :

ترجم الإمام - رحمه الله - لهذا الباب بقوله: (باب بيان ما يقال في السكتة بين تكبيرة الافتتاح والقراءة، والدليل على أن جميع ما بُيِّن في هذا الباب من القول على الإباحة، وكذلك الاستعاذة، وأن هذه السكتة في الركعة الأولى دون سائرها)[٤٧].

ثانيًا: دراسة الترجمة:

- **المسائل التي تضمنتها ترجمة الإمام أبي عوانة - رحمه الله - :**

تضمنت الترجمة مسألتين، هما:

المسألة الأولى: ما يقال في السكتة بين تكبيرة الافتتاح والقراءة.

([٤٥]) انظر: "النكت على كتاب ابن الصلاح" (٦٦/١)، و"شرح التبصرة والتذكرة" (١٢٢/١-١٢٣)، و"تدريب الراوي" (١٢١/١-١٢٣)، و"توضيح الأفكار" (٧٤/١-٧٦).
([٤٦]) انظر: "تدريب الراوي"، للسيوطي (١٢٣/١).
([٤٧]) "المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم"، للإمام أبي عوانة الإسفراييني (٣٣٣/٤).

المسألة الثانية: من أذكار الصلاة.

وفي هذا المبحث تناولت المسألة الأولى: ما يقال في السكتة بين تكبيرة الافتتاح والقراءة، وبيانها على النحو الآتي.

- **الأقوال في المسألة:**

اختلف الفقهاء في حكم دعاء الاستفتاح، والاستعاذة قبل القراءة على أربعة أقوال:

القول الأول: إباحة الفصل بين التكبير والقراءة بدعاء الاستفتاح، والاستعاذة. وهو قول الإمام أبي عوانة - رحمه الله - [٤٨].

القول الثاني: استحباب الفصل بين التكبير والقراءة بدعاء الاستفتاح، والاستعاذة. وهو مذهب الحنفية[٤٩]، ومذهب الشافعية[٥٠]، والحنابلة[٥١].

القول الثالث: وجوب الفصل بين التكبير والقراءة بدعاء الاستفتاح، والاستعاذة. وهو قول بعض الحنابلة[٥٢].

القول الرابع: كراهة الفصل بين التكبير والقراءة بدعاء الاستفتاح، أو الاستعاذة. وهو مذهب المالكية[٥٣].

- **الأدلة:**

أدلة الإمام أبي عوانة - رحمه الله - :

استدل الإمام - رحمه الله - على إباحة دعاء الاستفتاح، والتعوذ في السكتة بعد تكبيرة الإحرام بما يأتي:

١. عن أبي هريرة ﷺ، قال: كان رسول الله - رحمه الله - ، إذا كبر في الصلاة، سكت

([٤٨]) انظر: "المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم" (٣٣٣/٤).

([٤٩]) مذهب الحنفية: استحباب التعوذ في الركعة الأولى فقط. انظر: "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع" (١/ ٢٠٢)، و"البناية شرح الهداية" (١٨٤/٢و ١٨٨).

([٥٠]) مذهب الشافعية: استحباب التعوذ في كل ركعة. انظر: "العزيز شرح الوجيز" (٤٨٩/١)، و"المجموع شرح المهذب" (٣١٨/٣-٣٢٦).

([٥١]) انظر: "الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف" (١١٩/٢)، و"الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل" (١١٥/١).

([٥٢]) انظر: "الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف" (١١٩/٢)، و"مجموع الفتاوى" (٣٨٨/٢٢). قال الزركشي: (وذهب ابن بطة إلى وجوبهما). "شرح الزركشي على مختصر الخرقي" (٥٤٧/١).

([٥٣]) انظر: "المدونة" (١٦١/١- ١٦٢)، و"القوانين الفقهية" (ص:٤٤).

إسكاتة[٥٤] -قال: أحسبه قال: هُنَيَّة[٥٥]- بين التكبير والقراءة، قال: فقلت: يا رسول الله أرأيت إسكاتك بين التكبير والقراءة، ما تقول؟ قال: «أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقّني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء، والثلج، والبرد»[٥٦].

وجه الدلالة:

الحديث صريح في مشروعية السكتة بين تكبيرة الإحرام والقراءة، ويذكر فيها دعاء الاستفتاح.

٢. عن أبي هريرة ﷺ، قال: «كان النبي - رحمه الله - إذا نهض في الركعة الثانية استفتح القراءة بـ(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)[٥٧]، ولم يسكت»[٥٨].

وجه الدلالة:

الحديث صريح في أن السكوت قبل القراءة مخصوص بالركعة الأولى؛ لفعله - رحمه الله

أدلـــة أصحاب القول الثاني:

استدل جمهور الفقهاء على استحباب دعاء الاستفتاح، والاستعاذة بأدلة الإمام أبي عوانة ¬، وحملوها على الاستحباب، لا الإباحة.

واستدلوا على استحباب الاستعاذة بقوله تعالى: (فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ)[٥٩].

وجه الدلالة:

---

(٥٤) إسكاته: (على وزن إفعالة، من السكوت، ومعناه: سكوت يقتضي بعده كلاماً، أو قراءة مع قصر المدة فيه، وإنما أراد ترك رفع الصوت، ألا تراه يَقُول: مَا تَقُول فِي إسكاتك). "فتح الباري"، لابن رجب (٣٧٢/٦).

(٥٥) هُنَيَّة: (تصغير هنَّة، وهي كلمة يكنى بها عن الشيء، أي: شيئاً قليلاً من الزمان). "فتح الباري"، لابن رجب (٢٠٩/٧).

(٥٦) متفق عليه: أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الأذان، باب: ما يقول بعد التكبير، حديث رقم (٧٤٤). وأخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (٥٩٨).

وأخرجه أبو عوانة الإسفراييني في "المستخرج"، كتاب: الصلاة، أبواب الصلوات وما فيها، حديث رقم (١٦٤٢-١٦٤٣-١٦٤٤)، واللفظ له في (١٦٤٢).

(٥٧) الفاتحة:٢.

(٥٨) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (٥٩٩). وأخرجه أبو عوانة الإسفراييني في "المستخرج"، كتاب: الصلاة، أبواب الصلوات وما فيها، حديث رقم (١٦٤٥)، واللفظ له.

(٥٩) النحل:٩٨.

أمر الله ﷻ بالاستعاذة عند قراءة القرآن، والأمر عام؛ فيشمل قراءة القرآن في الصلاة.

أدلـــة أصحاب القول الثالث:

استدل المالكية على عدم مشروعية السكتة في الصلاة، وكراهة دعاء الاستفتاح، والاستعاذة، بما يأتي:

١. عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله - رحمه الله - دخل المسجد فدخل رجل فصلى، ثم جاء فسلم على رسول الله - رحمه الله - ، فرد رسول الله - رحمه الله - السلام، وقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل»، فرجع الرجل فصلى كما كان صلى، ثم جاء إلى النبي - رحمه الله - فسلم عليه، فقال رسول الله - رحمه الله - : «وعليك السلام»، ثم قال: «ارجع فصل فإنك لم تصل»، حتى فعل ذلك ثلاث مرات. فقال الرجل: والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا؛ علمني، قال - رحمه الله - : «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»[٦٠].

وجه الدلالة:

الحديث صريح في نفي الاستفتاح والاستعاذة في الصلاة؛ لأن النبي - رحمه الله - علَّم الصحابي صفة الصلاة الصحيحة، ولم يذكر فيها الفصل بين التكبير، والقراءة بالاستفتاح، أو الاستعاذة؛ فدل على عدم مشروعية الفصل.

٢. عن أنس ﷺ: أن النبي - رحمه الله - ، وأبا بكر، وعمر، وعثمان ﷺ كانوا يفتتحون قراءتهم في صلاتهم بـ(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)[٦١] [٦٢].

وجه الدلالة:

الحديث صريح في أن الصلاة تفتتح بقراءة الفاتحة، وهذا يدل على عدم مشروعية الفصل بين التكبير، والقراءة.

- **التـــرجيـــــح:**

---

(٦٠) متفق عليه: أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الأذان، باب: أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة، حديث رقم (٧٩٣). وأخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الصلاة، حديث رقم (٣٩٨)، واللفظ له.

وأخرجه أبو عوانة الإسفراييني في "المستخرج"، كتاب: الصلاة، أبواب الصلوات وما فيها، حديث رقم (١٦٥٢).

(٦١) الفاتحة:٢.

(٦٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الصلاة، حديث رقم (٣٩٩). وأخرجه أبو عوانة الإسفراييني في "المستخرج"، كتاب: الصلاة، أبواب الصلوات وما فيها، حديث رقم (١٧٠١).

الذي يظهر أن الراجح -والله أعلم- هو استحباب الفصل بين تكبيرة الإحرام، والقراءة بدعاء الاستفتاح، والاستعاذة؛ لما يأتي:

١. صحة الأدلة، وصراحتها في مشروعية الاستفتاح، والاستعاذة في الصلاة.
٢. أنها فعل النبي - رحمه الله - ، واقتداءً به - رحمه الله - يكون الأمر للاستحباب.

المبحث الثاني: من أذكار الصلاة.

الأقوال في المسألة:

اختلف الفقهاء في أذكار الصلاة بعد الركوع، والسجود، وقبل السلام على ثلاثة أقوال:

القول الأول: إباحة الأذكار في الصلاة. وهو قول الإمام أبي عوانة - رحمه الله - [٦٣].

القول الثاني: استحباب الأذكار في الصلاة. وهو مذهب المالكية[٦٤]، والشافعية[٦٥]، والحنابلة[٦٦].

القول الثالث: استحباب الذكر قبل السلام في الصلاة، وأن الذكر بعد الركوع، والسجود مشروع في النوافل فقط. وهو مذهب الحنفية[٦٧].

- **الأدلـــة:**

دليل الإمام أبي عوانة - رحمه الله - :

---

(٦٣) انظر: "المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم" (٣٣٣/٤).

(٦٤) انظر: "القوانين الفقهية" (ص:٤٥-٤٧)، و"حاشية الدسوقي على الشرح الكبير" (٢٥٢/١).

(٦٥) انظر: "المجموع شرح المهذب" (٤١٧/٣و٤٣٤و٤٦٩)، و"نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج" (٥٣٣/١-٥٣٤و٤٩٩).

قال النووي: (قال أصحابنا: ولا يزيد الإمام على ثلاث تسبيحات، إلا أن يرضى القوم المحضورون. وفيه كلام ذكرته في ذكر الركوع عن نص الشافعي، قال الشافعي في "الأم": ويجتهد في الدعاء ما لم يكن إمامًا فيثقل على من خلفه، أو مأمومًا فيخالف إمامه، ... ونقل الشيخ أبو حامد هذا النص عن الأم، ونقل عن نصه في الإملاء أنه لا يدعو؛ لئلا يثقل على المأمومين. قال أبو حامد النصان متقاربان في المعنى: يعني أنه يدعو بحيث لا يطول عليهم). "المجموع شرح المهذب" (٤٣٤/٣).

(٦٦) وخص الزيادة في الذكر بعد الركوع للإمام، والمنفرد، أما المأموم فيقتصر على قول: (ربنا ولك الحمد). انظر: "دقائق أولي النهى لشرح المنتهى" (٢٢٠/١)، و"كشاف القناع عن متن الإقناع" (٤٧٢/١).

(٦٧) انظر: "المبسوط" (٢١/١-٢٢)، و"تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق" (١١٥/١و١٢٤)، و" البناية شرح الهداية" (٢٤٧/٢-٢٤٨و٢٧١).

استدل الإمام على إباحة الأذكار بعد الركوع، والسجود، والسلام بحديث علي ﷺ، عن النبيّ - رحمه الله - أنَّه كان إذا قام إلى الصلاة كبر، ثم قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات، والأرض حنيفًا، وما أنا من المشركين، إن صلاتي، ونسكي، ومحياي، ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي، وأنا عبدك ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيّئها لا يصرف سيّئها إلا أنت، لبيك، وسعديك، والخير كله في يديك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك»، وإذا ركع قال: «اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي، وبصري، ومخّي، وعظامي، وعصبي»، وإذا رفع رأسه قال: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، مِلْءَ السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد»، وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت. سجد وجهي للذي خلقه فصوّره، فأحسن صوره، فشق سمعه، وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين»، وإذا سلّم من الصلاة قال: «اللهم اغفر لي ما قدّمت وما أخّرت، وما أسررت، وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به منّي، أنت المقدِّم، والمؤخّر، لا إله إلا أنت»[٦٨].

وجه الدلالة:

الحديث دليل على مشروعية الذكر بعد الركوع، والسجود، والدعاء بعد السلام[٦٩].

دليل أصحاب القول الثاني:

استدل المالكية، والشافعية، والحنابلة على استحباب الأدعية بعد الركوع، والسجود: بحديث علي ﷺ، وحملوا ذلك على الاستحباب.

واستدلوا على أن الذكر قبل السلام، برواية أخرى لحديث علي ﷺ -المتقدم-، وفيها: «ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد، والتسليم: اللهم اغفر لي ما قدّمت...»[٧٠].

دليل أصحاب القول الثالث:

استدل الحنفية على استحباب الذكر قبل السلام في الصلاة، وأن الذكر بعد الركوع، والسجود مشروع في صلاة النافة فقط، بحديث علي ﷺ -المتقدم-.

- **التـــرجيـــــح:**

([٦٨]) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، حديث رقم (٧٧١). وأخرجه أبو عوانة الإسفراييني في "المستخرج"، كتاب: الصلاة، أبواب الصلوات وما فيها، حديث رقم (١٦٥٠)، واللفظ له.

([٦٩]) انظر: "شرح سنن أبي داود" (٣٦٦/٣)، و"صحيح مسلم بشرح النووي" (٦٠/٦).

([٧٠]) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، حديث رقم (٧٧١).

الذي يظهر أن الراجح -والله أعلم- هو استحباب الذكر بعد الركوع، والسجود، وقبل السلام من الصلاة؛ لصحة الأدلة، وصراحتها في مشروعيته.

المبحث الثالث: إعادة الصلاة في جماعة أخرى.

أولًا: ترجمة الإمام أبي عوانة - رحمه الله - :

ترجم الإمام - رحمه الله - لهذا الباب بقوله: (باب ذكر الخبر الذي فيه النهي عن طول القنوت[٧١] في صلاة العشاء، وبيان السورة التي تقرأ فيها، وإباحة إعادة الصلاة في الجماعة -إذا كان صلاها في الجماعة- مرةً أخرى ...) [٧٢].

ثانيًا: دراسة الترجمة:

- **صورة المسألة:**

من صلى فرضه في جماعة، ثم أدرك تلك الصلاة في جماعة أخرى، هل يصلي معهم مرة أخرى ؟

- **الأقوال في المسألة:**

اختلف الفقهاء فيمن صلى في جماعة، ثم وجد جماعة أخرى على ثلاثة أقوال:

القول الأول: إباحة إعادة الصلاة مع الجماعة الأخرى. وهو قول الإمام أبي عوانة - رحمه الله - [٧٣].

القول الثاني: استحباب إعادة الصلاة مع الجماعة الأخرى. وهو مذهب الشافعية[٧٤]، والحنابلة[٧٥].

([٧١]) القنوت لغة: الطاعة، وله معانٍ منها: السكوت، والقيام، والدعاء، قال ابن فارس: (القاف، والنون، والتاء أصلٌ، صحيحٌ يدل على طاعة، وخير في الدين، لا يعدو هذا الباب. والأصل فيه الطاعة، يقال: قَنَتَ، يَقْنُتُ، قُنُوتًا. ثم سمي كل استقامة في طريق الدين قنوتاً، وقيل لطول القيام في الصلاة قنوت، وسمي السكوت في الصلاة، والإقبال عليها قنوتاً، قال الله تعالى: (وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨)[البقرة:٢٣٨]). "مقاييس اللغة" (٣١/٥). وانظر: "لسان العرب"، لابن منظور (٧٣/٢).

ولعل مراد الإمام ρ بطول القنوت: طول القيام في الصلاة، لا الدعاء فيها؛ بدلالة أحاديث الباب، والله أعلم.

([٧٢]) "المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم"، للإمام أبي عوانة الإسفراييني (٥٣/٥).

([٧٣]) انظر: "المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم" (٥٣/٥).

([٧٤]) انظر: "البيان في مذهب الإمام الشافعي" (٣٨١/٢)، و"روضة الطالبين وعمدة المفتين" (٣٤٤/١).

([٧٥]) وقيدوا الإعادة بأن تقام الصلاة وهو في المسجد، أو يدخل المسجد وهم يصلون. انظر: "المغني" (٨٢/٢)، و"دقائق أولي النهى لشرح المنتهى" (٢٦١/١)، و"كشاف القناع عن متن الإقناع" (٥٤٩/١).

القول الثالث: لا تعاد الصلاة. وهو مذهب الحنفية[٧٦]، والمالكية[٧٧]، ووجه للشافعية[٧٨].

- **الأدلـــة:**

أدلـة الإمام أبي عوانة - رحمه الله - **:**

استـدل الإمـام - رحمه الله - علـى إباحة إعادة الصلاة في جماعة لمن صلاها في جماعة أخرى بمـا يـأتي:

١. عن جابر بن عبد الله ﷺ، أنَّ معاذًا ﷺ كان يصلي مع النبي - رحمه الله - صلاة العشاء الآخرة، ثم يَنْصرف إلى قومه فيصلي بهم تلك الصلاة[٧٩].

٢. عن جابر ﷺ، أنّ معاذًا ﷺ كان يصلي مع النبي - رحمه الله - ثم يرجع إلى قومه فيؤمُّهُمْ[٨٠].

وجه الدلالة:

الحديثان صريحان في جواز إعادة صلاة الجماعة في جماعة أخرى؛ لأن النبي - رحمه الله - لم ينكر على معاذ ﷺ؛ فدل على جواز ذلك[٨١].

دليل أصحاب القول الثاني:

استـدل الشافعية، والحنابلة على استحباب إعادة الصلاة في جماعة لمن صلاها في جماعة أخرى بحديث معاذ بن جبل ﷺ -المتقدم-، وحملوا ذلك على الاستحباب لا الإباحة.

أدلة أصحاب القول الثالث:

---

(٧٦) انظر: "البحر الرائق شرح كنز الدقائق"، لابن نجيم (٦٧/٢).

(٧٧) واستثنى المالكية: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، وبيت المقدس، فجوزوا لمن صلى جماعة في غير هذه المساجد أن يعيد فيها جماعة؛ لفضل تلك البقاع. انظر: "المدونة" (١٨٠/١-١٨١)، و"القوانين الفقهية" (ص:٤٨-٤٩).

(٧٨) انظر: "البيان في مذهب الإمام الشافعي" (٣٨١/٢)، و"روضة الطالبين وعمدة المفتين" (٣٤٤/١).

(٧٩) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الصلاة، حديث رقم (٤٦٥). وأخرجه أبو عوانة الإسفراييني في "المستخرج"، كتاب: الصلاة، أبواب الصلوات وما فيها، حديث رقم (١٨١٦)، واللفظ له.

(٨٠) متفق عليه: أخرجه البخاري في "صحيحيه"، كتاب: الأذان، باب: إذا طول الإمام وكان للرجل حاجة فخرج فصلى، حديث رقم (٧٠٠). وأخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الصلاة، حديث رقم (٤٦٥). وأخرجه أبو عوانة الإسفراييني في "المستخرج"، كتاب: الصلاة، أبواب الصلوات وما فيها، حديث رقم (١٨١٧)، واللفظ له.

(٨١) انظر: "فتح الباري"، لابن حجر (٢/ ١٩٧).

استدل الحنفية، والمالكية، والشافعية في وجه لهم، على عدم إعادة الصلاة في جماعة لمن صلاها في جماعة أخرى بما يأتي:

١. عن أبي العالية البراء، قال: سمعت عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر ﷺ أن النبي - رحمه الله - ضرب فخذه فقال: «كيف أنت إذا بقيت في قوم يؤخرون الصلاة؛ فصل الصلاة لوقتها، ثم انهض، فإن كنت في المسجد حين تقام فصل معهم»[٨٢].

وجه الدلالة:

(أن الحديث إنما جاء فيمن صلى في بيته وحده، ثم أدركها في جماعة) [٨٣].

٢. أن المصلي قد حاز فضيلة الجماعة فلا يعيد[٨٤].

- **المناقشة:**

نوقش استدلال أصحاب القول الثالث: بأن الحديث لم يفرق بين الصلوات، ولا بين أن يصلي وحدهُ، أو في جماعة[٨٥]، بخلاف حديث معاذ ﷺ فهو صريح بإعادة الصلاة في جماعة.

- **الترجـــيح:**

الذي يظهر أن الراجح -والله أعلم- جواز إعادة الصلاة في جماعة لمن صلاها في جماعة أخرى؛ لصراحة الأدلة، وصحتها، وعدم إنكار النبي - رحمه الله - على معاذ ﷺ، فدل على جواز ذلك.

المبحث الرابع: محل سجود السهو.

أولًا: ترجمة الإمام أبي عوانة - رحمه الله - :

ذكر الإمام - رحمه الله - محل سجود السهو في التراجم التالية:

١. (الدليل على أن الشاك في صلاته إذا رجع إلى يقينه سجد سجدتي السهو قبل السلام).

---

(٨٢) أخرج نحوه مسلم في "صحيحه"، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (٦٤٨)، ولفظه: عن أبي العالية يحدث عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر ﷺ، قال: قال رسول الله ج، وضرب فخذي: «كيف أنت إذا بقيت في قوم يؤخرون الصلاة عن وقتها؟» قال: قال: ما تأمر؟ قال ج: «صل الصلاة لوقتها، ثم اذهب لحاجتك، فإن أقيمت الصلاة وأنت في المسجد فصل».

وأخرجه أبو عوانة الإسفراييني في "المستخرج"، كتاب: الصلاة، أبواب الصلوات وما فيها، حديث رقم (١٥٦٦)، واللفظ له.

(٨٣) "المدونة" (١٨١/١).

(٨٤) انظر: "البيان في مذهب الإمام الشافعي"، للعمراني (٣٨١/٢).

(٨٥) انظر: المرجع السابق.

٢. (باب الإباحة لناسي التشهد في الركعتين الأُولَيَين من الظهر، وغيره -ونهض- أن يمضي في صلاته ولا يقعد، وأن يسجد سجدتين يكبر في كل سجدة منهما قبل التسليم، ثم يسلم).
٣. (وعلى أنّ سجدتي السهو بعد السلام إذا استيقن بزيادة في صلاته).
٤. (وأن الشاك في صلاته إذا لم يرجع إلى اليقين في الزيادة، والنقصان، فتوخى الصواب سجد سجدتي السهو بعد الصلاة).
٥. (والدليلِ على أنَّ المصلِّي إذا رجع إلى اليقين بأنه زاد في صلاته ركعةً، سجد سجدتي السَّهو بعد ما يُسلِّم) [٨٦].

ثانيًا: دراسة الترجمة:

- **الأقوال في المسألة:**

اختلف الفقهاء في محل سجود السهو على ستة أقوال:

القول الأول: يسجد قبل السلام: عند نقص الصلاة، أو البناء على اليقين، وبعد السلام: عند الزيادة فيها، والبناء على غلبة الظن. وهو قول الإمام أبي عوانة - رحمه الله - [٨٧]، واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية[٨٨].

القول الثانـــي: يسجد للنقص قبل السلام، وللزيادة بعد السلام. وهو مذهب المالكية[٨٩]، والقول القديم للشافعية[٩٠]، ورواية للحنابلة[٩١].

القول الثالث: يسجد قبل السلام مطلقًا. وهو مذهب الشافعية[٩٢]، ورواية للحنابلة[٩٣].

القول الرابع: يسجد بعد السلام مطلقًا. وهو مذهب الحنفية[٩٤].

([٨٦]) "المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم " (٥/٢٤١و٢٥١و٢٥٦و٢٨٦و٣٠٣).
([٨٧]) انظر: "المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم " (٥/ ٢٤١و ٢٥١و ٢٥٦و ٢٨٦و٣٠٣).
([٨٨]) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٤/٢٣).
([٨٩]) ويرى المالكية أن من شك في صلاته بنى على اليقين، وسجد بعد السلام. انظر: "الإشراف على نكت مسائل الخلاف" (٢٧٦/١)، و"بداية المجتهد ونهاية المقتصد" (٢٠٢/١)، و"مواهب الجليل" (١٦/٢و٢٣).
([٩٠]) انظر: "البيان في مذهب الإمام الشافعي" (٣٤٦/٢)، و"المجموع شرح المهذب" (١٥٣/٤).
([٩١]) انظر: "المغني" (١٨/٢)، و"الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف" (١٥٤/٢).
([٩٢]) انظر: "البيان في مذهب الإمام الشافعي" (٣٤٦/٢)، و"المجموع شرح المهذب" (١٥٣/٤).
([٩٣]) انظر: "المغني" (١٨/٢)، و"الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف" (١٥٤/٢).
([٩٤]) انظر: "البناية شرح الهداية" (٦٠١/٢)، و"حاشية ابن عابدين" (٥٤٠/٢).

القول الخامس: يسجد قبل السلام، إلا في موضعين يسجد فيهما بعد السلام: إذا سلم من نقص في صلاته، أو تحرى الإمام فبنى على غالب ظنه وهو مذهب الحنابلة[٩٥].

القول السادس: التخيير بين السجود قبل السلام، أو بعده وهو قول للشافعية[٩٦].

- **الأدلـــــة:**

أدلة أصحاب القول الأول:

استدل الإمام - رحمه الله - ، وشيخ الإسلام ابن تيمية على أن محل سجود السهو قبل السلام: للنقص، والبناء على اليقين، وبعد السلام: للزيادة، والبناء على غلبة الظن بما يأتي:

١. عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسولُ الله - رحمه الله - : «إذا شكَّ أحدكم في صلاته، فلم يدرِ كم صلى -ثلاثًا أو أربعًا- فليطرح الشك، وليبن على ما يستيقن، ثم ليسجد سجدتين، وهو جالس، فإن كان صلى خمسًا شفع بها صلاته، وإن كان صلى أربعًا كانتا ترغيمًا للشيطان[٩٧]»[٩٨].

٢. عن ابن مسعود ﷺ قال: صلى رسول الله - رحمه الله - -قال إبراهيم: فلا أدري! زاد أو نقص[٩٩]- فلما سلم قيل: يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: صليت كذا وكذا. قال: فثنى رجليه، واستقبل القبلة، فسجد سجدتين، ثم سلم، فلما انْفَتَل[١٠٠] أقبل عليهم بوجهه، فقال: «إنه لو حدث في الصلاة شيء أنبأتكم، ولكن إنما أنا

---

(٩٥) انظر: "المغني" (١٨/٢)، و" كشاف القناع عن متن الإقناع" (٤٩٥/١)، و"دقائق أولي النهى" (٢٣٤/١).

(٩٦) انظر: "البيان في مذهب الإمام الشافعي" (٣٤٦/٢)، و"المجموع شرح المهذب" (١٥٤/٤).

(٩٧) ترغيمًا للشيطان، أي: إغاظة له، وإذلالًا، مأخوذ من الرغام، وهو :التراب. والمعنى: أن الشيطان لبس عليه صلاته، وتعرض لإفسادها، ونقصها، فجعل الله تعالى للمصلي طريقًا إلى جبر صلاته، وتدارك ما لبسه عليه، وإرغام الشيطان ورده خاسئًا مبعدًا عن مراده، وكملت صلاة بني آدم. انظر: "صحيح مسلم بشرح النووي"، للنووي (٦٠/٥-٦١).

(٩٨) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (٥٧١). وأخرجه أبو عوانة الإسفراييني في "المستخرج"، كتاب: الصلاة، أبواب الصلوات وما فيها، حديث رقم (١٩٤٧).

(٩٩) قال العيني: ((لا أدري زاد أو نقص) مدرج، وفي رواية أبي داود: (فلا أدري)، أي: فلا أعلم هل زاد النبي ﷺ في صلاته أو نقص، والمقصود أن إبراهيم شك في سبب سجود السهو المذكور، هل كان لأجل الزيادة أو النقصان؟ وهو مشتق من النقص المتعدي لامن النقصان اللازم، والصحيح كما قال الحميدي: أنه زاد). "عمدة القاري" (١٣٨/٤).

(١٠٠) انْفَتَل: مال. انظر: "مشارق الأنوار على صحاح الآثار"، للقاضي عياض (١٤٥/٢).

بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني، وإذا شك أحدكم في صلاته، فليتحَرَّ الصواب، فليتم عليه، ثم ليسلم، ثم ليسجد سجدتين»[١٠١].

وجه الدلالة:

الحديثان صريحان على أن سجود السهو حال الشك قبل السلام عند البناء على اليقين، وبعد السلام للبناء على غلبة الظن؛ لقوله - رحمه الله - ، وفعله.

عن أبي هريرة ﷺ قال: صلى بنا رسول الله - رحمه الله - إحدى صلاتي العَشِيِّ[١٠٢]: إما الظهر وإما العصر، وأكثر علمي أنها العصر، فسلم في ركعتين، ثم أتى جِذعًا في المسجد فأسند ظهره إليه قال: وفي القوم أبو بكر، وعمر ب، فهاباه أن يُكلِّماه، وخرج سَرَعان الناس[١٠٣]، فقال ذو اليدين : يا رسول الله، أقصرت الصلاة أم نسيت؟ قال- رحمه الله - : ما يقول ذو اليدين؟ فقالوا: صدق ذو اليدين. فقام- رحمه الله - ، فصلى ركعتين، ثم سلم، ثم كبر فسجد، ثم كبر فرفع، ثم كبر فسجد مثل سجوده أو أطول، ثم كبر فرفع[١٠٤].

وجه الدلالة:

الحديث دليل على أن سجود السهو للزيادة بعد السلام؛ لأن النبي - رحمه الله - سها، وسلم من ركعتين، وتكلم، وبنى فزاد سلامًا، وعملًا، وكلامًا وهو ساهٍ لا يظن أنه في الصلاة، ثم سجد بعد السلام[١٠٥].

٣. عن ابن بحينة ﷺ: «أنَّ رسولَ الله - رحمه الله - قام في اثنتين من الظهر فلم

---

(١٠١) متفق عليه: أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الصلاة، باب: التوجه نحو القبلة حيث كان، حديث رقم: (٤٠١). وأخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (٥٧٢).

وأخرجه أبو عوانة الإسفراييني في "المستخرج"، كتاب: الصلاة، أبواب الصلوات وما فيها، حديث رقم (١٩٦٨)، واللفظ له.

(١٠٢) العشي: ما بين زوال الشمس، وغروبها. انظر: "صحيح مسلم بشرح النووي"، للنووي (٦٨/٥).

(١٠٣) سَرَعان الناس: بفتح السين، والراء. هذا هو الصواب الذي قاله الجمهور من أهل الحديث، واللغة، والسرعان: أوائل الناس المسرعون إلى الخروج. انظر: "صحيح مسلم بشرح النووي" (٦٨/٥)، و"فتح الباري"، لابن حجر (١٠٠/٣)، و"شرح سنن أبي داود" (٢٩٥/٤).

(١٠٤) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (٥٧٣). وأخرجه أبو عوانة الإسفراييني في "المستخرج"، كتاب: الصلاة، أبواب الصلوات وما فيها، حديث رقم (١٩٥٦)، واللفظ له.

(١٠٥) انظر: "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد"، لابن عبد البر (٣٠/٥).

يجلس؛ فلما قضى صلاته سجد سجدتين، يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل أن يسلم، وسجد الناسُ معه مكانَ ما نسي من الجلوس»[١٠٦].

٤. عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: صلى بنا النبي - رحمه الله - خمسًا، فلما انصرف قيل له: يا رسول الله، أزيد في الصلاة؟ قال: لا، قالوا: بلى، صلَّيتَ خمسًا، قال لهم: «إنما أنا بشر مثلكم، أذكر كما تذكرون، وأنسى كما تنسون»، ثم سجد سجدتي السهو[١٠٧].

وجه الدلالة:

الحديثان صريحان في أن سجود السهو قبل السلام للنقص في الصلاة، وبعد السلام للزيادة فيها؛ لفعله - رحمه الله - .

٥. قال مالك: (كلُّ سهوٍ كان نقصانًا من الصلاة فإن سجوده قبل التَّسليم، وكل سهوٍ كان زيادةً
في الصلاة فإن سجوده بعد التسليم) [١٠٨].

أدلة أصحاب القول الثاني:

استدل المالكية، والشافعية في القديم، والحنابلة في رواية لهم، على أن محل سجود السهو قبل السلام للنقص، وبعد السلام للزيادة بأدلة أصحاب القول الأول، وبأن السجود في النقصان: إصلاح وجبر، ومحال أن يكون الإصلاح والجبر بعد الخروج من الصلاة، وأما السجود في الزيادة: فإنما ذلك ترغيم للشيطان، وذلك ينبغي أن يكون بعد الفراغ[١٠٩].

أدلة أصحاب القول الثالث:

استدل الشافعية، والحنابلة في رواية لهم على أن محل سجود السهو قبل السلام بما يأتي:

١. عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسولُ الله - رحمه الله - : «إذا شكَّ أحدكم في صلاته، فلم يدرِ كم صلى -ثلاثًا أو أربعًا- فليطرح الشك، وليبن على ما يستيقن، ثم

---

(١٠٦) متفق عليه: أخرجه البخاري في "صحيحه"، أبواب ما جاء في السهو، باب: من يكبر في سجدتي السهو، حديث رقم: (١٢٣٠). وأخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (٥٧٠). وأخرجه أبو عوانة الإسفراييني في "المستخرج"، كتاب: الصلاة، أبواب الصلوات وما فيها، حديث رقم (١٩٥١)،واللفظ له.

(١٠٧) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (٥٧٢). وأخرجه أبو عوانة الإسفراييني في "المستخرج"، كتاب: الصلاة، أبواب الصلوات وما فيها، حديث رقم (١٩٨٤)، واللفظ له.

(١٠٨) "الموطأ" (٩٥/١)، باب: ما يفعل من سلم من ركعتين ساهيًا. وأخرجه أبو عوانة الإسفراييني في "المستخرج"، كتاب: الصلاة، أبواب الصلوات وما فيها، برقم (١٩٦٠).

(١٠٩) انظر: "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد"، لابن عبد البر (٣٠/٥).

ليسجد سجدتين، وهو جالس، فإن كان صلى خمسًا شفع بها صلاته، وإن كان صلى أربعًا كانتا ترغيمًا للشيطان»[١١٠].

وجه الدلالة:

الحديث نص صريح على أن سجود السهو قبل السلام مطلقًا؛ لأنه - رحمه الله - نص على السجود قبل السلام، وجوّز الزيادة، والمجوز كالموجود[١١١].

٢. عن ابن بحينة ﷺ: «أنَّ رسولَ الله - رحمه الله - قام في اثنتين من الظهر فلم يجلس؛ فلما قضى صلاته سجد سجدتين، يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل أن يسلم، وسجد الناسُ معه مكانَ ما نسي من الجلوس»[١١٢].

وجه الدلالة:

الحديث صريح على أن سجود السهو قبل السلام؛ لفعله - رحمه الله - .

٣. أن الزهري قال: (سجد رسول الله - رحمه الله - قبل السلام، وبعده، وآخر الأمرين قبل السلام)[١١٣].

٤. أن سجود السهو شرع لمصلحة الصلاة، فكان محله قبل السلام؛ كما لو نسي سجدة من صلب الصلاة[١١٤].

أدلة أصحاب القول الرابع:

استدل الحنفية على أن محل سجود السهو بعد السلام بما يأتي:

١. عن ثوبان ﷺ ، أن رسول الله - رحمه الله - قال: «لكل سهو سجدتان بعدما يسلم»[١١٥].

---

(١١٠) تقدم تخريجه.

(١١١) انظر: "صحيح مسلم بشرح النووي"، للنووي (٥٦/٥).

(١١٢) تقدم تخريجه.

(١١٣) أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى"، جماع أبواب سجود السهو وسجود الشكر، باب: من قال يسجدهما قبل السلام في الزيادة والنقصان ومن زعم أن السجود بعده صار منسوخًا، (٣٨٣٦)، وقال: (إلا أن قول الزهري منقطع لم يسنده إلى أحد من الصحابة، ومطرف بن مازن غير قوي). "السنن الكبرى" (٤٨٠/٢).

وقال العلائي: (أنه غير مسند، بل مرسل، أو منقطع). "نظم الفرائد" (ص:٥٢٩).

(١١٤) انظر: "البيان في مذهب الإمام الشافعي" (٣٤٧/٢)، و"منحة الباري بشرح صحيح البخاري" (٢٩٥/٣)، و"نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج" (٩٠/٢).

(١١٥) أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء فيمن سجدهما بعد السلام، حديث رقم: (١٢١٩). وأخرجه أبو داود في "سننه"، أبواب الركوع والسجود، باب: من نسي أن يتشهد وهو جالس، حديث رقم (١٠٣٨)، واللفظ له.

وهو ضعيف. انظر: "المجموع شرح المهذب" (١٥٥/٤)، و"فتح الغفار" (٥١٥/١).

وجه الدلالة:

أن النبي - رحمه الله - صرح بأن سجود السهو بعد السلام، ولم يفرق بين الزيادة، والنقصان[١١٦]، وعمم موضع السجود بصيغة كل[١١٧].

٢. الإجماع على أن من سها في صلاته لا يسجد في موضع سهوه، وإنما يؤخر ذلك إلى آخر صلاته؛ لتجمع له السجدتان كل سهو في صلاته، ومعلوم أن السلام قد يمكن فيه السهو أيضًا؛ فوجب أن تؤخر السجدتان عن السلام أيضًا، كما يؤخر عن التشهد[١١٨].

٣. أن إدخال الزيادة في الصلاة يوجب نقصانًا فيها، فلو أتى بالسجود قبل السلام لصار الجابر للنقصان موجبًا زيادة نقص، وهذا غير صواب[١١٩].

أدلة أصحاب القول الخامس:

استدلال الحنابلة على أن محل سجود السهو قبل السلام إلا في موضعين من جهتين:

أ. استدلوا على أن جميع السجود للسهو قبل السلام؛ لأنه تمام الصلاة، وجبر لنقصانها، فكان قبل سلامها؛ كسجود صلبها[١٢٠].

ب. استدلوا على استثناء الموضعين بما يأتي:

١. يسجد للسهو بعد السلام إذا سلم من نقص في صلاته؛ لحديث ذي اليدين ﷺ، وفيه أن النبي - رحمه الله - سلم في الصلاة الرباعية بعد أن صلى ركعتين، وسجد بعد السلام.

٢. إذا تحرى الإمام فبنى على غالب ظنه؛ لحديث ابن مسعود ﷺ، حيث أمر النبي - رحمه الله - من تحرى وبنى على غالب ظنه أن يسجد بعد السلام[١٢١].

قال العلائي: (إن لحديث ثوبان علة غير إسماعيل بن عياش، وهي أنه اختلف فيه عليه، ... والراجح أنه منقطع؛ لقول الجماعة). "نظم الفرائد" (ص:٥٢١-٥٢٢).

وقال ابن تيمية: (حديث ثوبان: «لكل سهو سجدتان بعد التسليم» فهو ضعيف؛ لأنه من رواية ابن عياش عن أهل الحجاز. وذلك ضعيف باتفاق أهل الحديث). "مجموع الفتاوى" (٢٣/ ٢٢).

(١١٦) انظر: "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع" (١٧٣/١)، و"شرح سنن أبي داود" (٣٣٣/٤).

(١١٧) انظر: "نظم الفرائد"، للعلائي (ص:٥١٨).

(١١٨) انظر: "شرح صحيح البخاري" (٢١٥/٣)، و"بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع" (١٧٣/١).

(١١٩) انظر: "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع"، للكاساني (١٧٣/١).

(١٢٠) انظر: " المغني"، لابن قدامة (١٨/٢).

(١٢١) انظر: المراجع السابقة.

دليل أصحاب القول السادس:

استدل الشافعية في قول لهم على التخيير بين السجود قبل السلام، أو بعده: بصحة الأخبار في التقديم، والتأخير[١٢٢].

- **المـنـــاقشــة:**

مناقشة أدلة أصحاب القول الثاني:

١. نوقش استدلالهم بالأحاديث المثبتة لسجود النبي - رحمه الله - للنقص قبل السلام، وللزيادة بعد السلام: بأن أحاديث السجود للسهو قبل السلام متعارضة؛ فحديث أبي سعيد، وابن بحينة ب معارض بحديث المغيرة ﷺ، وفيه: أنه لما صلى ركعتين قام ولم يجلس، فسبح به من خلفه، فأشار إليهم أن قوموا، فلما فرغ من صلاته سلم، وسجد سجدتي السهو وسلم، وقال: «هكذا صنع رسول الله- رحمه الله - »[١٢٣].

فكل واحد من الأحاديث يجوز أن يكون على سهوٍ وجب في الصلاة من نقصان، أو زيادة، فصارت رواية الفعل متعارضة، فبقي روايةُ القول سالمة من التعارض، وهي رواية ثوبانﷺ[١٢٤].

٢. نوقش تفريقهم بين الزيادة، والنقصان: لا نسلم لكم بأن السجود للزيادة ترغيم للشيطان فقط، بل هو أيضًا جبر لما حصل في الصلاة من النقص، والخلل بالزيادة فيها، فإنه نقص في المعنى، وخلل يحتاج إلى جبر[١٢٥].

الـــــجواب:

١. لا نسلم لكم معارضة حديث ابن بحينة ﷺ لحديث المغيرة ﷺ، لما يأتي:

أ. أن حديث المغيرة ﷺ لا يقاوم حديث ابن بحينة ﷺ؛ المتفق على صحته، وثبوته[١٢٦].

---

(١٢٢) انظر: "المجموع شرح المهذب"، للنووي (١٥٤/٤).

(١٢٣) أخرجه أبو داود في "سننه"، أبواب الركوع والسجود، باب: من نسي أن يتشهد وهو جالس، حديث رقم (١٠٣٧). وأخرجه الترمذي في "جامعه"، أبواب الصلاة، باب: ما جاء في الإمام ينهض في الركعتين ناسيًا، حديث رقم (٣٦٥)، واللفظ له. وقال: (هذا حديث حسن، صحيح، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ). وقال العلائي: (إسناد حديث المغيرة ليس بالقوي). "نظم الفرائد" (ص:٥٢٤).

(١٢٤) انظر: "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع" (١٧٣/١)، و"نخب الأفكار" (٤٩٢/٦)، و"البناية شرح الهداية" (٦٠٤/٢).

(١٢٥) انظر: "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع" (١٧٣/١)، و"نظم الفرائد" (ص:٥٣١).

(١٢٦) حديث المغيرة ضعيف؛ لما يأتي:

١. رواه أبو داود من حديث المسعودي اختلط في آخر عمره، وغلط في كثير من حديثه، فلا

ب. أن ما ثبت عن النبي - رحمه الله - قولاً، وفعلاً، لا يعارضه فعل الصحابة ﷺ[١٢٧].

٢. لا نسلم لكم سلامة حديث ثوبان ﷺ من المعارضة؛ فقد عورض بقول النبي - رحمه الله - في حديث أبي هريرة، وأبي سعيد ب[١٢٨].

مناقشة أدلة أصحاب القول الثالث:

١. يمكن أن يناقش استدلالهم بالأحاديث الدالة على أن سجود السهو قبل السلام مطلقًا: لا نسلم لكم اقتصار السجود للسهو قبل السلام؛ فقد ثبت أن النبي - رحمه الله - سجد للسهو بعد السلام في أحاديث صحيحة، صريحة.

٢. نوقش استدلالهم بقول الزهري، بما يأتي:

أ. أن قول الزهري ضعيف؛ فلا يحتج بهـ

ب. قول الزهري مبني على نسخ حديث ذي اليدين، وأنه مات قبل بدر، وقصته متقدمة. وهو ضعيف؛ فإن أبا هريرة ﷺ صلى خلف النبي - رحمه الله - في حديث ذي اليدين، وإنما أسلم عام خيبر، فلا حجة في ادعاء النسخ؛ فالنسخ إنما يكون بما يناقض المنسوخ، والنبي - رحمه الله - سجد بعد السلام، ولم يُنقل أنه نهى عن ذلك؛ فبطل النسخ[١٢٩].

نوقش استدلالهم بأن السجود شرع لمصلحة الصلاة، فيقضيه قبل السلام، بما يأتي:

أ. أنه دليل عقلي في مقابل النصوص الصحيحة؛ فلا يقبل.

ب. لو كان هذا صحيحًا؛ لوجب أن يكون كل سجود للسهو قبل السلام، فلما ثبت أن بعضه بعد السلام علم أنه ليس جنسه من شأن الصلاة الذي يقضيه قبل السلام[١٣٠].

مناقشة أدلة أصحاب القول الرابع:

١. يمكن أن يناقش إطلاقهم لسجود السهو بعد السلام: لا نسلم لكم أن السجود للسهو بعد السلام مطلقًا؛ فقد ثبت أن النبي - رحمه الله - سجد للسهو قبل السلام في حديث ابن بحينة ﷺ.

يعلم هل هذا الحديث مما رواه قبل الاختلاط، أو بعده.

٢. روي من طريق آخر عند عبد الرزاق وفيه ابن ابي ليلى، وهو ضعيف، متكلم فيه من جهة حفظه. انظر: "نظم الفرائد"، للعلائي (ص:٥٠٩-٥١٠).

قال ابن عبد البر: (وعارضوا حديث ابن بحينة بحديث المغيرة بن شعبة، وزعموا أنه أولى؛ لأن فيه زيادة التسليم، والسجود بعده، وهذا ليس بشيء؛ لأن حديث ابن بحينة ثابت بنقل الأئمة، وحديث المغيرة ضعيف الإسناد ليس مثله بحجة). "الاستذكار" (١/ ٥١٧).

(١٢٧) انظر: "نظم الفرائد"، للعلائي (ص:٥٢٤-٥٢٥).

(١٢٨) انظر: "البناية شرح الهداية"، للعيني (٦٠٤/٢).

(١٢٩) انظر: "مجموع الفتاوى"، لابن تيمية (٢١/٢٣).

(١٣٠) انظر: "مجموع الفتاوى"، لابن تيمية (٢٥/٢٣).

٢. نوقش استدلالهم بحديث ثوبان ﷺ، بما يأتي:

أ. لا نسلم لكم صحة حديث ثوبان ﷺ؛ فلا يحتج به[١٣١].

ب. أنه معارض بحديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وفيه الأمر بالسجود قبل السلام، وهو أصح، وأقوى[١٣٢].

٣. يمكن أن يناقش استدلالهم بإجماع العلماء على تأخير السجود عن محل النقصان: بأنه دليل عقلي في مقابل النصوص الصحيحة الدالة على مشروعية السجود قبل السلام؛ فلا يقبل[١٣٣].

٤. نوقش استدلالهم بأن إدخال الزيادة في الصلاة يوجب نقصانًا فيها؛ فالسجود للسهو بعد السلام، بما يأتي:

أ. أنه دليل عقلي في مقابل النصوص الصحيحة؛ فلا يقبل.

ب. أن سجود السهو شرع جبرًا لما وقع في الصلاة من الخلل، والأصل أن الجابر يقع في المجبور؛ لينجبر باتصاله به؛ لأن الإصلاح، والجبر بعد الانفصال عن الصلاة بعيد، فالقياس يقتضي أن يكون قبل السلام مطلقًا، فإذا كان لابد من اعتبار القياس، فهو أولى بالاعتبار[١٣٤].

مناقشة دليل أصحاب القول السادس:

نوقش استدلالهم بصحة الأدلة في السجود قبل السلام، وبعده؛ فالساهي مخير في السجود: بأن الأدلة فرقت بين مواضع السجود بعد السلام، وقبله، ولم يرد دليل صحيح على جواز الأمرين[١٣٥].

- **الـــترجيـــح:**

([١٣١]) حديث ثوبان ضعفه جمع من العلماء كما تقدم في تخريجه. ومن صححه احتج بأنه من رواية إسماعيل عن الشاميين، وهي مقبولة، إلا أن له علة أخرى؛ قال الألباني: (قد تبين لي أن في إسناده من تكلم فيه، وهو زهير بن سالم، فإنه لم يوثقه أحد غير ابن حبان. وقال الدارقطنى: "منكر الحديث"، فهو علة الحديث، والظاهر أنه كان يضطرب فيه، فقد رواه الهيثم بن حميد، عن عبيد الله بن عبيد بن زهير الحمصي، عن ثوبان به دون "بعد السلام "... وبالجملة فهذا الحديث ضعيف من أجل زهير هذا). "إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل" (٢/٤٧-٤٨). [بتصرف] وانظر: "نظم الفرائد"، للعلائي (ص:٥١٨-٥٢٢).

([١٣٢]) انظر: "نظم الفرائد"، للعلائي (ص:٥٢٠-٥٢١).

([١٣٣]) قال ابن العربي: (وما أدق هذا النظر لولا السنة التي وردت بخلافه). "عارضة الأحوذي" (٢/١٥٧).

([١٣٤]) انظر: "نظم الفرائد"، للعلائي (ص:٥٢٦).

([١٣٥]) انظر: "مجموع الفتاوى"، لابن تيمية (٢٣/٢٢).

الذي يظهر أن الراجح -والله أعلم- أن محل سجود السهو قبل السلام: عند نقص الصلاة، أو البناء على اليقين، وبعد السلام: عند الزيادة فيها، والبناء على غلبة الظن؛ لما يأتي:

١. ضعف قول من عمم السجود قبل السلام، أو بعده؛ لمخالفتها للأحاديث الصحيحة، الصريحة.

٢. ثبت عن النبي - رحمه الله - السجود قبل السلام، وبعده في أحاديث صحيحة، متفق عليها، وفي هذا القول عمل بالأحاديث كلها، وجمع بينها، من غير ترك شيء منها، وذلك واجب مهما أمكن، فإن خبر النبي - رحمه الله - حجة يجب المصير إليه، والعمل به، ولا يترك إلا لمعارض مثله، أو أقوى منه، وليس في سجوده، بعد السلام أو قبله، في صورة، ما ينفي سجوده في صورة أخرى في غير ذلك الموضع[١٣٦].

فحديث ذو اليدين، وابن مسعود ب يدلان على أن الزيادة يسجد لها بعد السلام، وحديث ابن بحينة ﷺ يدل على أن النقص يسجد له قبل السلام.

وحديث ابن مسعود ﷺ يدل على أن المصلي إذا شك وتحرى فإنه يسجد بعد السلام، وحديث أبي سعيد ﷺ يدل على أن المصلي إذا شك وبنى على اليقين فإنه يسجد قبل السلام.

الخـاتمـــــة:

بعد البحث في هذه المسائل، توصلت إلى نتائج عديدة، أهمها:

١. ظهر لي من خلال البحث في "المستخرج" اعتناء الإمام - رحمه الله - بفقه الحديث من خلال التبويب، واهتمامه بذلك، فتراجمه تتميّز بالوضوح، والدقة، وغزارة المادة الفقهية؛ حرصًا منه - رحمه الله - على بيان فقه الحديث، وهذا الأمر أثرى الكتاب بالمسائل الفقهية.

٢. يتضح للمطلع على الكتاب إمامة أبي عوانة - رحمه الله - في الحديث، واتساع روايته؛ فكتاب "المستخرج" يذكر المؤلف فيه الأحاديث بأسانيد لنفسه من غير طريق المؤلف الذي يستخرِج عليه، وهذا الفن لا يستطيع عمله إلا قليل من المحدثين الذين عُرفوا بقوة الحفظ، وكثرة الرواية.

٣. قدَّم الإمام أبو عوانة- رحمه الله - من خلال كتابه "المستخرج" خدمةً عظيمةً لأهم المؤلفات في علم الحديث "صحيح الإمام مسلم" من خلال زيادة لفظٍ، وتعيين مبهمٍ، وتمييز مهملٍ، ومنها: أن يروى في الصحيح عن مدلس بالعنعنة، فيرويه المستخرِج بالتصريح بالسماع، وغير ذلك من الفوائد العظيمة لهذا الكتاب الجليل.

---

(١٣٦) انظر: "المغني"، لابن قدامة (١٩/٢).

٤. انفرد الإمام أبو عوانة - رحمه الله - برأيه الفقهي عن المذاهب الفقهية الأربعة في المسائل التالية:

١) إباحة الفصل بين التكبير والقراءة بدعاء الاستفتاح، والاستعاذة.
٢) إباحة الأذكار في الصلاة.
٣) إباحة إعادة صلاة الجماعة مع جماعة الأخرى.
٤) أن محل سجود السهو قبل السلام: عند نقص الصلاة، أو البناء على اليقين، وبعد السلام: عند الزيادة فيها، والبناء على غلبة الظن، ووافقه ابن تيميه - رحمه الله - .

توصية مقترحة:

أن يجمع فقه الإمام أبي عوانة - رحمه الله - من جميع أبواب "المستخرج" في مجلد مرتب على الأبواب الفقهية دون ذكر بقية المذاهب؛ ليسهل الرجوع إلى رأيه في المسائل كلها. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له سبحانه الذي يسر لي إتمام هذا البحث، وذلَّل لي فيه العقبات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

فهرس المصادر، والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. تأليف: محمد ناصر الدين الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٥هـ
٣. الاستذكار. تأليف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري. تحقيق: سالم عطا، ومحمد معوض. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ
٤. الإشراف على نكت مسائل الخلاف. تأليف: القاضي عبد الوهاب بن علي البغدادي المالكي. تحقيق: الحبيب بن طاهر. الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، عام١٤٢٠هـ
٥. الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل. تأليف: موسى بن أحمد الحجاوي المقدسي الصالحي. تحقيق: عبد اللطيف السبكي. الناشر: دار المعرفة.
٦. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف. تأليف: علاء الدين علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي. تحقيق: محمد الفيقي. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٣٧٤هـ
٧. البحر الرائق شرح كنز الدقائق. تأليف: زين الدين بن إبراهيم بن محمد ابن نجيم المصري. وفي آخره: تكملة البحر الرائق. تأليف: محمد بن حسين الطوري الحنفي. وفي الحاشية: منحة الخالق. تأليف: ابن عابدين. الناشر: دار الكتاب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية.
٨. بداية المجتهد ونهاية المقتصد. تأليف: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الشهير بابن رشد الحفيد. الناشر: دار الحديث، القاهرة.
٩. البداية والنهاية. تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي. تحقيق: عبد الله التركي. الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ
١٠. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. تأليف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، عام١٤٠٦هـ
١١. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير. تأليف: ابن الملقن. تحقيق: مصطفى أبو الغيط، وعبد الله بن سليمان، وياسر بن كمال. الناشر: دار الهجرة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ
١٢. البناية شرح الهداية. تأليف: محمود بن أحمد بن موسى الغيتابى الحنفى العينى. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ
١٣. البيان في مذهب الإمام الشافعي. تأليف: يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي. تحقيق: قاسم محمد النوري. الناشر: دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى،

عام ١٤٢١هـ
١٤. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة. تأليف: محمد بن أحمد بن رشد القرطبي. تحقيق: د.محمد حجي، وآخرون. الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٨هـ
١٥. تاج العروس من جواهر القاموس. تأليف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي. تحقيق: مجموعة من المحققين. الناشر: دار الهداية، الكويت، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٧هـ
١٦. تاريخ دمشق. تأليف: ابن عساكر. تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي. دار الفكر للنشر، عام ١٤١٥هـ
١٧. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق. تأليف: عثمان بن علي بن محجن الزيلعي الحنفي. ومعه حاشية الشلبي. تأليف: أحمد بن محمد الشِّلْبِيُّ. الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٣١٣هـ
١٨. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. تأليف: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٠هـ
١٩. تحفة المحتاج بشرح المنهاج. تأليف: أحمد بن محمد الهيتمي. الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، عام ١٣٥٧هـ
٢٠. تدريب الراوي في شرح تقريب النووي. تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. تحقيق: نظر محمد الفاريابي. الناشر: مكتبة الكوثر، الطبعة الثانية، عام ١٤١٥هـ
٢١. تذكرة الحفاظ. تأليف: الذهبي. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ
٢٢. تراجم البخاري. تأليف: بدر الدين محمد بن جماعة. الناشر: هجر للنشر، الطبعة الأولى، عام ١٤١٢هـ
٢٣. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. تأليف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي. تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري. الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ
٢٤. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل. تأليف: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي العتمي اليماني. مع تخريجات وتعليقات: الألباني، وزهير الشاويش، وعبد الرزاق حمزة. المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٦هـ
٢٥. تهذيب اللغة. تأليف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي. تحقيق: محمد عوض مرعب. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠١م.
٢٦. تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاتهـ تأليف: ابن القيم. الناشر: دار الكتب

العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤١٥هـ
٢٧. توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار. تأليف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد ، الكحلاني الصنعاني. تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ
٢٨. الجامع الصحيح. تأليف: محمد بن عيسى بن سَوْرة، الترمذي. تحقيق وتعليق: أحمد شاكر، ومحمد عبد الباقي، وآخرون. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، عام ١٣٩٥هـ
٢٩. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - رحمه الله - وسننه وأيامه تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. تحقيق: محمد الناصر. الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ
٣٠. حاشية ابن عابدين "رد المحتار على الدر المختار". تأليف: محمد أمين بن عمر عابدين الدمشقي الحنفي. الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، طبعة خاصة، عام١٤٢٣هـ
٣١. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير. تأليف: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي. الناشر: دار الفكر.
٣٢. دقائق أولي النهى لشرح المنتهى. تأليف: منصور البهوتى الحنبلي. الناشر: عالم الكتب، الطبعة١، ١٤١٤هـ
٣٣. الذخيرة. تأليف: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي. تحقيق: محمد حجي، وسعيد أعرب، وآخرون. الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٤م.
٣٤. رسالة شرح تراجم أبواب صحيح البخاري. أحمد بن عبد الحليم الدهلوي. الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند، الطبعة الرابعة، عام١٤٠٢هـ
٣٥. الروض المعطار في خبر الأقطار. تأليف: محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري. تحقيق: إحسان عباس. الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، عام١٩٨٠م.
٣٦. روضة الطالبين وعمدة المفتين. تأليف: محيي الدين يحيى بن شرف النووي. تحقيق: زهير الشاويش. الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، عام ١٤١٢هـ
٣٧. سنن ابن ماجه تأليف: محمد بن يزيد القزويني. تحقيق: محمد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء الكتب العربية.
٣٨. سنن أبي داود. تأليف: أبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.
٣٩. السنن الكبرى. تأليف: أحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي. تحقيق: محمد

عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، عام١٤٢٤هـ
٤٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. تأليف: عبد الحي بن أحمد ابن العماد العَكري. تحقيق: محمود الأرناؤوط. خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط. الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ
٤١. شرح التبصرة والتذكرة. تأليف: عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي. تحقيق: عبد اللطيف الهميم، وماهر فحل.: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ
٤٢. شرح الزركشي على مختصر الخرقي. تأليف: محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي. الناشر: دار العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٣هـ
٤٣. شرح سنن أبي داود. تأليف: محمود بن أحمد الغيتابى الحنفى العينى. تحقيق: خالد بن إبراهيم المصري. الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ
٤٤. صحيح سنن أبي داود. تأليف: محمد ناصر الدين الألباني. الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ
٤٥. صحيح مسلم بشرح النووي. تأليف: أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٣٩٢هـ
٤٦. ضعيف سنن الترمذي. تأليف: محمد الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، عام ١٤١١هـ
٤٧. طبقات الحفاظ. تأليف: جلال الدين السيوطي. الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ
٤٨. طبقات الشافعية الكبرى. تأليف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي. تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو. الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، عام ١٤١٣هـ
٤٩. طبقات الشافعية. تأليف: أحمد بن محمد بن عمر ابن قاضي شهبة الدمشقي. تحقيق: الحافظ عبد العليم خان. الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٨هـ
٥٠. طبقات الشافعية. تأليف: عبد الرحيم الأسنوي. الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٧هـ
٥١. طبقات الفقهاء الشافعية. تأليف: عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح. تحقيق: محيي الدين علي نجيب. الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٢م.
٥٢. طبقات الفقهاء الشافعيين. تأليف: ابن كثير الدمشقي. تحقيق: أحمد هاشم، ومحمد غرب. الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، عام ١٤١٣هـ

٥٣. الطبقات الكبرى. تأليف: محمد بن سعد بن منيع البصري البغدادي. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، عام١٤١٨هـ
٥٤. عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي. تأليف: محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي المالكي. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ
٥٥. العبر في خبر من غبر. تأليف: الذهبي. تحقيق: محمد السعيد. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٦. العزيز شرح الوجيز. تأليف: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني. تحقيق: علي محمد عوض، وعادل أحمد عبد الموجود. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ
٥٧. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. تأليف: الغيتابى الحنفى العينى. الناشر: دار إحياء التراث العربي.
٥٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري. تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. الناشر: المكتبة السلفية، عام ١٣٧٩هـ
٥٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري. تأليف: زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي. تحقيق: محمود عبد المقصود، ومجدي الشافعي، وآخرون. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ
٦٠. فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار. تأليف: الحسن بن أحمد الرُّباعي الصنعاني. تحقيق: مجموعة بإشراف الشيخ علي العمران. الناشر: دار عالم الفوائد، الطبعة: الأولى، عام ١٤٢٧هـ
٦١. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث. تأليف: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي. المحقق: علي حسين علي. الناشر: مكتبة السنة، مصر، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ
٦٢. القاموس المحيط. تأليف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة، عام ١٤٢٦هـ
٦٣. القوانين الفقهية. تأليف: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي.
٦٤. كشاف القناع عن متن الإقناع. تأليف: منصور بن يونس البهوتى الحنبلي. تحقيق: محمد حسن الشافعي. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ
٦٥. لسان العرب. تأليف: ابن منظور. الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، عام

١٤١٤هـ
٦٦. المبسوط. تأليف: محمد بن أحمد شمس الأئمة السرخسي. بيروت: دار المعرفة، الطبعة: بدون، ١٤١٤هـ
٦٧. المتواري على تراجم أبواب البخاري. تأليف: أحمد بن محمد ابن المنير. تحقيق: صلاح الدين مقبول. الناشر: مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٧هـ
٦٨. مجموع الفتاوى. تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، عام ١٤١٦هـ
٦٩. المجموع شرح المهذب. تأليف: محيي الدين يحيى النووي. ومعه تكملة السبكي، والمطيعي. الناشر: دار الفكر.
٧٠. مختار الصحاح. تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الخامسة، عام١٤٢٠هـ
٧١. المدونة الكبرى. تأليف: مالك بن أنس الأصبحي المدني، رواية سحنون عن ابن القاسم. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥هـ
٧٢. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. تأليف: عبيد الله بن محمد عبد السلام الرحماني المباركفوري. الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية، الهند.
٧٣. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - رحمه الله - . تأليف: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٤. المسند الصحيح المخرَّج على صحيح مسلم. تأليف: أبي عوانة الإسفراييني. الناشر: الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، الطبعة الأولى، عام ١٤٣٥هـ
٧٥. مشارق الأنوار على صحاح الآثار. تأليف: عياض اليحصبي السبتي. الناشر: المكتبة العتيقة، تونس.
٧٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. تأليف: أحمد بن محمد الفيومي. الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.
٧٧. معجم البلدان. تأليف: ياقوت الرومي الحموي. الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٩٩٥م.
٧٨. المغني. تأليف: عبد الله بن أحمد بن محمد الجماعيلي المقدسي. الناشر: مكتبة القاهرة، عام ١٣٨٨هـ
٧٩. مقاييس اللغة. تأليف: أحمد بن فارس القزويني. تحقيق: عبد السلام هارون. الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ

٨٠. مقدمة تحقيق المسند الصحيح المخرَّج على صحيح مسلم. الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ
٨١. منحة الباري بشرح صحيح البخاري. تأليف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي. اعتنى بتحقيقه والتعليق عليه: سليمان العازمي. الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٦هـ
٨٢. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل. تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي. الناشر: دار الفكر، الطبعة الثالثة، عام ١٤١٢هـ
٨٣. موطأ الإمام مالك. تأليف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني. صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، عام ١٤٠٦ هـ
٨٤. نظم الفرائد لما تضمنه حديث ذو اليدين من الفوائد. تأليف: للحافظ خليل العلائي الشافعي. تحقيق: كامل شطيب الراوي. الناشر: مطبعة الأمة، بغداد، عام١٤٠٦هـ
٨٥. النكت على كتاب ابن الصلاح. تأليف: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق: ربيع المدخلي. الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٤هـ
٨٦. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج. تأليف: محمد الرملي. الناشر: دار الفكر، بيروت، عام ١٤٠٤هـ
٨٧. النهاية في غريب الحديث والأثر. تأليف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير. تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي. الناشر: المكتبة الإسلامية.
٨٨. وفيات الأعيان. تأليف: أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي. تحقيق: إحسان عباس. الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٤م.

تعيين الذبيح في ضوء القرآن الكريم

إعداد

ناصر بن محمد بن سعود الحمد

ماجستير في القرآن وعلومه، محاضر متعاون في جامعة المجمعة

Doi: 10.33850/jasis.2019.44488

الاستلام : ١٥/ ٤ /٢٠١٩ القبول : ٢٠ / ٥ /٢٠١٩

المستخلص:

نجد أن الخلاف في هذه مسألة المراد بالذبيح، أزلية، قديمة، منذ عهد الصحابة والتابعون ثم تتابع المفسِّرون والعلماء في الخلاف في المقصود بالذبيح: إسماعيل عليه السلام، أم إسحاق عليه السلام، فجاءت أهمية هذه الدراسة لبيان القول الصحيح في ضوء القرآن الكريم في المراد منها، والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي بعرض الأقوال وتحليلها، ثم بيان الصواب، وقد قُسّم البحث إلى مقدمة، ومباحث خمسة، والنتائج، ثم المصادر والمراجع، وقد ظهرت النتائج التالية: أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، لايمكن أن يكون الذبيح إسحاق عليه السلام وقد بشر أباه بحفيده يعقوب، كما وُصف إسماعيل بالحلم، ووصف إسحاق بالعلم، وسياق الأمر بالذبح لمن وصف بالحلم.

الكلمات المفتاحية: إسماعيل، إسحاق، الذبيح.

Abstract:

We find that the disagreement in this matter of the object of the sacrifice, eternal, old, since the era of the Companions and followers and then follow the commentators and scientists in the dispute in the meaning of the sacrifice: Ismail peace be upon him, or Isaac peace be upon him, came the importance of this study to show the correct statement in the light of the Holy Quran in what is meant , And the methodology used in this study is the analytical approach to the presentation of the statements and analysis, and then the statement of truth, and the division of the research to the introduction, and the five probes, and the results, and then sources and references, and the following results appeared: that the sacrifice is Ismail peace be upon him, can not be sacrificed Isaac Peace be upon his father and his grandson Ya Kub, as Ismail

described the dream, and described Isaac science, and the context of the matter of slaughter to those described dream.
Keywords: Ismail, Ishaq, Al-Zubih.

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد ألا إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، أما بعد: فإن القرآن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة، نزل حجة على الخلق، يهديهم من الضلال إلى النور، ويستنيرون به من ظلمات الجهل والفجور، ولقد أودعه الله قصصًا وأخبارًا دالةً على إعجاز القرآن الكريم. فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليعلم قبل أن يوحى إليه الكتاب ولا الإيمان ولم يكن ليعلمها النبي ﷺ من تِلقاء نفسِه، بل بوَحْيٍ يأتيه من السماء؛ قال الله تعالى بعد قصة مريم عليها السلام: (ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) [آل عمران: ٤٤]، وقال بعد قصة نوح عليه السلام: (تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) [هود: ٤٩]، وقال بعد قصة يوسف عليه السلام: (ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) [يوسف: ١٠٢].

ومن تلك القصص التى ذكرها الله في كتابه، قصة إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، وقد اختلف الصحابة والتابعون والمفسِّرون والعلماء في المقصود بالذبيح بينهما، فرأيت أن أجمع أقوالهم وأدلتهم في ضوء القرآن الكريم، ثم أبين القول الصحيح من ذلك.

وقد سميت هذا البحث: (**تعيين الذبيح في ضوء القرآن الكريم**).

وقد قسمته إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول: القائلون بأن الذبيح إسحاق عليه السلام.

المبحث الثاني: أدلة القائلين بأن الذبيح إسحاق عليه السلام.

المبحث الثالث: القائلون بأن الذبيح إسماعيل عليه السلام.

المبحث الرابع: أدلة القائلين بأن الذبيح إسماعيل عليه السلام.

المبحث الخامس: القول الراجح والرد على القول المرجوح.

المبحث الأول: القائلون بأن الذبيح إسحاق عليه السلام: وهذا قول العباس بن عبد المطلب ﷺ، وابن مسعود ﷺ، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس ﷺ، وقول كعب الأحبار[١]، وابن جرير الطبري[٢].

المبحث الثاني: أدلة القائلين بأن الذبيح إسحاق عليه السلام:

---

(١) ينظر: قول العباس، وابن مسعود، وابن عباس ﷺ وقول كعب الأحبار في جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩/٥٨٨- ٥٨٩.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩/٥٩٨.

الدليل الأول: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) [الصافات: ١٠١]، ووجه الدلالة: أن كلَّ المواضع التي ذكرت البشارة لإبراهيمَ بالغلَام، كانت لإسحاق، فناسَبَ أن يكون هو المقصود في هذه الآية؛ قال ابن جرير: "(ڈ ڤ ڤ) فذكر أنه فَدَى الغلامَ الحليمَ الذي بُشِّر به إبراهيم، حين سأله أن يَهَبَ له ولدًا صالحًا من الصالحين، فقال: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ)، فإذ كان المَفْدِيُّ بالذبح من ابنَيْه هو المبَشَّر به، وكان الله تبارك اسمُه قد بيَّنَ فَي كتابه أن الذي بُشِّر به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوبُ، وكان في كل موضع من القرآن ذُكِرَ تبشيرُه إيَّاه بولد، فإنما هو معنيٌّ به إسحاق، كان بيِّنًا أن تبشيره إيَّاه في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن"[٣]. اهـ.

الدليل الثاني: قال الرازي حكايةً عن أصحاب هذا القول: "لما تـمَّمَ قصةَ الذبيح ومعناه أنه بَشَّرَهُ بكونه نبيًّا من الصالحين، وذكر هذه البشارة عَقِيبَ حكاية تلك القصة، يدلُّ على أنه تعالى إنما بشَّرَه بهذه النبوة لأجل أنه تحمَّلَ هذه الشدائد في قصة الذبيح، فثبت بما ذكرنا أنَّ أولَ الآية وآخرَها يدلُّ على أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام"[٤]. اهـ.

المبحث الثالث: القائلون بأن الذبيح إسماعيل عليه السلام: وهذا قول علي ﷺ، وابن عمر رضي الله عنهما، وأبي هريرةﷺ، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وهي رواية الشعبي وعطاء بن أبي رباح عن ابن عباس ﷺ، وقول سعيد بن المسيب، والحسن، ومجاهد، والشعبي، ومحمد بن كعب القَرَظِي[٥]، وابن تيمية[٦]، وابن القيم[٧]، وابن كثير[٨].

المبحث الرابع: أدلة القائلين بأن الذبيح إسماعيل عليه السلام:

الدليل الأول: عن معاوية ﷺ: كنَّا عند رسول الله ﷺ فأتاه الأعرابي، فقال: يا رسول الله، خلفت البلادَ يابسةً والماءُ يابسًا، هلك المالُ وضاع العيال، فعُدْ عليَّ بما أفاء الله عليك يا ابن الذَّبِيحَيْنِ، فتبسَّم رسولُ الله ﷺ ولم يُنكِرْ عليه، فقلنا: يا أمير المؤمنين، وما الذبيحان؟ قال: إن عبد المطلب لـمَّا أَمَرَ بحَفْرِ زمزمَ، نذر لله إن سهَّلَ اللهُ أمرَها أن ينحر بعضَ ولدِه فأخرجهم، فأَسْهَمَ بينهم فخرج السهم لعبد الله، فأراد ذبـحَه فمنعه أخوالُه من بني مخزوم

---

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥٩٨/١٩.

(٤) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ١٥٤/٢٦.

(٥) ينظر: قول ابن عمر، ومعاوية، وابن عباس ﷺ، وقول الحسن، ومجاهد، والشعبي، ومحمد بن كعب القرظي في جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥٩٣/١٩- ٥٩٨، وقول علي، وأبي هريرة رضي الله عنهما، وسعيد بن المسيب في تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣٢٢٣/١٠.

(٦) مجموع الفتاوى ٣٣١/٤.

(٧) زاد المعاد ٧٢/١.

(٨) تفسير القرآن العظيم ٣٣/٧.

وقالوا: أَرْضِ ربَّكَ وافْدِ ابنَك. قال: ففَدَاه بمائةِ ناقةٍ، قال: فهو الذبيح وإسماعيل الثاني[٩].
وقال النبي ﷺ: (أنا ابن الذبيحين)[١٠].
الدليل الثاني: قوله تعالى: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ . فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) [الصافات: ١٠٠- ١٠٢]. ووجه الدلالة: أن الآيات وما بعدها دلَّت على بشارتين؛ الأولى: البشارة بالغلام الحليم الذبيح، والثانية: البشارة بإسحاق النبيِّ من الصالحين. فذلك دليل على أن البشارة الأولى مقصود بها إسماعيل؛ إذ لا يمكن أن يبشِّرَ مرتين في نفس السياق بإسحاق، قال ابن تيمية: "بشَّره بالذبيح وذكر قصته أولًا، فبين أنهما بشارتان: بشارة بالذبيح، وبشارة ثانية بإسحاق وهذا بين"[١١]. اهـ. وقال الشنقيطي: "دلَّ ذلك على أن البشارة الأولى شيءٌ غيرُ المبشَّر به في الثانية؛ لأنه لا يجوز حملُ كتاب الله على أن معناه: فبشرناه بإسحاق، ثم بعد انتهاء قصة ذَبْحِه يقول أيضًا: وبشرناه بإسحاق، فهو تكرار لا فائدةَ فيه يُنَزَّهُ عنه كلامُ الله، وهو واضح في أن الغلام المبشَّرَ به أولًا الذي فُدِيَ بالذِّبح العظيم، هو إسماعيل، وأن البشارة بإسحاق نَصَّ الله عليها مستقلةً بعد ذلك"[١٢]. اهـ.
الدليل الثالث: لو كان إسحاق هو الذبيح، لم يؤمر بذبحه مع علمه أنه سيكون نبيًّا، فدلَّ ذلك على أن الذبيح إسماعيل.
الدليل الرابع: قال ابن تيمية: "لم يذكر قصة الذبيح في القرآن إلَّا في هذا الموضع[١٣]، وفي سائر المواضع يذكر البشارة بإسحاق خاصة"[١٤]. اهـ. فدلَّ ذلك على أن الذبيح إسماعيل.

---

(٩) أخرجه الحاكم في كتاب: التفسير، باب: ذكر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما، برقم: (٤٠٣٦). قال ابن كثير في تفسيره القرآن العظيم ٣٥/٧: هذا حديث غريب جدًّا.
(١٠) أخرجه الحاكم في كتاب: تواريخ المتقدِّمين من الأنبياء والمرسلين، باب: ذكر من قال: إن الذبيح إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، رقم الحديث: (٤٠٤٨). قال عنه الذهبي: إسناده واهٍ، مختصر استدراك الحافظ الذهبي ١٠٠٩/٢، وقال الألباني: لا أصل له بهذا اللفظ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٥٠٠/١.
(١١) مجموع الفتاوى ٣٣٢/٤- ٢٣٣.
(١٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧٥٥/٦.
(١٣) وهو موضع الصَّافات في قوله تعالى: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ . فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) [الصافات: ١٠٠- ١٠٢].
(١٤) مجموع الفتاوى ٢٣٣/٤.

الدليل الخامس: أن الله تعالى وَصَفَ إسماعيلَ بالصبر دون إسحاق في قوله: (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ) [الأنبياء: ٨٥]، وهو صبرُه على الذبح، ووصفُه أيضًا بصِدْقِ الوعد في قوله: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) [مريم: ٥٤]؛ لأنه وَعَدَ أباه من نفسه الصبرَ على الذبح فوفى به(١٥). وإسحاق وُصف بالعلم في قوله: (فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) [الذاريات: ٢٨]، وفي الذبيح قال: والذي صبر على الذبح هو الحليم، وهو إسماعيل(١٦).

الدليل السادس: قوله تبارك وتعالى: (وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) [هود: ٧١]، وفي هذا دليل على أن الذبيح إسماعيل؛ لأن إبراهيم بُشِّرَ بإسحاقَ وحفيدِه يعقوبَ، فلو كان الذبيح إسحاق لم يُؤمَرْ إبراهيمُ بذَبْحِ ابنِه إسحاقَ مع عِلْمِه أنه سيُرزَقُ بحفيدِه يعقوبَ، فدلَّ ذلك على أن الذبيح إسماعيل. قال مكي بن أبي طالب -رحمه الله-: "وفي هذا دليلٌ على أن: الذبيح إسماعيل؛ لأنها بشَّرَت بإسحاقَ، وأنها تعيش حتى يولد له، فغيرُ جائزٍ أن يعلم إبراهيم أنه يعيش حتى يولَدَ له، ثم يؤمر بذبحه، قبل أن يولد له، فلا يجوز أن يؤمر بذبح من أُخبر أنه يعيش إلى وقتٍ بعد وقت الذَّبْحِ بسنين"(١٧). اهـ.

الدليل السابع: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعثمان بن أبي طلحة رضي الله عنه: (إني نسيت أن آمُرَكَ أن تُخَمِّرَ القرنَيْنِ؛ فإنه ليس ينبغي أن يكون في البيت شيءٌ يشغلُ المصلِّيَ)(١٨). ووجه الدلالة: أمر النبي ﷺ عثمان بن أبي طلحة أن يغطيَ قرنَي الكبش الذي فدى الله به الذبيح، والذي كان في مكة إسماعيل وليس إسحاق، قال ابن تيمية: "ولهذا، جُعلت مِنًى محلًّا للنُّسُكِ من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهما اللذان بَنَيَا البيتَ بنصِّ القرآن، ولم ينقل أحد أن إسحاق ذهب إلى مكة، لا من أهل الكتاب ولا غيرهم"(١٩). اهـ.

المبحث الخامس: القول الراجح والرد على القول المرجوح:

القول الراجح: القول الثاني؛ أن الذبيح إسماعيل، ويردُّ على أصحاب القول الأول:

---

(١٥) الكشاف ٢٢٥/٥، مجموع الفتاوى ٢٣٤/٤.

(١٦) تفسير القرآن العظيم، لابن عثيمين، (سورة الصَّافات)، ص٢٤٤.

(١٧) الهداية إلى بلوغ النهاية ٣٤٣٥/٥.

(١٨) أخرجه أبو داود في كتاب: المناسك، باب: في دخول الكعبة، رقم الحديث: (٢٠٣٠). وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٥٦٨/١، وصححه شعيب الأرنؤوط في تخريجه لسنن أبي داود ٣٧٥/٣.

(١٩) مجموع الفتاوى ٢٣٥/٤.

أولًا: أنه لا يلزم أن يكون المبشَّر به في كل مواضع القرآن، هو المقصود بالبشارة التي ذكرت قصة الذبيح، والدلائل واضحة في أن المقصود في قصة الذبيح إسماعيل.
ثانيًا: في سياق آيات الصافات التي تحدَّثت عن قصة الذبيح دلالةٌ على بشارتين، الأولى مختلفة عن الثانية؛ إذ لا يمكن أن يكون في القرآن تكرارٌ، فالبشارة الأولى بإسماعيل وهي الدالة على قصة الذبيح، والبشارة الثانية بإسحاق نبيًّا من الصالحين. أيضًا: البشارة الثانية أثبتت وجودَه ونبوَّتَه، وذلك في نصب قوله: (چ)؛ قال ابن القيم: "البشارة وقعت على المجموع: على ذاته ووجوده، وأن يكون نبيًّا؛ ولهذا نصب (چ) على الحال المقدَّرِ؛ أي: مقدِّرًا نبوَّتَه، فلا يمكن إخراجُ البشارة أن تقع على الأصل، ثم تخصُّ بالحال التابعةِ الجارية مجرى الفضلة، هذا مُحالٌ من الكلام، بل إذا وقعت البشارة على نبوَّتِه فوقوعُها على وجوده أَوْلَى وأَحْرَى"[٢٠]. اهـ.
ثالثًا: في قصة الذَّبيح؛ بَشَّره بغلامٍ حليمٍ، وفي آية الحجر والذاريات: بشَّره بغلام عليم، وهو إسحاق، فدلَّ ذلك أن الغلام الحليم هو إسماعيل.

النتائج:

وبعد عرض القولين بدليلهما، وبيان القول الراجح، فهذه أهم النتائج التي تم التوصل لها:

- أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.
- لايمكن أن يكون الذبيح إسحاق عليه السلام وقد بشر أباه بحفيده يعقوب.
- وُصف إسماعيل بالحلم، ووصف إسحاق بالعلم، وسياق الأمر بالذبح لمن وصف بالحلم.

(٢٠) زاد المعاد ٧٢/١.

المصادر والمراجع

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت:١٣٩٣ه)، إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد، طبعة: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ه. أتم سورة الحشر إلى سورة الناس عطية محمد سالم، الجزء الثامن والتاسع، طبعة على نفقة: محمد عوض بن لادن، الطبعة الثانية، ١٤٠٠ه.

٢. تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين ضياء الدين (ت:٦٠٦ه)، طبعة: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠١ه.

٣. تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧ه)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ه.

٤. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت:٧٧٤ه)، تحقيق: سامي محمد السلامة، طبعة: دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ه.

٥. تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين (ت:١٤٢١ه)، طبعة: دار ابن الجوزي، دار الثريا، سورة الصافات، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ه.

٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠)، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، د. عبد السند حسن يمامة، طبعة: دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ه.

٧. زاد المعاد في هدي خير العباد، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي ابن القيم الجوزية (ت:٧٥١)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبدالقادر الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ه.

٨. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢٠هـ)، طبعة: دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ه.

٩. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت:٢٧٥ه)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، ومحَمَّد كامِل قره بللي، طبعة: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ه.

١٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ: علي محمد معوّض، والشيخ: عادل أحمد عبد الموجود وبمشاركة: ا.د فتحي عبدالرحمن حجازي، طبعة: مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ه.

١١. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت:٧٢٨ه)، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، وساعده ابنه: محمد، طبعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، ١٤٢٥ه.
١٢. مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم، لسراج الدين عمر بن علي بن أحمد ابن الملقن (ت: ٨٠٤ه)، تحقيق وَدراسة: عَبد الله بن حمد اللحَيدَان، سعد بن عَبد الله بن عَبد العَزيز آل حميِّد، طبعة: دَارُ العَاصِمَة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١ه.
١٣. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٢ه.
١٤. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، تحقيق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف ا. د: الشاهد البوشيخي، طبعة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ١٤٢٩ه.

تفسير آيات من سورة هود (آيات ٣٦ – ٤٣)

(تضمنت قصة سفينة نوح مع ذكر فوائد القصص وتكرارها في القران)

اعداد
أحمد حميدان بن احمد الحميدان

Doi: 10.33850/jasis.2019.44489
الاستلام : ١٥/ ٤ /٢٠١٩ القبول : ٢٠ / ٥ /٢٠١٩

مقدمة :

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ونذيراً

أما بعد :

فإن تحليل معاني كتاب الله -عز وجل- من أجل ما صرفت فيه الأوقات، وهو عبادة عظيمة، وهو طريق التدبر قال تعالى : " **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** " (محمد ٢٤) فالتفسير قطب رحى التدبر إذ لا يدرك خطاب القرآن من لا يحسن معنى كلام الله، وأنا في هذا البحث أتناول آيات من سورة هود، اشتملت على قصة نوح تحليلاً لمعانيها وإعراباً وبيان لأوجه القراءات قد سلكت في البحث الخطوات التالية :

١. الاعتماد على المراجع الأصلية مع الرجوع لغيرها، مع دقة الإحالة وذكر الجزء ورقم الصفحة .
٢. صياغة البحث صياغة علمية بعيدة عن التعقيد .
٣. ذكرت في آخر البحث خاتمة تشمل على أهم النتائج .
٤. جعلت في آخر البحث ثلاثة فهارس :

أ – فهرس الآيات القرآنية " ترتيب على حسب السور "
ب – فهرس المصادر والمراجع " ترتيب على حسب حروف المعجم "
جـ - فهرس الموضوعات .

المبحث الأول : الحكمة من ذكر القصص في القرآن

* لذكر القصص في القرآن حكم عظيمة وفوائد متعددة منها :

١ – بيان حكمة الله فيما تضمنته هذه القصص لقوله تعالى:" **ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر** " (القمر ٤-٥)

٢ – بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين لقوله تعالى : " **وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم ءالهتهم الي يدعون من دون الله لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تثبيت** " (هود ١٠١) .

٣ – بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين لقوله تعالى : " **إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر** " (القمر ٣٤-٣٥)

٤ – تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما أصابه من المكذبين لقوله تعالى : " **وإن كذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات والزبر والكتاب المنير** " (فاطر ٣٥)

٥ – ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والإزدياد منه إذا علموا نجاة المؤمنين السابقين وانتصار من أمروا بالجهاد، قال تعالى : " **فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين** " (الروم ٤٧)

٦ – تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم لقوله تعالى : " **أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها** " (محمد ١٠)

٧ – إثبات رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله، قال تعالى : " **تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك**" (هود٤٩).([1])

المبحث الثاني : الحكمة من تكرار القصص في القرآن الكريم

من القصص القرآنية ما يأتي إلا مرة واحدة مثل قصة أصحاب الكهف وقصة لقمان وفيها ما يأتي :

متكررا حسب ما تدعو الحاجة به وتقتضيه المصلحة ولا يكون هذا المتكرر وجه واحد بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدة، وذكر بعض الجوانب في موضوع دون آخر .

ومن الحكم لتكرار القصص ما يلي :

١. بيان أهمية تلك القصة لأن تكرارها يدل على العناية بها .
٢. تأكيد تلك القصة لتثبت في قلوب الناس .
٣. مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها ولهذا نجد الإيجاز والشدة غالباً فيما يأتي من القصص في السور المكية والعكس فيما يأتي في السور المدنية .
٤. بيان بلاغة القرآن في ظهور هذه القصص على هذا الوجه وذاك الوجه على حسب ما تقتضيه المصلحة .
٥. ظهور ضد القرآن وأنه من عند الله تعالى حيث تأتي هذه القصص متنوعة بدون تناقض .([2])

[1] - مقدمة في التفسير لابن عثيمين صـ٢ .

المبحث الثالث: تحليل معاني الآيات من آية ٣٦ – ٤٣ من سورة هود.

قال تعالى : " {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ } (هود٣٥)

قال ابن كثير: هذا كلام معترض وسط هذه القصة مؤكد لها مقرر لها يقول الله تعالى لمحمد أم يقول هؤلاء الكافرون الجاحدون أفترى هذا وأفتعله من عنده قل إن إفتريته فعلي إجرامي " أي فإثم ذلك علي، وأنا بريء مما تجرمون " أي لست مفتعلاً ولا مفترياً لأني أعلم ما عندالله من العقوبة لمن كذب عليه ([٣]).

قال السعدي: أي أم يقولون إن محمداً إفترى هذا القرآن من عند نفسه فهذا من أعجب الأقوال وأبطلها فإنهم يعلمون أنه لم يقرأ ولم يكتب ولم يرحل عنهم للدراسة على أهل الكتاب الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فإن زعموا بعد ذلك أنه أفتراه فإنما هم معاندون ([٤]).

قال تعالى : " **وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون** "

يخبر الله تعالى عن نوح عليه السلام أنه أوحى إليه لما أستعجله قومه العذاب فدعا عليهم دعوته المشهورة " **رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديار** " نوح ٢٦ .

وقوله : " **فدعا ربه أني مغلوب فانتصر** " (القمر ١٠)

فعند ذلك أوحى الله إليه " **أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن** " الآية.

فلا تحزن عليهم ولا يهمك أمرهم . قال " القرطبي " لما أوحى الله إلى نوح بعدم إيمانهم واستدامة كفرهم دعا عليهم بدعائه المشهور وهذا تحقيقاً لنزول الوعيد عليهم ([٥]). أن قوله فلا تبتئس يقال أبتأس الرجل أي حزن وذلك إذا بلغه ما يكرهه أي لا تحزن بهلاكهم ولا تغتم .

قال تعالى : " **وأصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون** " (هود ٣٧)

قال الشوكاني: أي اعمل السفينة وقال ابن كثير بأعيننا بمرأى منا، ووحينا أي بتعليم منا لكيفية صنع السفينة، قال بعض السلف أمر أي يغرز الخشب ويقطعه ويبسه فكان ذلك في مائة سنة ونجرها في مائة سنة أخرى وقيل في أربعين سنة أخرى([٦]).

---

[٢] - مقدمة في أصول التفسير لابن عثيمين رحمه الله صـ٣ .

[٣] - تفسير ابن كثير ٥٧٩/٢

[٤] - السعدي ٤٣٢/٣ .

[٥] - القرطبي ٣/٩ – ابن كثير ٥٧٩/٢- السعدي ٤٢٣/٣

[٦] - ابن كثير ٥٧٩/٢ – الشوكاني ٧١٨/٢ – السعدي ٤٢٤/٣.

قال الشوكاني : ولا تخاطبني أي لا تطلب امهالي لهم فقد حان وقت الانتقام منهم، وقيل لا تعاجلني في عقابهم فإنهم مغرقون في الموعد المضروب لذلك لا يتأخر إغراقهم عنه وقيل المراد بالذين ظلموا امرأته وابنه .

قال تعالى :" **ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم** " ٣٨ – ٣٩

يخبر الله أن نوحاً لما شرع في صنع السفينة طفق قومه يستهزئون به حتى وقع عليهم أمر الله وهو الغرق .

قال أبو بكر ابن العربي : لما أستنقذ الله من في أصلابهم وفي الأرحام من المؤمنين أوحى الله إليه بصنع السفينة فأخذ القدوم وجعله بيده فكانت يده لا تخطئ ([٧]).

قال سيد قطب: ويصنع الفلك والجماعات من قومه المتكبرين يمرون به فيسخرون منه فيقولون رسولاً ينقلب نجاراً يصنع مركباً لأنهم لا يرون إلا ظاهر الأمر ولا يعلمون ما وراءها من وحي، وهذا شأنهم دائماً في إدراك الظواهر والعجز عن إدراك ما وراءها من الحكم والمعجزات، أما نوح فإنه واثق عارف وهو يخبرهم بإعتزاز وثقة ويبادرهم السخرية إذا وقع عليهم الغرق .

قال القرطبي : فإنا نسخر منكم عند الغرق وسوف تعلمون الذي يأتيه العذاب ممن ينجو منه، والمقيم هو الدائم وهو عذاب الآخرة ([٨]).

قال تعالى : " **حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل** " ٤٠

(**أمرنا**) أي : موعد العذاب الذي قدر فيه نزول العذاب و(**فار التنور**) اختلف في معناها على سبعة أقوال :

القول الأول : قيل معناه انحبس الماء على وجه الأرض فيكون التنور وجه الأرض وهو قول ابن عباس .

قال الطبري : وكانت العرب تسمي وجه الأرض تنوراً وسرد آثاراً كثيرة على ذلك .

القول الثاني : وهو تنوير الصبح لمثل قولهم : " ا لصبح تنويراً " وهو قول علي رضي الله عنه من رواية أبي جحيفة ، وذكر آثاراً على ذلك وهو أن التنور طلوع الفجر .

القول الثالث : أنه التنور الذي يخبز به وهو قول لابن عباس أي : إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء فاعلم أن العذاب قد وقع بهم، وكان ابن عباس يقول : " فار نبع " وأما الفوران فمعناه سارت دفعته وهذا القول وهو أنه التنور الذي يخبز به وهو الذي رجحه

[٧] - القرطبي ٣٢/٩ – ابن كثير ٥٧٩/٢ – السعدي ٤٣٤/٣ .

[٨] - ظلال القرآن سيد قطب ١٨٧٧/٤ .

ابن جرير لأنه هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأشهر الأغلب إلا أن تقوم حجة على خلافه([٩]) .

القول الرابع : أنه موضع اجتماع الماء في السفينة وهو قول الحسن .

القول الخامس : أنه مسجد الكوفة وقد اتخذ نوح السفينة في جوف المسجد وكان التنور على يمين الداخل .

القول السادس : أنه أعلى موضع في الأرض وهو قول قتادة .

القول السابع : أنه العين الذي في الجزيرة . قال مقاتل ([١٠]) كان التنور في الجزيرة يقال لها الوردة . قال ابن النحاس ([١١])

وهذه الأقوال مجتمعة غير متناقضة والذي رجح السعدي أنه تنور الخبز.

ثم قال تعالى : " **قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك** " أي ذكر وأنثى لبقاء أصل النسل بعد الطوفان، والزوج يطلق على المرأة والرجل "وأهلك" أي أهل بيته وقرابته " إلا من سبق عليه القول " أي لم يؤمن بالله منهم ابنه يام الذي أنعزل وحده وزوجته انعزلت وحدها، فكانت كافرة ، "ومن آمن " أي يركب معك من آمن وهم قليل ، فقد لبث ألف سنة إلا خمسين عاماً مع ذلك لم يؤمن معه إلا قليل، اختلف في عددهم قيل ٧٢ وقيل ١٠ – نوح وبنوه الثلاثة وأربعة نسوة، نساء أبنائه الثلاثة مع امرأة يام الكافر كانت مسلمة وقيل سبعة وقيل ثمانين، والله أعلم .

قال تعالى : " **وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم** " (٤١) قيل اركبوا الأمر من نوح ، وقيل الأمر من الله ، والركوب هو العلو فوق الشيء، يقال علاه الدين ، قال عكرمة ركب نوح في السفينة بعشر خلون من رجب وأستوت على الجود لعشر خلون من المحرم، فذلك ستة أشهر .

وقال قتادة : وزاد وهو يوم عاشوراء وقيل أن البيت الحرام قد أنجاه الله من الغرق ، وقول بسم الله مجراها ومرساها أي : وقت جريانها وقت رسوها ، ولذا يشرع الدعاء عند ركوب الدابة والسيارة ، لقوله تعالى : لتستوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا : "**سبحان الله سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون** " (الزخرف ١٣) . وأما قوله : " **إن ربي لغفور رحيم** " للجمع بين العقوبة والانتقام وبين الرحمة للمؤمنين مثل قوله : " **إن ربك سريع العقاب وأنه غفور رحيم** " ([١٢]) الأنعام ١٧٦.

---

[٩] - تفسير الطبري ٣٢١/١٥

[١٠] - القرطبي ٣٣/٩-٣٤ – ابن كثير ٥٨٠/٢ – الطبري ٣٢١/١٥ .

[١١] - السعدي ٤٢٤/٣

[١٢] - ابن كثير ٥٨١/٢ – القرطبي٣٧/٩ – السعدي ٤٢٥/٣

قوله تعالى : " **وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين** "

أي : السفينة تسير بهم وجه الماء الذي طبق جميع الأرض حتى طفت رؤوس الجبال وارتفعت عليه خمس عشرة ذراعاً . وقيل ثمانين ميلاً وهذه السفينة تسير على وجه الماء تحوطها عناية الله ورحمته وامتنانه .

قال تعالى : " **انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية** " **(الحاقة ١١)** ونادى نوح ابنه وهو الابن الرابع لنوح واسمه يام ، وقيل كنعان ، وكان كافراً دعاه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم، ولا يغرق مثل ما غرق الكافرون ، وكان في معزل قيل عن دين أبيه ، وقيل عن السفينة ، وقيل إن نوح ظن أن ابنه مؤمن ولم يعلم أنه كافر لقوله ولا تكن مع الكافرين وكان هذا قبل أن يستيقن بالغرق .

قال تعالى : " **قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين** " (٤٣)

قال الابن لجهله أن الماء سيبلغ رؤوس الجبال سآوي إلى جبل يمنعني من الماء زعماً منه أنه سينجوا إذا تعلق بالجبل ، فقال نوح : إنه لن يمتنع أحد من الغرق الذي أمر الله به إلا من رحمه الله ، وقيل عاصماً بمعنى معصوم كما يقال : طاعم بمعنى مطعوم([١٣]) .

قال ابن القيم رحمه الله : (لا عاصم) لما قالها استدعى معصوماً مفهوماً من السياق فكأنه قيل لا معصوم اليوم من أمره إلا من رحمه فلما قال لا عاصم بقي في الذهن طالباً للمعصوم ، فكأنه قيل من المعصوم فقال من رحم ([١٤]) .

المبحث الرابع **: القراءات الواردة في المقطع .**

قال تعالى: " **من كل زوج اثنين** " قرء حفص بالتنوين كل ومثله كل أفلح.

وحجة من نون أنه عدى الفعل وهو احمل واسلك إلى زوجين ونصبهما بالفعل وجعل اثنين نعتاً لزوجين ، مثل : "**ومناة الثالثة الأخرى** " (النجم ٣٠) وكل نعت فيه معنى التأكيد والتقدير احمل فيها زوجين اثنين من كل شيء ثم حذف ما أضيف إليه كل فنوّن كلاً .

وحجة من أضاف أنه عدى الفعل إلى اثنين وخفض زوجين لإضافة كل إليهما والتقدير أحمل فيها اثنين من كل زوجين أي من كل صنفين.

قال الله تعالى : " **مجراها** " قرأ حفص و حمزة والكسائي بفتح الميم والإمالة بنوه على جرت فهو مصدر جرت دليله قوله تجري بهم ولو حمل على الضم لقال تجريهم . وقرأ الباقون : بالضم للميم ، وأمال أبو عمرو . وقرأ ورش باللفظين بنوه مصدر من أجرى وهما لغتان يقل جريت به وأجريته مثل ذهبت به وأذهبته وقد أجمعوا على الضم في

[١٣] - ابن كثير ٥٨٢/٢ – القرطبي ٣٩/٩ – السعدي ٤٢٥/٣ .

[١٤] - بدائع الفوائد لابن القيم ١٠٢/٤

مرساها من أرسيت وهم يقولون رست وقد أجمعوا على " **الجبال أرساها**" (النازعات ٣٢) والضم في الميم في مجراها الاختيار لأن الأكثر عليه .

قال تعالى : " **يا بني اركب معنا** " قرأ عاصم بفتح الياء والتشديد هنا وفي يوسف والصافات ووافقه أبوبكر على الفتح هنا خاصة .

وقرأ ابن كثير بإسكان الياء والتحقيق في لقمان في قوله : " **يا بني أقم الصلاة** " (١٧) وقرأ الباقون بكسر الياء والتشديد .

وحجة من شدد الياء وكسرها وعليه أكثر القراء وهو الاختيار لأن الأصل فيه ثلاث ياءات أن الأولى ياء التصغير، والثالثة ياء الإضافة التي ينكسر ما قبلها أبدا، أما الثانية ففي لام الفعل فأدغمت ياء التصغير في الثانية ، وفي لام الفعل ولأن فيه أكثر من اجتماع، فناسب الكسر بالتخفيف ، وكان الحذف أولى وأقوى تخفيفاً والكسرة تكون دليلاً على الإضافة.

وحجت من فتح الياء مشددة أنه لما أتى بالكلمة على أصلها بثلاث ياءات استثقل اجتماع الياءات والكسرات ، فأبدل الكسرة التي قبلها ياء الإضافة فتحة فانقلبت ياء الإضافة الفاً ثم حذفت الألف كما تحذف الياء في النداء ، وبقيت الفتحة تدل على الألف المحذوفة، قال المازني ووضع الألف مكان الياء في النداء مطرد ، وحجة من أسكن الياء أنه حذف ياء الإضافة على أصل حذفها في النداء ، ثم استثقل ياء مشددة مكسورة ، فحذفت اللام الفعل فبقيت ياء التصغير ساكنة، وهي قراءة فيها ضعف التكرار. الحذف وقد جاءت في الشعر في غير الياءات فهو في الياءات أجود لثقل ذلك([١٥]).

المبحث الخامس : إعراب بعض مفردات المقطع

قوله تعالى : " **وأوحى** " الجمهور أنها مبنياً للمعلوم والقائم مقام الفاعل، "**أنه لم يؤمن** " أي أوحى إليه عدم إيمان بعض ، وذهب البعض أنها مبنية للفاعل وهو الله تعالى، أنه بكسر الهمزة وفيها وجهان :

أحدهما : وهو أصل البصريين أنه على إجراء الإنحاء مجرى القول، وقوله " **فلا تبتئس** " هو تفعيل من البؤس ومعناه الحزن في إستكانة. "**بأعيننا** " حال من فاعل أصنع .

" **وكلما مر** " العامل في كلما سخر ، وقال مستأنف إذا هو جواب السؤال سائل ، وقيل بل العامل في كلما قال وسخروا على هذا إما صفة لملأ أو بدل من أمر وهو بعيد جداً ، إذا سخر ليس نوعاً من المرور ولا هو فكيف يبدل منه والجملة من قوله كلما إلى آخره في محل نصب على الحال ، أي يصنع الفلك والحال أنه كلما مر .

" **فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم** "

من يأتيه في من وجهان :

أحدهما : أن تكون موصولة .

---

[١٥] - الكسف عن وجوه القراءات لمكي بن طالب القيسي ٥٢٩/١ - ٥٣٠

والثاني : أن تكون استفهامية، وعلى كلا التقديرين فتعلمون متعدية باثنين ومن موصولة كانت في موضوع المفعول الأول والثاني محذوف، قال ابن عطية : وجائز أن تكون متعدية إلى مفعولين واقتصر على الواحد .

قال السمين الحلبي : وهذه العبارة ليست جيدة لأن الإقتصار في هذا البال على أحد المفعولين لا يجوز.

قال تعالى : " حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل " من كل زوجين سبق تفصيلها في الكلام على القراءات الواردة.

وأهلك عطف نسق في قراءة من أضاف ((كل)) لزوجين .

" إلا من سبق " استثناء متصل في موجب فهو واجب النصب على المشهور، وقوله : **" ومن آمن "** مفعول به نسقاً على مفعول حمل .

وقوله : " وقال اركبوا " يجوز أن يكون الفاعل ضمير نوح عليه السلام ويجوز أن يكون ضمير الباري تعالى، أي : وقال الله لنوح ومن معه وفيها متعلق بـ **" اركبوا "** وعدى في لتضمينه معنى أدخلوا فيها راكبين أو سيروا فيها ، وقيل تقديره اركبوا الماء فيها ، وقيل في زائدة للتوكيد.

قوله : " بسم الله " يجوز أن يكون الجار والمجرور حال من فاعل اركبوا أو من هاء فيها ويكون مجراها ومرساها فاعلين بالاستقرار، الذي تضمنه الجار لوقوعه حالاً ويجوز أن يكون بسم الله خبر مقدم ومجراها مبدأ مؤخر، والجملة أيضاً حال مما تقدم ، وهي على كلا التقديرين حال مقدرة . وقيل بسم الله حال من فاعل اركبوا ومجراها ومرساها في موضع الظرف المكاني والزماني والتقدير اركبوا مسمين موضع جريانها وموضع رسوها ، وقد سبق التفصيل في الكلام على القراءات فيها.

قوله: **"وهي تجري"** في هذه الجملة ثلاثة أوجه :- **احدها :** أنها مستأنفة **والثاني :** أنها محل نصب على الحال من الضمير المستتر في بسم الله أي : جريانها استقر بسم الله ، **والثالث :** أنها حال من شيء محذوف .

" بهم " يجوز وجهان : **أحدها :** تتعلق بتجري **والثاني :** تتعلق بمحذوف أي تجري وهم فيها كما قال الزمخشري.

" كالجبال " صفة لموج .

" وكان في معزل " جملة في موضع نصب على الحال وصاحبها هو ابنه – والمعزل مأخوذ من العزلة ([١٦]).

الكلام على قوله : " لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم "

فيها ثلاثة أوجه :

[١٦] - الدر المصون ٣٣٣٧/١

أحدها : أنه اسم فاعل على بابه فعلى هذا يكون قوله : " **إلا من رحم** " وجهان:- أحدها أنه استثناء متصل من رحم بمعنى الراحم أي لا عاصم إلا الله ، والثاني منقطع أي لكن من رحم الله يعصم .

الوجه الثاني : أن عاصماً بمعنى معصوم مثل دافق بمعنى مدفوق فعلى هذا يكون الاستثناء متصل .

الوجه الثالث : أن عاصماً بمعنى ذا عصمة على النسب مثل حائض وطالق واستثناؤها متصل أيضاً والخبر من أمر الله ([١٧]) .

المبحث السادس : بعض هدايات المقطع :-

١. أن كل إنسان يحمل جرم نفسه فلا تحمل نفس ذنب غيرها .
٢. أن نوحاً عليه السلام لما علم بعدم إيمان من لم يؤمن دعا عليهم " **رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا** " (نوح ٢٦) .
٣. أن حال أعداء الإسلام السخرية بأهل الصلاح والإصلاح .
٤. أنه إذا حل العذاب ندم الكفار ولات ساعة مندم .
٥. حفظ الله لأوليائه في السفينة وإغراقه بأعدائه .
٦. بركة اسم الله على كل شيء حيث جرت السفينة بسم الله ورست بسم الله.
٧. عظمة قدرة الله حيث غطى الماء رؤوس الجبال .
٨. عدم ركوب ابن نوح كفراً وعناداً وجهلاً منه أن الماء سيبلغ رؤوس الجبال ([١٨]).
٩. نعمة الإسلام والهداية نعمة عظيمة لا يملكها إلا الله فنوح عليه السلام لم يستطع هداية ابنه ([١٩]).

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خير البريات وبعد :-

فبعد النظر في تفسير هذا المقطع من سورة هود والذي يشتمل على بعض قصة نوح عليه السلام توصلت إلى عدد من النتائج : -

١. أن دعاء نوح على قومه بوحي من الله بعدم إيمانهم .
٢. أن نوح استغرق وقتاً طويلاً في صناعة السفينة .
٣. أن الصحيح في معنى التنور أنه التنور الذي يخبز به كما رجحه الطبري وقال إنه المعروف من لغة العرب .

---

[١٧] - التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري .
[١٨] - ابن كثير ٥٧٨/٣
[١٩] - السعدي ٤٢٥/٣ .

٤. أن العدد الذي آمن مع نوح قليل مع طول وقت دعوته ، وهذا فيه تسلية للدعاة إلى الله .

٥. أن مجراها فيها عدة قراءات .

٦. في قول الله تعالى : " **لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم** " فيها عدة أوجه، رجح ابن القيم أن معناه بمعنى مفعول أي لا معصوم من أمر الله .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس المصادر والمراجع

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ط/ دار الكتاب العربي - بيروت

(٢) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ط/ بيت الأفكار الدولية

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط/ طبعة مؤسسة الريان

(٤) تيسير الكريم الرحمن لعبد الرحمن السعدي ط/ طبعة مركز صالح الصالح الثقافي – عنيزة الطبعة الثانية ١٤١٢هـ

(٥) جامع البيان لأبي جعفر الطبري ط/ موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

(٦) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله القرطبي /ط دار الكتب المصرية القاهرة

(٧) الدر المصنون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ط/ مكتبة مشكاة الإسلامية

(٨) فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني ط/ مصورة من النت

(٩) في ظلال القرآن لسيد قطب ط/ دار العلم للطباعة والنشر بجدة – ط الثانية عشر ١٤٠٦هـ

(١٠) الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن طالب القيسي ط/ دار الكتب العلمية - بيروت

(١١) مقدمة في أصول التفسير لمحمد بن عثيمين ط/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تفسير سورة التكاثر

اعداد

ماجد بن عبدالله بن عبدالمحسن السلمان

Doi: 10.33850/JASIS.2019.44490

الاستلام : ١٨/ ٤ /٢٠١٩ القبول : ٢٥ / ٥ /٢٠١٩

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]. يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد:

فإن أفضل ما يشتغل به الباحثون، وتُفنى فيه الأعمار، كتاب الله تعالى؛ إذ الاشتغال بفهمه وتدبره، اشتغالٌ بأعلى المطالب، وحصوله للعبد من أشرف المواهِب؛ كيف لا وهو متعلق بأعظم العلوم وأشرفها، والمتصدي لتعلمه وتعليمه أفضل الناس وأعلاهم منزلة، كما جاء ذلك في حديث: «خيركم من علم القرآن وعلمه»[(١)]، ولهذا أدرك العلماءُ كبيرَ فضلِ الله عليهم، فأفنوا الأعمار واجتهدوا في خدمة كتابه قراءة وتدبرًا، وتفسيرًا واستنباطًا، حتى فاقت مؤلفاتهم في علومه الحصر.

وقد سلكوا في تفسيره مسالكَ متعدِّدةً، ونحوا في طرق تأليفه أنحاء متفرقة، فمنهم من فسر القرآن كاملا، ومنهم من فسر آيات في مواضيع معينة، ومنهم من اختار توجيه المشكل دون غيره، ومنهم من فسر سورا معينة اختارها، لحاجة في نفسه أو لأمر متعلق بحاجة غيره، أو سؤاله، إلى غير ذلك من مسالك العلماء وطرقهم. وقد جاء هذا البحث على أحد هذه الطرق، وهو تفسير سورة مفردة، وقد اخترت فيه تفسير سورة التكاثر، وأسأل الله الإعانة والتسديد في القول والعمل.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي (٦/ ٢٣٦).

سبب اختيار الموضوع:

اخترت هذه السورة لما فيها من الوعظ؛ والزجر للقلوب؛ والتذكير بالآخرة التي صارت أمرا ثانويا بل يكاد يكون منسيا عند كثير من المسلمين اليوم، فأردت باختيار هذه السورة تذكير نفسي وإخواني بضرورة الالتفات للمهم، والسعي للباقي دون الفاني.

وقد جعلت هذا البحث على ثلاثة فصول، الفصل الأول في أحكام مجملة بين يدي السورة، وجعلت فيه مباحث، الأول في أسماء السورة، والثاني في وقت نزول السورة، والمبحث الثالث في عدد آياتها، والمبحث الرابع في فضائل السورة، وذكرت في المبحث الخامس سبب نزول السورة، وما ذكره المفسرون من أقوال في ذلك، ورجحت ما تبين لي من كلام المفسرين أنه الأقرب، وذكرت في المبحث السادس مقصد السورة وأغراضها.

ثم أوردت الفصل الثاني وهو التفسير التحليلي للسورة، وجعلته على أربعة مباحث، وذكرت في المبحث الأول معاني الكلمات في السورة وما فيها من الغريب، وفي المبحث الثاني ذكرت مطلبين، الأول تعريف القراءات لغة واصطلاحا، وذكرت في الثاني القراءات الواردة في السورة، وذكرت في المبحث الثالث النكت البلاغية في السورة، ثم ذكرت في المبحث الرابع المعنى الإجمالي للسورة.

ثم الفصل الثالث وهو التفسير الموضوعي للسورة، وقد جعلت فيه أربع مباحث، ذكرت في المبحث الأول تقرير عقيدة البعث بعد الموت ووقوع الجزاء بعد الحساب، ثم المبحث الثاني وهو مواعظ السورة، وجعلته على ثلاثة مطالب، ذكرت في الأول ما في السورة من الحث على زيارة القبور، وفي الثاني حكم زيارة القبور، وخلاف أهل العلم فيه، والراجح في ذلك، وذكرت في المطلب الثالث أقوال المفسرين إجمالا في النعيم الذي يسأل عنه الإنسان يوم القيامة، ثم الراجح من هذه الأقوال.

ثم المبحث الثالث في (كلاَّ) ودلالاتها، في ذكرت في المبحث الرابع القسم في (لترون) ودلالته. ثم بعد ذلك الخاتمة، وذكرت فيها أبرز النقاط المستفادة من هذا البحث باختصار، ثم أوردت فهرسًا للمراجع وآخر للموضوعات.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستنباطي، حيث أنظر في كلام أهل العلم فيما يتعلق بالمسألة المراد الحديث عنها، ثم أستنبط من كلامهم ما هو مراد في هذه المسألة، وأنقل من كلامهم ما هو متعلق بالمسألة، مع ذكر المصدر والجزء والصفحة التي نقلت منها، وعزوت الآية بذكر السورة ورقم الآية بعد ذكر الآية في المتن لا في الحاشية، وخرجت الأحاديث من كتب السنة بذكر الكتاب وموضع ذكر الحديث في هذا الكتاب بذكر الكتاب الذي ذكره فيه من خرجه، أو الباب، مع ذكر رقم الصفحة والجزء، وجعلت هذا في الحاشية.

وما كان من الأحاديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بذكره، وما كان في غيرهما فإن كان في السنن الأربع اكتفيت بذكرها، فإن لم يكن فيها حرصت قدر الاستطاعة على ذكر من خرجه، وذكرت في التخريج اللفظ المراد في الحديث، إلا أن يكون له لفظ آخر له تعلق بالمقصود فإني أذكره.

كما حرصت أن أذكر في كل مسألة أكثر من مرجع إذا توفر ذلك.

مشكلة البحث:

لم أجد في البحث –بحمد الله- مشاكل تذكر، حيث أن المصادر متوفرة، والمسائل ظاهرة، إلا في شيء يسير، كما في المبحثين الأخيرين من هذا البحث في ذكر دلالات (كلا)، ودلالات القسم في (لترون).

وقبل أن نشرع في المقصود، وانطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[٢]، فإنني بعد شكر الله تعالى وحمده، والثناء عليه بما هو أهله -فهو سبحانه لكل حمد مستحق- على ما يسر لي من إتمام هذا البحث، أتقدَّم بالشكر الجزيل لفضيلة شيخنا الشيخ **(أ.د. عبدالعزيز الخضيري)** وفقه الله، على ما بذل معي من جهد في هذا البحث، متمثلا في حثه وتوجيهه المستمر، وذكره للمراجع التي نحتاجها في هذا البحث؛ مما كان له أثر في سهولة هذا البحث، وكذلك توجيهه لنا بكيفية البحث، مع ذكره لأهم النقاط التي ينبغي للباحث مراعاتها، والملاحظات التي ينبغي له تجنبها، وهذا له دور كبير في اجتناب الملاحظات من بداية البحث، بالإضافة إلى ما ألمسه وإخواني الطلاب من حرص شيخنا على إفادتنا، داخل قاعة الدرس، ونصحه لنا فيما هو من مفردات الدرس أو خارجه.

فجزاه ربي أعظم الجزاء وأوفره، وبارك له في عمره وعمله وأهله وولده، ونفع به الإسلام والمسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل الأول: أحكام مجملة بين يدي السورة، وفيه مباحث:

المبحث الأول: أسماء السورة:

سميت سورة التكاثر بعدة أسماء [٣]، منها:

١ـ سورة التكاثر: وهو الموجود في معظم المصاحف، ومعظم التفاسير، وكذلك عنونها الترمذي في جامعه[٤]، وهي كذلك معنونة في بعض المصاحف العتيقة بالقيروان.

---

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٤/ ٤٠٣ باب في شكر المعروف عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه الألباني، وأخرجه الترمذي في سننه أيضا أبي هريرة رضي الله عنه عن في سننه ٤٠٣/٣ وقال هذا حديث صحيح.

(٣) التحرير والتنوير (٥١٧/٣٠)، وانظر جمال القراء (٩٣/١)، والبرهان (١٨٦/٣).

(٤) قال الترمذي (باب ومن سورة ألهاكم التكاثر)(٣٠٤/٤).

٢ـ سورة ألهاكم: كما سميت في بعض المصاحف، وكذلك ترجمها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه[٥].

٣ـ المقبرة: قال الألوسي أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال: كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسمونها «المقبرة» [٦].

المبحث الثاني: وقت نزول السورة:

وقع الخلاف بين أهل العلم في وقت نزول هذه السورة على قولين [٧]:

القول الأول: أنها نزلت في مكة: وهو مذهب الجمهور، وقال ابن عطية: «هي مكية لا أعلم فيها خلافًا»[٨]، وقال القرطبي: «وهي مكية في قول جميع المفسرين، وروى البخاري أنها مدنية»[٩].

واستدلوا بما جاء عن ابن عباس والكلبي ومقاتل: أنها نزلت في مفخرة جرت بين بني عبد مناف وبني سهم في الإسلام، وكانوا من بطون قريش بمكة، ولأن قبور أسلافهم بمكة.

القول الثاني: أنها نزلت في المدينة: ويدل له ما أخرجه ابن أبي حاتم: أنها نزلت في قبيلتين من الأنصار تفاخروا [١٠].

ولما أخرجه البخاري عن أبي بن كعب أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لو أن لابن آدم واديًا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»، قال أبي: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت: (ألهاكم التكاثر)[١١].

قالوا: أبي -رضي الله عنه- أنصاري، وظاهر قوله: حتى نزلت: (ألهاكم التكاثر) أنها نزلت بعد أن كانوا يعدون: «لو أن لابن آدم واديًا من ذهب..» من القرآن.

والذي يظهر والله تعالى أعلم:

أن سورة التكاثر سورة مكية؛ لأسباب عديدة منها:

١ـ أن معاني السورة وغلظة وعيدها يدل على أنها مكية، وأن المخاطب بها فريق من المشركين؛ لأن ما ذكر فيها لا يليق بالمسلمين أيامئذ[١٢].

---

(٥) قال البخاري (سورة ألهاكم)(٢١٨/٦).

(٦) فتح الباري (٧٢٨/٨).

(٧) انظر: التحرير والتنوير (٥١٧/٣٠)، وتفسير القرطبي (١٦٨/٢٠)، والإتقان (٥٤/١)، وتفسير ابن كثير (٤٥٠/٨).

(٨)المحرر الوجيز (٥١٨/٥).

(٩) (١٦٨/٢٠).

(١٠) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٩).

(١١) البخاري (٥١٧/٣).

(١٢) التحرير والتنوير (٥١٨/٣٠).

٢- إجماع المفسرين الذي نقله القرطبي، قال رحمه الله: «وهي مكية في قول جمع المفسرين»[١٣]، ونقله ابن عطية فقال[١٤]: «وهي مكية لا أعلم فيها خلافًا».
٣- ما سبق ذكره في سبب نزولها الوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وأما استدلال من قال بأنها مدنية بقول أبي -رضي الله عنه- السابق فالجواب عليه:
أنه ليس في كلام أبي -رضي الله عنه- دليل ناهض؛ إذ يجوز أن يريد بضمير (كنا) المسلمين، أي كان من سبق منهم يعد ذلك من القرآن حتى نزلت سورة التكاثر، وبين لهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن ما كانوا يقولونه ليس بقرآن [١٥].

المبحث الثالث: عدد الآيات:

لم يختلف المفسرون وعلماء العد في أن عدد آيات سورة التكاثر ثمان آيات.
قال أبو عمر الداني: «وهي ثمان آيات في جميع العدد ليس فيها اختلاف»[١٦].

المبحث الرابع: فضائل السورة:

ورد في فضل سورة التكاثر عدة أحاديث منها ما يدل على فضلها على غيرها من السور في القراءة، ومنها ما يدل على فضلها على غيرها في الاستماع، ومنها ما يدل على فضلها بسبب ما ورد فيها من مواعظ للمؤمنين، فمن ذلك:
١- عن مطرف عن أبيه قال: أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- هو يقرأ (ألهاكم التكاثر) قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وقال: وهل لك يابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»[١٧]؟
٢- عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟» قالوا: ومن يستطيع ذلك ؟ قال: «أما يستطيع أحدكم أن يقرأ: (ألهاكم التكاثر)»[١٨].
٣- عن جرير بن عبدالله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني قارئ عليكم سورة (ألهاكم)، فمن بكى فله الجنة، فقرأ، فمنا من بكى ومنا من لم يبك،

(١٣) المحرر الوجيز (٥١٨/٥).
(١٤) القرطبي (١٦٨/٢٠).
(١٥) التحرير والتنوير (٥١٧/٣٠).
(١٦) البيان في عدد آي القرآن (٢٨٦/١)، وانظر تفسير القرطبي (١٦٨/٢٠)، وجمال القراء (٣١٧/١)، والتحرير والتنوير (٥١٨/٣).
(١٧) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٧٣/٤)، والترمذي في سننه (١٥٠/٤)، والنسائي (٢٣٨/٦).
(١٨) أخرجه الحاكم في مستدركه (٧٥٥/١)، وقال: (رواة هذا الحديث كلهم ثقات، وعقبة هذا غير مشهور).

فقال الذين لم يبكوا: لقد جهدنا يا رسول أن نبكي فلم نقدر عليه. فقال: إني قارئها عليكم الثانية فمن بكى فله الجنة، ومن لم يقدر أن يبكي فليتباك»[١٩].

٤ـ ما ورد عن رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ قال: «من قرأ (ألهاكم التكاثر) لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا، وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية»[٢٠].

المبحث الخامس: سبب نزول السورة:

ذكر أهل التفسير عدة أسباب لنزول هذه السورة [٢١]، ومنها:

١ ـ قال مقاتل وقتادة وغيرهما: نزلت في اليهود حين قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا.

٢ ـ وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي: نزلت في حيَّين من قريش: بني عبد مناف، وبني سهم، تعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف في الإسلام، فقال كل حي منهم نحن أكثر سيدا، وأعز عزيزا، وأعظم نفرا، وأكثر عائذا، فكثر بنو عبد مناف سهما، ثم تكاثروا بالأموات، فكثرتهم سهم، فنزلت (ألهاكم التكاثر) بأحيائكم، فلم ترضوا (حتى زرتم المقابر)، مفتخرين بالأموات.

٣ ـ وقال ابن زيد: نزلت في فخذ من الأنصار. وعن أبى بريدة قال: نزلت (أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ) في قبيلتين من الأنصار وهما بنو حارثة وبنو الحرث، تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: أفيكم مثل فلان وفلان؟ وقالت الأخرى مثل ذلك. تفاخروا بالأحياء ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول: أفيكم مثل فلان؟ وتشير إلى القبر، ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله هذه السورة.

٤ ـ عن عمرو بن دينار: حلف أن هذه السورة نزلت في التجَّار.

٥ ـ عن شيبان عن قتادة قال: نزلت في أهل الكتاب.

وغير ذلك مما ذكر في أسباب نزول هذه السورة مما هو قريب جدا من هذا السبب، ولا يكاد يختلف عنه، في أن المراد أن سبب نزولها هو تكاثر الناس في شيء مما يتفاخرون به من أمور الدنيا، على وجه مذموم.

---

(١٩) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٦٢/٢)، وقال: "وهذا إسناده ضعيف بمرة، تابعه محمد بن إبراهيم بن محمد الفزاري عن إبراهيم بن محمد الفريابي. واخرجه الترمذي في نوادر الأصول (١٩٨/٢)، وانظر: الدر المنثور (٦١٠/٨).

(٢٠) تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٢٧٨/٤).

(٢١) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٩)، وانظر أسباب النزول (٣٠٥)، لباب النقول للسيوطي (٢٣٤)، تفسير الطبري (٢٤/ ٥٧٩)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٥١)، تفسير المراغي (٣٠/ ٢٢٩).

وعند النظر في هذه الأسباب لا تجد بينها تعارضا، بل يناسب أن تكون السورة جامعة لهذا وغيره مما ينهى عنه في التكاثر المذموم في أمور الدنيا، قال القرطبي بعد ذكره لجملة من الأسباب السابقة: «قلت: الآية تعم جميع ما ذكر وغيره»(٢٢).

المبحث السادس: مقصد السورة:

سبق أن عرفنا أن سورة التكاثر سورة مكية في أظهر قولي أهل العلم، بل يكاد يكون إجماعا، وكثيرا ما يأتي في السور المكية الحديث عن الآخرة، وأهوالها، وما فيها من الجزاء والحساب، والجنة والنار، والصراط والميزان، وغير ذلك مما يكون يوم القيامة.

والإيمان بهذه الأشياء يستلزم الإقرار بالبعث بعد الموت، وأن الموت ليس هو النهاية الأبدية، كما كان يظنه المشركون الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم.

وهكذا هو الأمر في سورة التكاثر، حيث جاءت مقررة لما كان ينكره المشركون، ومحذرة للمؤمنين من مغبة الغفلة والتكاثر في أمور الدنيا، مما يسبب لهم نسيان الآخرة وأهوالها، وما أعده الله للمؤمنين والكفار، فيفجؤهم الأجل على غرة، ويأتيهم الموت على حين غفلة.

قال الصابوني: «وهي -أي سورة التكاثر- تتحدث عن انشغال الناس بمغريات الحياة، وتكالبهم على جمع حطام الدنيا، حتى يقطع الموت عليهم متعتهم، ويأتيهم فجأة وبغتة... وقد تكرر في هذه السورة (الزجر والإنذار) تخويفا للناس، وتنبيها لهم على خطئهم، باشتغالهم بالفانية عن الباقية (كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون). وختمت السورة الكريمة ببيان المخاطر والأهوال التي سيلقونها في الآخرة، والتي لا يجوزها ولا ينجو منها إلا المؤمن، الذي قدم صالح الأعمال»(٢٣).

وقال أبو جعفر في كتابه البرهان في تناسب سور القرآن: «سورة التكاثر جاءت بذكر ما شغل وصد عن الاستعداد للآخرة؛ وألهى عن ذكرها؛ وهو التكاثر بالعدد والقرابات والأهلين فقال: (ألهاكم التكاثر) وهو في معرض التهديد والتقريع، وقد أعقب بما يعضد ذلك، وهو قوله: (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون)»(٢٤).

وقال ابن عاشور في معرض حديثه عن أغراض سورة التكاثر: «اشتملت على التوبيخ على اللهو عن النظر في دلائل القرآن ودعوة الإسلام بإيثار المال والتكاثر به والتفاخر بالأسلاف وعدم الإقلاع عن ذلك إلى أن يصيروا في القبور، كما صار من كان قبلهم،

(٢٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٩).
(٢٣) صفوة التفاسير للصابوني (٣/ ٥١٩).
(٢٤) البرهان في تناسب سور القرآن بتصرف يسير: ٣٧٥.

وعلى الوعيد على ذلك، وحثهم على التدبر فيما ينجيهم من الجحيم، وأنهم مبعوثون ومسؤولون عن إهمال شكر المنعم العظيم»[٢٥].

وكما ترى فإن كل ما سبق في مقصود السورة يدور حول معنى واحد وغاية متقاربة، وهي ترك الانشغال في الدنيا والتكاثر بها ونسيان الآخرة، وهذا المعنى عليه كثير ممن أشار إلى مقصد السورة، وذهب البقاعي إلى معنى آخر مخالف بعض الشيء عما سبق ذكره من حيث سبب الغرض، وإن كان المؤدى واحدا في نهاية الأمر، حيث قال: «مقصودها التصريح بما أشارت إليه العاديات من أن سبب الهلاك يوم الجمع. الذي صورته القارعة. الجمع للمال، والإخلاد إلى دار الزوال»[٢٦].

المبحث السابع: مناسبة السورة لما قبلها:

سورة التكاثر تتحدث عن الزهد في الدنيا والتنبه لها، وفيها ذكر القبور وما فيها من حساب، والسورة التي قبلها -سورة القارعة- تتحدث عن أهوال يوم القيامة، وحال من ثقل ميزانه، ومن خف ميزانه، ومصير كل واحد منهما، وبهذا تكون المناسبة بين السورتين واضحة جلية، والتناسق بينهما ظاهر واضح، فسبحان من أنزل الكتاب وجعله معجزة وموعظة لأولي الألباب.

قال المراغي في تفسيره: «ومناسبتها لما قبلها: أن في الأولى وصف القيامة وبعض أهوالها وجزاء الأخيار والأشرار، وأن في هذه ذكر الجحيم، وهى الهاوية التي ذكرت في السورة السابقة، وذكر السؤال عما قدم المرء من الأعمال في الحياة الدنيا، وهذا بعض أحوال الآخرة»[٢٧].

وقال البقاعي: «لما أثبت في القارعة أمر الساعة، وقسم الناس فيها إلى شقي وسعيد، وختم بالشقي، افتتح هذه بعلة الشقاوة ومبدأ الحشر؛ لينزجر السامع عن هذا السبب، ليكون من القسم الأول، فقال ما حاصله: انقسمتم فكان قسم منكم هالكًا لأنه (ألهاكم التكاثر) أي أغفلكم -إلا النادر منكم- غفلة عظيمة عن الموت الذي هو وحده كاف في البعث على الزهد فكيف بما بعده...»[٢٨].

(٢٥) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥١٨).
(٢٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٥١٦).
(٢٧) تفسير المراغي (٣٠/ ٢٢٨).
(٢٨) نظم الدرر (٨/ ٥١٦)، وانظر البرهان في تناسب سور القرآن (٣٧٥).

الفصل الثاني: التفسير التحليلي للسورة، وفيه مباحث:

المبحث الأول: معاني الكلمات وما فيها من الغريب:

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ [التكاثر: ١ – ٨].

يقول الله جل وعلا مخاطبا عباده -من المؤمنين وغيرهم ممن سبق ذكرهم في سبب نزول هذه السورة- خطاب عتاب وتوبيخ: (ألهاكم التكاثر) عن الطاعة وعن المصير المحتوم الذي ينتظركم يوم القيامة.

وقوله تعالى (ألهاكم): ألهى: أي شغل المعني بشيء عن شيء آخر، قال ابن عطية: ««ألهى» معناه: شغل بلذاته، ومنه لهو الحديث والأصوات واللهو بالنساء»[٢٩].

وقال الراغب: «اللهو: ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه. ويقال: ألهاه كذا. أي: شغله عما هو أهم إليه، قال تعالى: (ألهاكم التكاثر)»[٣٠].

وقوله تعالى (التكاثر): ولم يذكر المتكاثر به، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر في الأموال، والأولاد، والأنصار، والجنود، والخدم، والجاه، وغير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر، وليس المقصود به الإخلاص لله تعالى[٣١].

وأصل الكثرة الزيادة، والمكاثرة المزايدة، قال ابن فارس: «الكاف والثاء والراء أصل صحيح يدل خلاف القلة. من ذلك الشيء الكثير، وقد كثر. ثم يزاد فيه للزيادة في النعت فيقال: الكوثر: الرجل المعطاء. وهو فوعل من الكثرة، ويقال: كاثر بنو فلان بني فلان فكثروهم، أي كانوا أكثر منهم. وعدد كاثر، أي كثير. قال الأعشى:

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العـزة للكاثر[٣٢]

وقد نبه بعض أهل العلم إلى أن التكاثر المذموم هو التكاثر الباعث على الانشغال بالدنيا عن الآخرة.

قال النيسابوري في تفسيره: «قالت العلماء: التكاثر مطلقا ليس بمذموم لأن التكاثر في العلم والطاعة والأخلاق الحميدة ليس بمذموم إذا كان المراد أن يقتدي به غيره، كما مر في قوله: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) [الضحى: ١١]، وإنما المذموم ما يكون الباعث عليه الاستكبار وحب الجاه والغلبة والفخر بما لا سعادة حقيقية فيه، وليست

---

(٢٩) المحرر الوجيز (٥/ ٥١٨).
(٣٠) المفردات (٧٤٨).
(٣١) السعدي (٩٣٣).
(٣٢) المعجم (٥/ ١٦١).

السعادة الحقيقية إلا فيما يرجع إلى العلم والعمل، أو إلى ما يعين عليهما من الأمور الخارجية. عن الحسن رضي الله عنه: «لا تغرنك كثرة من ترى حولك؛ فإنك تموت وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك»[٣٣].

وقوله تعالى (حتى زرتم المقابر): أي ما زلتم مشتغلين بالتكاثر والتفاخر فيما تتكاثرون به، حتى زرتم المقابر بأن متم ودفنتم فيها، وقيل حتى زرتم المقابر وأنتم أحياء، من أجل الفخر بأمواتكم، والتكاثر بهم، على ما سبق ذكره في سبب نزولها، والأظهر هو الأول والله تعالى أعلم؛ لأنها إنما نزلت لوعظ الناس وزجرهم عن التكاثر فيما لا يفيد.

قال ابن فارس: «الزاء والواو والراء أصل واحد يدل على الميل والعدول. من ذلك الزور: الكذب؛ لأنه مائل عن طريقة الحق... والزور: الميل. يقال ازور عن كذا، أي مال عنه، ومن الباب: الزائر، لأنه إذا زارك فقد عدل عن غيرك»[٣٤].

وحقيقة الزيارة الحلول في المكان حلولا غير مستمر، فأطلق فعل الزيارة هنا تعريضا بهم بأن حلولهم في القبور يعقبه خروج منها، والتعبير بالفعل الماضي في زرتم لتنزيل المستقبل منزلة الماضي؛ لأنه محقق وقوعه مثل: (أتى أمر الله)[٣٥].

والمراد حتى صرتم أيها المتكاثرون إلى المقابر فدفنتم فيها؛ وفي هذا دليل على صحة القول بعذاب القبر، لأن الله -تعالى ذكره- أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر، أنهم سيعلمون ما يلقون إذا هم زاروا القبور وعيدا منه لهم وتهدّدا، وأن البرزخ دار مقصود منها النفوذ إلى الدار الباقية، لأن الله سماهم زائرين، ولم يسمهم مقيمين[٣٦].

والمقابر: جمع مقبرة بفتح الموحدة وبضمها. والمقبرة الأرض التي فيها قبور كثيرة، والمراد هنا حتى أتيتم القبور، قال الراغب: «القبر: مقر الميت، ومصدر قبرته: جعلته في القبر، وأقبرته: جعلت له مكانا يقبر فيه.. والمقبرة موضع القبور، وجمعها: مقابر. قال تعالى: (حتى زرتم المقابر)، كناية عن الموت»[٣٧].

وسمي القبر قبرا لأنه يخفي صاحبه، ويجعل أمره من الناس في غموض، قال ابن فارس: «القاف والباء والراء أصل صحيح يدل على غموض في شيء وتطامن. من ذلك القبر: قبر الميت»[٣٨].

وقوله تعالى (كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون): كلا حرف ردع وزجر، وقيل هي بمعنى حقًا، وقيل غير ذلك[٣٩].

---

(٣٣) تفسير النيسابوري (٦/ ٥٥٥).
(٣٤) المعجم (٣/ ٣٦).
(٣٥) انظر التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢٠).
(٣٦) انظر تفسير الطبري (٢٤/٥٨٠)، تفسير السعدي (٩٣٣)، تفسير ابن كثير (٨/٤٥٠).
(٣٧) المفردات (٦٥١).
(٣٨) المعجم (٥/٤٧).

والمراد ليس الأمر على ما تظنون وتأملون من التكاثر في الدنيا ونسيان الآخرة.
قال ابن عباس: «(كلا سوف تعلمون) ما ينزل بكم من العذاب في القبر، (ثم كلا سوف تعلمون) في الآخرة إذا حل بكم العذاب».
وقيل: «(كلا سوف تعلمون) عند المعاينة، أن ما دعوتكم إليه حق، (ثم كلا سوف تعلمون): عند البعث أن ما وعدتكم به صدق»(٤٠).
و قال الحسن البصري: «هذا وعيد بعد وعيد، وقال الضحاك: «(كلا سوف تعلمون) يعني أيها الكفار، (ثم كلا سوف تعلمون) يعني أيها المؤمنون»(٤١).
وقوله تعالى (كلا لو تعلمون علم اليقين): كرر -سبحانه وتعالى- كلمة (كلا) للردع والزجر، وقيل هي هنا بمعنى حقا(٤٢)، وقيل بل هي وقيل: إن كلا في هذه المواضع الثلاثة بمعنى «ألا»(٤٣).
واختلف أهل التأويل في وقت العلم، هل المراد لو تعلمون في الدنيا علم اليقين، أم المراد لو تعلمون ذلك بعد الدنيا في البرزخ، أو في يوم القيامة -مع اتفاقهم على أن حذف جواب لولا يراد به التهويل والتخويف فهذا الحذف يجعل النفوس تذهب في تقديره كل مذهب ممكن-، وعليه أيضا يكون الاختلاف في (اليقين) ما المراد به:
القول الأول: قال الحسن ومجاهد (كلا لو تعلمون علم اليقين) أي: لو تعلمون الأمر الذي أنتم صائرون إليه علما يقينا كعلمكم ما هو متيقن عندكم في الدنيا، وجواب لو محذوف، أي: لشغلكم ذلك عن التكاثر والتفاخر، أو لفعلتم ما ينفعكم من الخير وتركتم ما لا ينفعكم مما أنتم فيه(٤٤).
القول الثاني: (لو تعلمون علم اليقين) إذا دخلتم قبوركم، وجاءكم منكر ونكير، وحاط بكم هول السؤال، وانقطع منكم الجواب(٤٥).
القول الثالث: سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدّامكم من هول لقاء الله(٤٦).

---

(٣٩) انظر التحفة الوفية (١/ ٢٦)، والجنى الداني (٩٨/١).
(٤٠) القرطبي (٢٠/ ١٢٧).
(٤١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٢).
(٤٢) ذكره الشوكاني في الفتح عن الفراء (٥/ ٥٩٧).
(٤٣) القرطبي (٢٠/ ١٧٣).
(٤٤) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٩٧) وانظر تفسير ابن كثير تفسير (٨/ ٤٥٢) و التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢١).
(٤٥) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٧٣).
(٤٦) تفسير الزمخشري (٤/ ٧٩٢)، وانظر تفسير القرطبي.

والمتأمل لهذه الأقوال يتبين له أنه لا تعارض بينها، ويمكن حمل الآية على هذه الأقوال الثلاثة، فإن العبد لو عَلِم عِلْمَ اليقين ما سيلاقيه وهو في الدنيا؛ لعمل واجتهد فيما يطلب منه، ولو تبين له ذلك عند الموت وسكرته، أو علمه عند القبر وعذابه وضمته، أو عاينه يوم القيامة في شدة الأهوال، فإنه سيندم أشد الندم، ويتمنى أنه عمل لهذا اليوم واجتهد، وعلمه اليقيني يكون بوجود ما يدفع الشك، سواء كان الموت، أو البرزخ، أو أهوال يوم القيامة، نسأل الله أن يسلمنا من عذابه، وأن يحشرنا في زمرة أحبابه.

وفي هذا –والله أعلم– تنبيه على فضيلة الكمَّل من المؤمنين، فإن من قوي يقينه بالله وتصديقه بوعده ووعيده استعد للقائه، وصار ندمه أقل من ندم غيره.

وقوله تعالى (لترون الجحيم، ثم لترونها عين اليقين): هذا وعيد آخر، وقيل: بل هو تفسير للوعيد المتقدم في قوله تعالى (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون)، والمراد أنكم سترون النار يوم القيامة وأهوالها وشدتها، وقيل: إن اللام لام القسم، وهذا أشد في التهويل والتقريع، ثم سترون النار عين يقين لا شك فيه، بأن تروها بأبصاركم أو تدخلوها وتعالجوا عذابها، وعين اليقين: حقيقته وغايته.

وهل الخطاب في قوله (لترون) للكفار المستحقين للدخول فيها، وأنه دليل على دوامهم فيها، أم هو عام لقوله تعالى (وإن منكم إلا واردها) [مريم: ٧١]؟ بكلا القولين قيل، ولا تعارض بينهما فإن كل هذا حاصل، وحمل الآية على العموم أولى من قصرها على معنى واحد[٤٧].

وقوله تعالى (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم): ثم ليسألنكم الله -عز وجل- عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا، ماذا عملتم فيه؟ من أين وصلتم إليه؟ وفيم أصبتموه؟ وماذا عملتم به؟ هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به على معاصيه، فينعمكم نعيمًا أعلى منه وأفضل؟ أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره؟ بل ربما استعنتم به على معاصي الله فيعاقبكم على ذلك، قال تعالى: (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) [الأحقاف: ٢٠][٤٨].

ومن المخاطب بهذا السؤال؟ هل هم المؤمنون، أم الكفار؟

الكلام هنا كالكلام في المسألة السابقة في من المراد في قوله تعالى: (كلا لو تعلمون علم اليقين)، وكما قيل هناك يقال هنا، وهو جواز حمل الآية على الأمرين، فإن الكافر يسأل عن النعيم الذي أعطاه الله إياه في الدنيا، لماذا لم يؤد حقه، ويشكر عليه الله ربه، ويصرف العبادة له سبحانه وحده.

---

(٤٧) تفسير ابن كثير ط العلمية (٨/ ٤٥٢)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٧٤)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٩٧).

(٤٨) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٥٨١)، تفسير السعدي (٩٣٤).

وكذلك المسلم الذي أنعم الله عليه بالنعم، ولم يؤد حق الله تعالى فيها، سيسأل عنها يوم القيامة، ويحاسب على كفره بنعمة الله على قدر كفره، نسأل الله أن يرزقنا شكر النعمة وحسن العبادة.

وسيأتي في مبحث قادم -إن شاء الله- تفصيل الكلام في النعيم الذي سيسأل عنه العبد، مع ذكر أقوال أهل التفسير في ذلك، وبيان الراجح منها.

المبحث الثاني: القراءات الواردة في السورة:

المطلب الأول: تعريف القراءات لغة واصطلاحا:

القراءات لغة: جمع قراءة، وهي مصدر قرأ قراءة وقرآنًا بمعنى: تلا تلاوة، وهي في الأصل بمعنى الجمع والضم.

قال ابن منظور: «قَرَأَهُ يَقْرَؤُهُ ويَقْرُؤُهُ، قَرْءًا وقِراءَةً وقُرآنًا، فَهُوَ مَقْرُوءٌ. ويُسمى كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَنزله عَلَى نَبِيَّهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابًا وقُرْآنًا وفُرْقانًا، وَمَعْنَى القُرآن مَعْنَى الْجَمْعِ، وَسُمِّيَ قُرْآنًا لأَنه يَجْمَعُ السُّوَر، فيَضُمُّها»[٤٩].

وقال الراغب: «وقول أهل اللغة: إن القرء من: قرأ، أي: جمع، فإنهم اعتبروا الجمع بين زمن الطهر وزمن الحيض حسبما ذكرت لاجتماع الدم في الرحم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع. لا يقال: قرأت القوم: إذا جمعتهم، ويدل على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة، والقرآن في الأصل مصدر، نحو: كفران ورجحان. قال تعالى: (إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) [القيامة: ١٧- ١٨] قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به، وقد خص بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، فصار له كالعلم كما أن التوراة لما أنزل على موسى، والإنجيل على عيسى صلى الله عليهما وسلم. قال بعض العلماء: «تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه»، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إليه بقوله: (وتفصيل كل شيء) [يوسف: ١١١]، وقوله: (تبيانا لكل شيء) [النحل/ ٨٩]، (قرآنا عربيا غير ذي عوج) [الزمر: ٢٨]، (وقرآنا فرقناه لتقرأه) [الإسراء: ١٠٦].

وأقرأت فلانا كذا، قال: (سنقرئك فلا تنسى) [الأعلى: ٦]، وتقرأت: تفهمت، وقارأته: دارسته[٥٠].

أما القراءات اصطلاحا: فهي علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة. خرج النحو واللغة والتفسير وما أشبه ذلك. والمقرئ العالم بها ورواها مشافهة، فلو حفظ

(٤٩) لسان العرب (١/ ١٢٨).

(٥٠) المفردات في غريب القرآن (٦٦٨).

«التيسير» مثلا ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلا؛ لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة[٥١].

المطلب الثاني: القراءات الواردة في السورة:

اختلفت القراءات في بعض كلمات هذه السورة، والمقصود هنا الاختلاف في الكلمات الفرشية وهو الذي سيذكر هنا، أما الخلاف في أصول القراء، فلن يذكر، لأن الاختلاف فيه في الغالب لا يؤثر في المعنى شيئًا، ولأن أهل التفسير أيضا لا يذكرونه في كتبهم، وإنما يذكر في الكتب المختصة المفردة للقراءات.

والكلمات التي وردت بها قراءات مختلفة في هذه السورة هي:

أولا: قوله تعالى (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيم):

اختلف في كلمة (لترون): قرأها ابن عامر والكسائي (لَتُرَوُنَّ الْجَحِيمَ) بضم التاء. وقرأها الباقون (لَتَرَوُنَّ).

واتفقوا على فتح التاء في الثانية، وهو قوله تعالى: (ثم لترونها عين اليقين)؛ لأن المعنى فيه: أنهم يرونها، أي تريهم أولًا الملائكة، أو من شاء، ثم يرونها بأنفسهم، ولهذا قال الكسائي: إنك لترى أولا، ثم ترى -والله أعلم-[٥٢].

قال الشاطبي:

وَتَا «تَرَوُنَّ» اضْمُمْ في الأُولَى كَمَا رَسَا وَجَمَّعَ بِالتَّشْدِيدِ شَافِيهِ كَلا [٥٣]

وهذه الكلمة الوحيدة في السورة التي قرئ بها بقراءتين متواترتين.

وقدمتها على غيرها لتواترها؛ لا لكونها أول آية ورد فيها قراءة أخرى.

وما سيأتي من القراءات ليست قراءات متواترة، بل إما شاذة، وإما غير مشهورة.

ثانيا: قوله تعالى: (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيم، ثم لترونها عين اليقين):

روي عن الحسن وأبي عمرو أنهما همزا «لترؤن، ولترؤنها» بخلاف عنهما، وروى ابن كثير: «ثم لتُرونها» بضم التاء [٥٤].

ويكون معناها على نحو ما سبق في (لَتُرَوُنَّ).

---

(٥١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين (ص: ٩).

(٥٢) النشر في القراءات العشر (٢/ ٤٠٣)، وانظر: تحبير التيسير في القراءات العشر (١/ ٦١٧)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (٥٩٧/١)، معاني القراءات للأزهري (٣/ ١٦٠)، العنوان في القراءات السبع (١/ ٢١٣)، الإقناع في القراءات السبع (٣٩٥/١)، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني (١/ ٤٤٥).

(٥٣) الشاطبية البيت رقم (١١١٧).

(٥٤) تفسير ابن عطية (٥/ ٥١٩) وانظر: الكشاف (٤/ ٧٩٩)، معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٥٨).

وأما القراءة بالهمز فلا تغير المعنى وإنما من قرأها بالهمز استثقل الضمة على الواو فأبدلها همزة.

ثالثا: قوله تعالى (ألهاكم):

قرأها ابن عباس رضي الله عنهما: (أألهاكم) على استفهام التقرير والإنكار(٥٥).

وقرأ معاوية، وعائشة رضي الله عنهما: (آلهاكم) بهمزة واحدة ممدودة استفهامًا أيضًا(٥٦).

المبحث الثالث: النكت البلاغية في السورة:

في السورة إشارات بلاغية لطيفة، ومنها:

١ – في قوله تعالى (حتى زرتم المقابر):

عبَّر -سبحانه وتعالى- بلفظ الزيارة للمقابر، ولم يعبر بلفظ الموت، ولا بالبعث بعد الموت، وفي هذا تعريض بديع، وإشارة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وهذا الأمر مبني على ما سبق ذكره في سبب النزول من أن تفاخرهم ألهاهم حتى زاروا المقابر أمواتا، لا على ما قيل من أن الزيارة حقيقية حيث زاروا المقابر ليتفاخروا بأمواتهم، كما تفاخروا بأحيائهم، فإنها حينئذٍ تكون على ظاهرها، أما على القول الآخر في سبب النزول فيظهر فيها معنى بديع حيث عبر عن الموت بالزيارة، ومن ذلك قول جرير للأخطل:

زار القبور أبو مالك فأصبح ألأم زوارها(٥٧)

قال الطاهر ابن عاشور: «وحقيقة الزيارة الحلول في المكان حلولا غير مستمر، فأطلق فعل الزيارة هنا تعريضا بهم بأن حلولهم في القبور يعقبه خروج منها. والتعبير بالفعل الماضي في زرتم لتنزيل المستقبل منزلة الماضي لأنه محقق وقوعه مثل: (أتى أمر الله)[النحل: ١]»(٥٨).

وقال ابن كثير: «وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سلمة بن أبي داود العرضي، حدثنا أبو المليح الرقي عن ميمون بن مهران قال: كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فقرأ: (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) فلبث هنيهة ثم قال: يا ميمون ما أرى المقابر إلا زيارة، وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله. وقال أبو محمد: يعني أن يرجع إلى منزله أي إلى جنة أو إلى نار، وهكذا ذكر أن بعض الأعراب سمع رجلا يتلو

---

(٥٥) اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٤٧٦)، وانظر: البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٥٣٦)، مفاتيح الغيب للرازي (٢٧٠/٣٢)، تفسير ابن عطية (٥/ ٥١٨)، زاد المسير (٦/ ١٨٧) وغيرها.

(٥٦) زاد المسير (٦/ ١٨٧).

(٥٧) ديون جرير (٣٠٠/١).

(٥٨) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢٠).

هذه الآية: (حتى زرتم المقابر)، فقال: بعث اليوم ورب الكعبة، أي إن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره»[٥٩].

٢ ـ في قوله تعالى (كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون):

كرر -سبحانه وتعالى- هذه الآية مرتين على التوالي، وجاءت الثانية معطوفة على الأولى بحرف العطف «ثم»، ومما ذكر حول هذا التكرار:

روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قوله: (كَلاَّ سَوفَ تَعْلمُونَ) ما ينزل بكم من العذاب في القبور، (ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلمُونَ) في الآخرة إذا حل بكم العذاب.

فجعل كل جملة مرادا بها تهديد بشيء خاص.

وقيل: أكد الزجر والوعيد بقوله: (ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ)، فعطف عطفا لفظيا بحرف التراخي أيضا؛ للإشارة إلى تراخي رتبة هذا الزجر والوعيد عن رتبة الزجر والوعيد الذي قبله، فهذا زجر ووعيد مماثل للأول لكن عطفه بحرف، «ثم» اقتضى كونه أقوى من الأول لأنه أفاد تحقيق الأول وتهويله.

فجملة (ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) توكيد لفظي لجملة (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ)، وإنما أعيد الزجر ثالث مرة زيادة في إبطال ما هم عليه من اللهو عن التدبر في أقوال القرآن لعلهم يقلعون عن انكبابهم عن التكاثر مما هم يتكاثرون فيه ولهوهم به عن النظر في دعوة الحق والتوحيد.

وفي جملة (لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) تهويل وإزعاج لأن حذف جواب «لو» يجعل النفوس تذهب في تقديره كل مذهب ممكن. والمعنى: لو تعلمون علم اليقين لتبين لكم حال مفظع عظيم، وهي بيان لما في «كلا» من الزجر والتهديد ثم كرره للتأكيد، وعطفه بثم إشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول، وقيل الأول تهديد للكفار والثاني تهديد للمؤمنين وحذف معمول تعلمون وتقديره تعلمون ما يحل بكم أو تعلمون أن القرآن حق أو تعلمون أنكم كنتم على خطأ في اشتغالكم بالدنيا وإنما حذفه لقصد التهويل فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله.

وقيل بل الأول وعيد للكفار والثاني وعد للمؤمنين [٦٠].

وكل ما سبق سائغ وفيه من بلاغة القرآن ما هو ظاهر، من التكرار للوعيد وتأكيده، أو لتغاير الحال -فالأول في القبر والثاني للقيامة- مع أن الجملة واحدة، وما فيه من حذف جواب «لو» ليكون العبد على استعداد وتذكر وتخوف دون أن يحصر تفكيره في شيء معين.

---

(٥٩) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٢).

(٦٠) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٢)، القرطبي (٢٠/ ٢٧٣)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٥٦)، التسهيل لابن جزي (٣/ ٣٥٧)، اللباب (٢٠/٢٧٩).

إلا أنه ربما يقال أن من قال إن الثانية وعد للمؤمنين، أن هذا بعيد، لأن الآية إنما سيقت تهديدا ووعيدا، فالقول بأن فيها وعدًا فيه بعدٌ، والله أعلم.

المبحث الرابع: المعنى الإجمالي للسورة:

يقول الله تعالى مخاطبا عباده الذين أشغلهم التكاثر بالدنيا عن الآخرة: (ألهاكم التكاثر) أي أشغلكم، وصرفكم عن طاعة الله وعن السعي للآخرة التكاثر في الدنيا، ولم يذكر -جل ذكره- ما هو المتكاثر به، ليعم كل أمر من أمور الدنيا يتكاثر به تكاثرا يلهيه عن الآخرة من مال ملك أو ولد أو عشيرة أو غير ذلك، وفي هذا توبيخ لمن تكاثر بشيء يلهيه عن الآخرة، من الكفار أو المؤمنين، وأخبر سبحانه أن هذا التكاثر الذي أشغلهم له أمد ينتهي عنده، وهو الموت وزيارة القبور زيارة مؤقتة، ينتقلون منها بعد ذلك إلى يوم القيامة وأهواله وشدائده، ثم توعدهم أخرى وزجرهم بقوله: (كلا سوف تعلمون) ما ينتظركم أمامكم وما هي عاقبة تكاثركم وانشغالكم عن الآخرة، ثم كرر هذا الوعيد تغليظا وتشديدا وتخويفا، ثم أعاد ثالثةً الزجر بكلا، ونبههم إلى أنهم لو علموا علما يقينيا لا شكك فيه ما هم ملاقوه، لتغير حالهم وحسنت أعمالهم، وأخبر أن هذا العلم اليقيني سيتحقق حتما، وذلك عند رؤيتهم للجحيم وهي النار، فالكافر يراها ويدخلها مخلدا فيها، والفاسق يراها ويدخلها بقدر فسقه، إن لم يتداركه الله برحمته، ومن أراد الله نجاته من المؤمنين فيراها، ويحمد الله أن نجاه منها وسلمه من عذابها، وحينئذ يوقن الجميع بعذاب الله ورحمته ويندم من غرته دنياه وألهته عن آخرته، وأخبرها سبحانه أنه سيرون هذه النار معاينة رؤية حقيقية لا مراء فيها ولا شك، ولا ينتهي الأمر عند رؤية النار فحسب بل كما سبق قريبا من أن هناك من سيدخلها ويعالج زقومها وصديدها نسال الله لنا ولوالدينا السلامة منها، بل الأمر أشد تنكيلا وأعظم تقريعا فإنهم سيسألون عن النعيم الذي تنعموا به في الدنيا، من مال وصحة وولد وغير ذلك من نعيم الدنيا، هل استعملوه في طاعة الله أم في معصيته، وهذا بلا شك أشد في التقريع والتوبيخ، وأشد على النفس، فإن العذاب بعد المحاسبة والتوبيخ أشد من مجرد العذاب وحده دون توبيخ وتقريع، وفي هذه السورة من الموعظة ما يكفي العاقل ويدفعه إلى العمل للآخرة الباقية، والتقلل من الدنيا الفانية، ولكن الموفق من وفقه الله والمحروم من حرمه الله ولا يهلك على الله بعد هذا المواعظ والزواجر إلا هالك.

وقد دلت السورة على عذاب القبر وعلى أن العباد مبعوثون بعد موتهم مجزيون على أعمالهم كما دلت على وجود النار وأن الخلائق يرونها يوم القيامة في ذلك الموقف العظيم والحال كما وصف ربنا سبحانه وتعالى (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ

اللهِ شَدِيدٌ) [الحج: ٢]، ومآلهم كما أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: «فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم»(٦١)، نسأل الله السلامة والعافية.

الفصل الثالث: التفسير الموضوعي للسورة

وفيه مباحث:

المبحث الأول: تقرير عقيدة البعث بعد الموت ووقوع الجزاء بعد الحساب:

من الأصول المتقررة عند أهل السنة والجماعة أن الناس يبعثون بعد موتهم من قبورهم، ويجازون بأعمالهم بعد بعثهم.

قال الطحاوي رحمه الله: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان»(٦٢).

ويدل على هذا أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، منها:

أولاً: من القرآن:

١ – قوله تعالى: (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) [التغابن: ٧].

٢ – وقوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) [المؤمنون: ١٥-١٦].

٣ – وقوله تعالى: (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) [المعارج: ٤٣].

٤ - وقوله تعالى: (قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) [المؤمنون: ١١٥].

٥ - قوله تعالى: (قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا) [الإسراء: ٥١].

٦ - قوله تعالى: (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) [غافر: ٤٦].

٧ - وقوله تعالى: (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون) [الأنبياء: ٣٩ - ٤٠].

وغير ذلك من الأدلة الكثيرة في كتاب الله تعالى.

---

(٦١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي (٩/ ١٥٩)، وبنحوه مسلم باب أدنى أهل الجنة منزلة (١٨٦/١).

(٦٢) متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٧٢).

ثانيًا من السنة:

وردت أحاديث كثيرة في إثبات اليوم الآخر، وما يسبقه من البعث، وما فيه من الحساب والجزاء وغير ذلك من الأهوال العظيمة، ومنها:

١ـ عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفأ أحد»(٦٣).

٢ – حديث جبريل المشهور، الذي رواه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وفيه: «قال ـ أي جبريل ـ: يا رسول الله، فحدثني ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين، وتؤمن بالموت، وبالحياة بعد الموت، وتؤمن بالجنة والنار، والحساب، والميزان، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره»، قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال: «إذا فعلت ذلك فقد آمنت»(٦٤).

٣ – عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بين النفختين أربعون قال أربعون يوما قال أبيت قال أربعون شهرا قال أبيت قال أربعون سنة قال أبيت قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»(٦٥).

٤ – عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة»(٦٦).

٤ - عن أنس، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»(٦٧).

* وغير ذلك من الأدلة المتواترة، إما تواترا لفظيا، أو تواترا معنويا، كأحاديث الشفاعة.

وأجمع المسلمون على هذا إجماعًا قطعيًا، وأن الناس سيبعثون يوم القيامة ويلاقون ربهم ويجازون بأعمالهم.

---

(٦٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي (٦/٢٢٢).

(٦٤) رواه أحمد في مسنده برقم ٢٩٢٤، وأصله في الصحيحين.

(٦٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الوحي (٦/ ٢٠٥)، ومسلم: باب ما بين النفختين (٤/ ٢٢٧٠).

(٦٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الوحي (٦/١٥٨).

(٦٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي (١/١٧)، وأخرجه مسلم بلفظ مقارب: باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٨٠).

قال السفاريني في لوامع الأنوار: «اعلم أنه يجب الجزم شرعا أن الله تعالى يبعث جميع العباد ويعيدهم بجميع أجزائهم الأصلية وهي التي شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره، ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء، فإن هذا حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة مع كونه من الممكنات التي أخبر بها الشارع»(٦٨).

المبحث الثاني: مواعظ السورة:

وفيه مطالب:

المطلب الأول: ما في السورة من الحث على زيارة القبور:

تميزت هذه السورة بموعظة الناس وتذكيرهم بالآخرة، وكذلك السورة التي قبلها سورة القارعة والعاديات والزلزلة، ففي هذه السورة مواعظ بليغة لمن اتعظ.

إلا أنه لم يأت ذكر المقابر في سورة من القرآن إلا في هذه السورة، قال القرطبي: «لم يأت في التنزيل ذكر المقابر إلا في هذه السورة»(٦٩).

وتعقبه صاحب اللباب فقال: «وفيه نظر؛ لأنه تعالى قال في سورة أخرى: (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ) [عبس: ٢١]»(٧٠).

والحق أن كلام القرطبي صحيح، فإنه لم يأت ذكر المقابر التي يراد بها المكان المخصص للقبور إلا في هذه السورة، وإلا فإنه يبعد أن يقصد القرطبي أنه لم يذكر القبر بتصاريف الكلمة إلا في هذه السورة، فإن مثل هذا لا يخفى على مثله، خصوصا أن هذا ذكر في السورة التي قبلها قريبا، وهي سورة العاديات في قوله تعالى: (أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي القبور) [العاديات: ١٩]. فتبين أن مراد القرطبي المقابر ذاتها، ولا يخفى على المتأمل الفرق بين زيارة قبر، أو قبور في مكان ما، وبين زيارة المقبرة المعدة للقبور، فإن فيها من العبرة والعظة ما ليس في غيرها.

ولم يتبين لي في هذه السورة وجه حث مباشر على زيارة القبور، ولم أجد من المفسرين من خلال ما بحثت فيه من كتب من ذكر أن السورة فيها حث على زيارة القبور، وإن كان المفسرون يتكلمون عن زيارة القبول عند هذه السورة، ولعل سبب هذا والله أعلم أن السورة ذكر فيها المقابر، وأيضا أن فيها تهديدا ووعيدا وزجرا عن التكاثر في الدنيا الذي يلهي عن الآخرة، ومما يذكر العبد بالآخرة، ويصرفه عن الدنيا زيارة المقابر والتأمل في حال المقبورين، وأحسب والعلم عند الله أن هذه السنة -التي هي زيارة القبور على وجه الاتعاظ- من السنن التي تكاد تكون مهجورة في زماننا، فلم يعد الناس في هذا الزمان كالسابق في كثرة زيارتهم للمقابر، بل ولا حتى في الاتعاظ حال دفن الميت، نسأل الله أن يهدينا لصالح القول والعمل.

---

(٦٨) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٥٧).

(٦٩) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٧٠).

(٧٠) اللباب في علوم الكتاب (٤٧٧/٢٠).

وقد جاء في زيارة القبور أحاديث ترغب فيها وتحث عليها، ومنها:

أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يفعله، كما في زيارته لأهل البقيع [٧١]، وكذلك حثه -صلى الله عليه وسلم- أمته على زيارة القبور، ومن ذلك ما جاء عن عن سليمان ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرة»[٧٢].

قال العلماء: ينبغي لمن أراد علاج قلبه وانقياده بسلاسل القهر إلى طاعة ربه، أن يكثر من ذكر هادم اللذات، ومفرق الجماعات، وموتم البنين والبنات، وزيارة قبور أموات المسلمين. فينبغي لمن قسا قلبه، ولزمه ذنبه، أن يستعين بهذه الأمور على دواء دائه، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وأعوانه، فإن انتفع بالإكثار من ذكر الموت، وانجلت به قساوة قلبه فذاك، وإن عظم عليه ران قلبه، واستحكمت فيه دواعي الذنب، فإن زيارة قبور أموات المسلمين، تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول، لأن ذكر الموت إخبار للقلب بما إليه المصير، وقائم له مقام التخويف والتحذير. وفي زيارة قبر من مات من المسلمين معاينة ومشاهدة، فلذلك كان أبلغ من الأول، وليس الخبر كالمعاينة. فأما الاعتبار بحال المحتضرين، فغير ممكن في كل الأوقات، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات. وأما زيارة القبور فوجودها أسرع، والانتفاع بها أليق وأجدر. فينبغي لمن عزم على الزيارة، أن يتأدب بآدابها، ويحضر قلبه في إتيانها، ولا يكون حظه منها التطواف على الأجداث فقط، فإن هذه حالة تشاركه فيها بهيمة. ونعوذ بالله من ذلك. بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى، وإصلاح فساد قلبه، أو نفع الميت بالدعاء له، ويتجنب المشي على المقابر، والجلوس عليها ويسلم إذا دخل المقابر وإذا وصل إلى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه أيضا، وأتاه من تلقاء وجهه، لأنه في زيارته كمخاطبته حيا، ولو خاطبه حيا لكان الأدب استقباله بوجهه، فكذلك ها هنا.

ثم يعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والذخائر، فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه، وهول لم يرتقبه.

فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه، ودرج من أقرانه الذين بلغوا الآمال، وجمعوا الأموال، كيف انقطعت آمالهم، ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وليتذكر ترددهم في المآرب، ركونهم إلى

---

(٧١) رواه مسلم في قصة ساقها (٢/ ٦٦٩).

(٧٢) رواه أبوداود في سننه (١٧٠/٢٠)، وصححه الألباني، وأصله عند مسلم (٣/ ١٥٦٣).

الصحة والشباب. وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع، والهلاك السريع، كغفلتهم، وأنه لا بد صائر إلى مصيرهم..»[٧٣].

المطلب الثاني: حكم زيارة القبور، وخلاف أهل العلم فيه:

في بداية الإسلام نهى الرسول -صلى الله عليه وسلم- الصحابة عن زيارة القبور، كما في قوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي سبق قريبا: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرة»[٧٤]، فتغير الحال من النهي إلى الأمر.

وزيارة القبور على ثلاثة أقسام:

١- **الزيارة السُنّية:** وهي التي ينتفع بِهَا الزائر والْمَزُور، وتشمل السَّلام على الميت، والدعاء له بالرحمة والمغفرة.

٢- **الزيارة البدعية:** وهي الاعتقاد بأن الدعاء عند قبر مُعَيّن مستجاب، فيزورها رجاء لذلك، وكذلك زيارتها للصلاة عنها لله تعالى اعتقادا لفضل ذلك.

٣- **الزيارة الشركية:** وذلك أن تُزار القبور لاعتقاد أن أهلها يَتَوَسَّطون ويشفعون وينفعون عند الله بأنْ يرفعوا حوائج الخلق إلى الله ليقضيها، ويعبدون من دون الله.

والكلام هنا في الزيارة السنية للقبور، والتي يقصد بها نفع الزائر والمزور:

فأما شد الرحال لزيارة القبور، أيا كانت فهو محرم، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»[٧٥].

وأما زيارتها للرجال فمشروعة، بل هي مستحبة عند جمهور العلماء [٧٦].

قال ابن قدامة: «لا نعلم بين أهل العلم خلافا في إباحة زيارة الرجال القبور. وقال علي بن سعيد: سألت أحمد عن زيارة القبور، تركها أفضل عندك أو زيارتها؟ قال: زيارتها. وقد صح عن النبي - -صلى الله عليه وسلم- - أنه قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها؛ فإنها تذكركم الموت». رواه مسلم [٧٧]، والترمذي بلفظ: «فإنها تذكر الآخرة»[٧٨].

---

(٧٣) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٧٢ بتصرف يسير.

(٧٤) أخرجه أبوداود في سننه باب في زيارة القبور(٣/ ٢١٢)، وأخرجه بلفظ مقارب: مسلم في باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم (٦٧٢/٢)، وأحمد في مسنده (٣٤١/٧).

(٧٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الوحي (٧٦/٢)، ومسلم باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (٢/ ١٠١٤).

(٧٦) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤/ ٣٤٤).

(٧٧) سبق تخريجه قريبا.

(٧٨) المغني لابن قدامة (٤٢٢/٢).

وأما زيارة النساء للقبور فقد اختلف أهل العلم في حكم زيارة القبور على أقوال:

القول الأول: تحريم زيارة النساء للقبور، بل إنها من كبائر الذنوب؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: «لعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زائرات القبور»[٧٩].

القول الثاني: كراهة زيارة النساء للقبور كراهة لا تصل إلى التحريم، لحديث أم عطية: «نهينا عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا»[٨٠].

القول الثالث: أنها تجوز زيارة النساء للقبور؛ لحديث المرأة: التي مر النبي -صلى الله عليه وسلم- بها وهي تبكي عند قبر، فقال لها: «اتقي الله واصبري». فقالت له: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمثل مصيبتي. فانصرف الرسول -صلى الله عليه وسلم- عنها، فقيل لها: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجاءت إليه تعتذر؛ فلم يقبل عذرها، وقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»[٨١]، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- شاهدها عند القبر ولم ينهها عن الزيارة، وإنما أمرها أن تتقي الله وتصبر.

ولما ثبت من حديث عائشة الطويل، وفيه: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خرج إلى أهل البقيع في الليل، واستغفر لهم ودعا لهم، وأن جبريل أتاه في الليل وأمره، فخرج -صلى الله عليه وسلم- مختفيا عن عائشة، وزار ودعا ورجع، ثم أخبرها الخبر؛ فقالت: ما أقول لهم يا رسول الله؟ قال: «قولي: السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين..» إلخ [٨٢].

قالوا: فعلمها النبي -صلى الله عليه وسلم- دعاء زيارة القبور، وتعليمه هذا دليل جواز.

القول الرابع: أن زيارة النساء للقبور سنة كالرجال؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ فزوروها؛ فإنها تذكركم الآخرة»[٨٣]، وهذا عام للرجال والنساء.

ولأن عائشة -رضي الله عنها- زارت قبر أخيها، فقال لها عبد الله بن أبي مليكة: أليس النبي -صلى الله عليه وسلم- قد نهى عن زيارة القبور؟ قالت: إنه أمر بها بعد ذلك[٨٤].

---

(٧٩) أخرجه أحمد في مسنده (٤١٧/٣)، وأبو داود باب في زيارة النساء للقبور (٢١٢/٣)، والترمذي (٤٢٢/١).

(٨٠) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي (٩٩/٢)، ومسلم في باب نهي النساء عن اتباع الجنائز (٦٤٦/٢).

(٨١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي (٢/ ٩٣)، ومسلم في باب في الصبر على المصيبة (٢/ ٦٣٧).

(٨٢) أخرجه مسلم في صحيحه، مَا يُقَالُ عِنْدَ دُخُولِ الْقُبُورِ وَالدُّعَاءِ لِأَهْلِهَا، (٦٧١/٢).

(٨٣) سبق تخريجه

(٨٤) أخرجه الحاكم في مستدركه (٥٣٢/١، رقم ١٣٩٢)، والبيهقي في سننه الكبرى (٧٨/٤، رقم ٦٩٩٩).

وهذا دليل على أنه منسوخ.

والصحيح القول الأول، ويجاب عن أدلة الأقوال الأخرى: بأن الصريح منها غير صحيح، والصحيح غير صريح؛ فمن ذلك:

أولا: دعوى النسخ غير صحيحة؛ لأنها لا تقبل إلا بشرطين:

١- تعذر الجمع بين النصين، والجمع هنا سهل و ليس بمعتذر لأنه يمكن أن يقال: إن الخطاب في قوله: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ فزوروها» للرجال، والعلماء اختلفوا فيما إذا خوطب الرجال بحكم: هل يدخل فيه النساء أو لا ؟ وإذا قلنا بالدخول ـ وهو الصحيح ـ؛ فإن دخولهن في هذا الخطاب من باب دخول أفراد العام بحكم يخالف العام، وهنا نقول: قد خص النبي -صلى الله عليه وسلم- النساء من هذا الحكم، فأمره بالزيارة للرجل فقط؛ لأن النساء أخرجن بالتخصيص من هذا العموم بلعن الزائرات، وأيضا مما يبطل النسخ قوله: «لعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»[٨٥]، ومن المعلوم أن قوله: «والمتخذين عليها المساجد والسرج» لا أحد يدعي أنه منسوخ، والحديث واحد؛ فادعاء النسخ في جانب منه دون آخر غير مستقيم، وعلى هذا يكون الحديث محكما غير منسوخ.

٢- العلم بالتاريخ، وهنا لم نعلم التاريخ؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يقل: كنت لعنت من زار القبور، بل قال: «كنت نهيتكم»، والنهي دون اللعن.

وأيضا قوله: «كنت نهيتكم» خطاب للرجال، ولعن زائرات القبور خطاب للنساء؛ فلا يمكن حمل خطاب الرجال على خطاب النساء، إذا؛ فالحديث لا يصح فيه دعوى النسخ.

وثانيا: وأما الجواب عن حديث المرأة وحديث عائشة؛ أن المرأة لم تخرج للزيارة قطعا، لكنها أصيبت، ومن عظم المصيبة عليها لم تتمالك نفسها لتبقى في بيتها، ولذلك خرجت وجعلت تبكي عند القبر، ولهذا أمرها -صلى الله عليه وسلم- أن تصبر؛ لأنه علم أنها لم تخرج للزيارة، بل خرجت لما في قلبها من عدم تحمل هذه الصدمة الكبيرة؛ فالحديث ليس صريحا بأنها خرجت للزيارة، وإذا لم يكن صريحا؛ فلا يمكن أن يعارض الشيء الصريح بشيء غير صريح.

وأما حديث عائشة؛ فإنها قالت للرسول صلى الله عليه وسلم: ماذا أقول؟ فقال: «قولي: السلام عليكم»؛ فهل المراد أنها تقول ذلك إذا مرت، أو إذا خرجت زائرة؟ فهو محتمل؛ فليس فيه تصريح بأنها إذا خرجت زائرة؛ إذ من الممكن أن يراد به إذا مرت بها من غير خروج للزيارة، وإذا كان ليس صريحا؛ فلا يعارض الصريح.

وأما فعلها مع أخيها رضي الله عنهما؛ فإن فعلها مع أخيها لم يستدل عليها عبد الله بن أبي مليكة بلعن زائرات القبور، وإنما استدل عليها بالنهي عن زيارة القبور مطلقا؛ لأنه لو استدل عليها بالنهي عن زيارة النساء للقبور أو بلعن زائرات القبور؛ لكنا

(٨٥) سبق تخريجه.

ننظر بماذا ستجيبه، فهو استدل عليها بالنهي عن زيارة القبور، ومعلوم أن النهي عن زيارة القبور كان عاما، ولهذا أجابته بالنسخ العام، وقالت: إنه قد أمر بذلك، ونحن وإن كنا نقول: إن عائشة رضي الله عنها استدلت بلفظ العموم؛ فهي كغيرها من العلماء لا يعارض بقولها قول الرسول صلى الله عليه وسلم، على أنه روي عنها؛ أنها قالت: «لو شهدتك ما زرتك»(٨٦).

وهذا دليل على أنها رضي الله عنها خرجت لتدعو له؛ لأنها لم تشهد جنازته، لكن هذه الرواية طعن فيها بعض العلماء، وقال: إنها لا تصح عن عائشة رضي الله عنها، لكننا نبقى على الراوية الأولى الصحيحة؛ إذ ليس فيها دليل على أن الرسول - صلى الله عليه وسلم- نسخه، وإذا فهمت هي؛ فلا يعارض بقولها قول الرسول صلى الله عليه وسلم.

فالراجح تحريم زيارة النساء للمقابر، وأنها من كبائر الذنوب (٨٧).

المطلب الثالث: ذكر أقوال المفسرين إجمالا في النعيم الذي يسأل عنه الإنسان يوم القيامة، مع ذكر الراجح من هذه الأقوال:

ذكر المفسرون أقوالا في المراد بهذا النعيم الذي يسال عنه العبد يوم القيامة، ومن هذا الأقوال:

القول الأول: هو الأمن والصحة.

القول الثاني: ما أنعم الله به عليهم مما وهب لهم من السمع والبصر وصحة البدن.

بدليل قوله تعالى: **(**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**)** [الإسراء].

القول الرابع: هو العافية.

القول الخامس: بعض ما يطعمه الإنسان، أو يشربه. لحديث جابر بن عبد الله يقول: أتانا النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فأطعمناهم رطبا، وسقيناهم ماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه».(٨٨).

القول السادس: كل ما التذه الإنسان في الدنيا من شيء.

القول السابع: النعيم الغداء والعشاء.

القول الثامن: شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم،

القول التاسع: الصحة والفراغ.

وذكروا أقوالا أخرى، ولكنها في الجملة لا تخرج عن هذه القوال المذكورة (٨٩).

---

(٨٦) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٩/٣، رقم ١١٨١١).

(٨٧)القول المفيد (٤٢٨/١) بتصرف، وانظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤/ ٣٤٤)، والمغني لابن قدامة (٤٢٥/٢).

(٨٨) أخرجه ابن حنبل في مسنده (٣٣٨/٣، رقم ١٤٦٧٨).

وعند النظر إلى هذه الأقوال لا نجد بينها تعارضا، بل إن بينها تداخلا كبيرا، وليس هناك ما يمنع من حمل الآية عليها كلها.

قال القرطبي، بعد ذكره لأقوال بعضها مطابقة لما ذكر سابقا، والبعض الآخر قريب منها: «وكل هذه نعم، فيسأل العبد عنها: هل شكر ذلك أم كفر» (٩٠).

المطلب الرابع: في التزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة:

إن من رزقه الله تأملا في حال هذه الدنيا، وما فيها من المنغصات والمكدرات، وأنها لا تصفو للمرء على حال، بل هي كما قيل: من سره زمن ساءته أزمان، ناهيك عن قصرها وأن العمر فيها كطرفة عين، وحقارتها عند الله جل وعلا، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، في قوله: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء» (٩١).

من رزقه الله تأملا لهذه الدنيا، علم أنه دار لا تستحق أن تصرف فيها الأوقات ولا أن تعمل فيها العقول إلا فيما يرضي الله جل وعلا، وفيما يعمر فيه آخرته، فيتخذ هذه الدنيا مزرعة للآخرة. وفي الحديث الصحيح من رواية المستورد بن شداد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع؟» (٩٢)

والآيات الواردة في القرآن العزيز بعيب الدنيا، والتزهيد فيها، وضرب الأمثال لها كثيرة كقوله تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ) [آل عمران: ١٤ - ١٥]، وقوله: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) [آل عمران: ١٨٥]، وقوله: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ) الآية [يونس: ٢٤]، وقوله: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ) [الحديد: ٢٠]، وقوله: (وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) [الزخرف: ٣٥]، وقوله: (فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) [النجم: ٢٩، ٣٠].

«فينبغي للعبد المؤمن بربه، إذا نظر إلى زهرة الدنيا، فدعته إلى نفسها برونقها البهيج، أن يقول لها بلسان الحال إليك عني يا سريعة الزوال، إنما تصلحين للتشويق إلى دار ليس لساكنها عنها انتقال، أنت خزف فان، وتلك جوهر باق، فلتفرق بين الدارين عقول

---

(٨٩) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٥٨٣)، تفسير البغوي (٨/ ٥١٩)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٢)، الكشاف (٤/ ٧٩٣)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٩٨)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٧٤).

(٩٠) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٧٨).

(٩١) سنن الترمذي (٤/ ١٣٨)، وبنحوه ابن ماجه (١٣٧٦/٢)، وصححه الألباني.

(٩٢) أخرجه مسلم: باب فناء الدنيا (٢١٩٣/٤).

الرجال، خل عن منزل الزوال والفناء، ويمم نحو الجناب العالي منزل الكرامة والأنس والبر ونيل المنى، تلك والله دار قوم شروها بنفيس النفوس والأموال، حين زفت إليهم خطوبها ثم ساقوا لها المهور الغوالي...»[٩٣].

«ومن أعظم الأمور التي تزهد في الدنيا، وترغب في الآخرة: تذكر الموت يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب فيها. وكذلك مشاهدة المحتضرين، فإن في النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته، ونزعاته، وتأمل صورته بعد مماته، ما يقطع عن النفوس لذاتها، ويطرد عن القلوب مسراتها، ويمنع الأجفان من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل، ويزيد في الاجتهاد والتعب»[٩٤].

المبحث الثالث: في (كلا) ودلالاتها:

كرر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة كلمة (كلا) ثلاث مرات، ولا شك أن هذا التكرار لم يأت عبثا أو زيادة، وإما جاء لغرض وحكمة، وكلمة (كلا) لها عدة دلالات، فهي يجاء بها للتنبيه، وهي كذلك تدل على الردع، والزجر، والإبطال لقول سبقها.

قال الراغب: «كلا: ردع وزجر وإبطال لقول القائل، وذلك نقيض «إي» في الإثبات. قال تعالى: (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (٧٧) أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا (٧٨) كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا (٧٩)) [مريم: ٧٧-٧٩]، وقال تعالى: (لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا) [المؤمنون: ١٠٠] إلى غير ذلك من الآيات، وقال: (كلا لما يقض ما أمره) [عبس: ٢٣]»[٩٥].

وقال القرطبي: «وله تعالى: (كلا لو تعلمون علم اليقين) أعاد كلا وهو زجر وتنبيه»[٩٦].

فائدة:

قال ابن عاشور: «عند تفسير قوله تعالى: (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا (٧٨) كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا (٧٩)) [مريم: ٧٨-٧٩].

ولكونها-أي: كلا- حرف ردع أفادت معنى تاما يحسن السكوت عليه. فلذلك جاز الوقف عليها عند الجمهور، ومنع المبرد الوقف عليها بناء على أنها لا بد أن تتبع بكلام. وقال الفراء: مواقعها أربعة:

- موقع يحسن الوقف عليها والابتداء بها كما في هذه الآية.

---

(٩٣) التذكرة في الوعظ لابن الجوزي (٢٤/١).

(٩٤) التذكرة للقرطبي (١٣٣/١).

(٩٥) المفردات في غريب القرآن (ص: ٧٢٥).

(٩٦) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٧٣)، وانظر التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢١).

- وموقع يحسن الوقف عليها ولا يحسن الابتداء بها كقوله: (فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا) [الشعراء: ١٤، ١٥].
- وموقع يحسن فيه الابتداء بها ولا يحسن الوقف عليها كقوله تعالى: (كلا إنها تذكرة) [عبس: ١١].
- وموقع لا يحسن فيه شيء من الأمرين كقوله تعالى: (ثم كلا سوف تعلمون) [التكاثر: ٤][٩٧].

المبحث الرابع: القسم في (لترون) ودلالته:

بعد ما توعد الله سبحانه وتعالى من ألهاهم التكاثر بالدنيا عن الاشتغال بالآخرة، قال تعالى بعد ذلك (لترون الجحيم)، فهل هو قسم من سبحانه على ما سبق ذكره، أم هو جواب ل (لو)؟

سبق لنا أن جواب (لو) محذوف وهو مقدر، ولذا ذكر بعضا المفسرين أن هذا قسم منه سبحانه على ما سبق ذكره، وأنه إنما جيء بهذا القسم لفائدة:

قال الزمخشري: «ثم قال (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به... وهو جواب قسم محذوف، والقسم لتوكيد الوعيد، وأن ما أوعدوا به مالا مدخل فيه للريب»[٩٨].

وقال القرطبي: «قوله تعالى: (لترون الجحيم) هذا وعيد آخر. وهو على إضمار القسم، أي لترون الجحيم في الآخرة»[٩٩].

وقال ابن عاشور: «وليس قوله: لترون الجحيم جواب (لو) على معنى: لو تعلمون علم اليقين لكنتم كمن ترون الجحيم، أي لترونها بقلوبكم، لأن نظم الكلام صيغة قسم بدليل قرنه بنون التوكيد، فليست هذه اللام لام جواب (لو) لأن جواب (لو) ممتنع الوقوع فلا تقترن به نون التوكيد»[١٠٠].

الخاتمـــة :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فقد تبين لي من خلال هذا البحث المختصر في تفسير سورة التكاثر ما يلي:

١ - أن سورة التكاثر لها عدة أسماء.

٢ – أن سورة التكاثر سورة مكية في أصح قولي أهل العلم، بل حكي إجماعا.

٣- لا خلاف بين أهل العلم في أن عدد آياتها ثمان آيات.

٤ – ورد في فضل قراءتها عدة أحاديث.

---

(٩٧) التحرير والتنوير (١٦/ ١٦٢).

(٩٨) الكشاف (٤/ ٧٩٢).

(٩٩) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٧٤).

(١٠٠) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢٢).

٥ – لا تعارض بين الأقوال التي جاءت في سبب نزول السورة.
٦ – في إبهام ما نهي عنه من المتكاثر به تنبيه للعبد أن يحذر الغرور في الدنيا أيا كان سببه.
٧ – التعبير عن الموت بالزيارة فيه بلاغة وتأكيد أن بعد الموت بعثا، ثم جزاءً.
٨ – في السورة كلمة واحدة فقط فيها أكثر من قراءة متواترة.
٩ – الراجح أن النعيم الذي يسأل عنه الإنسان هو كل نعيم حصل له في الدنيا.
١٠- أن كل عبد سيرى النار عيانا حتى ولو لم يكن من أهلها.

قائمة المصـــادر :

١ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء، المحقق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٧هـ.

٢ - الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.

٣ - أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، تحقيق: ماهر الفحل.

٤ - الإقناع في القراءات السبع، أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المعروف بابن البَاذِش، دار الصحابة للتراث.

٥ - البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة١٤٢٠ هـ.

٦ - البرهان فى تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب، ١٤١٠ هـ.

٧ - البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ، دار إحياء الكتب العربية.

٨ - البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني، مركز المخطوطات والتراث - الكويت - ١٤١٤ هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: غانم قدوري الحمد.

٩ - تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف، تحقيق: د.أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان – الأردن-عمان ١٤٢١ هـ.

١٠ - التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

١١ - التحفة الوفية بمعاني حروف العربية، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السفاقسي (أفدته من الشاملة لم أجد له معلومات أخرى).

١٢ - تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

١٣ - التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ.
١٤ - التذكرة في الوعظ، عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح.
١٥ - التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.
١٦ - تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٧ - تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.
١٨ - تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ.
١٩ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.
٢٠ - جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٢١ - الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الشعب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧.
٢٢ - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ.
٢٣ - جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي، تحقيق: د. مروان العطيَّة - د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث - دمشق – بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ.
٢٤ - الجنى الداني في حروف المعاني، ابن أُمّ قَاسِم المرادي (أفدته من الشاملة لم أجد له معلومات أخرى).
٢٥ - الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت.
٢٦ - ديوان جرير (أفدته من الشاملة لم أجد له معلومات أخرى).

٢٧ - زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٢٧ - سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٢٨ - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
٢٩ - سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت.
٣٠ - سنن النسائي (المجتبى من السنن)، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.
٣١ - شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
٣٢ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٣ - صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني.
٣٤ - العقيدة الطحاوية، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة المعروف بالطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ.
٣٥ - العنوان في القراءات السبع، أبو طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ الأنصاري السرقسطي، المحقق: الدكتور زهير زاهد - الدكتور خليل العطية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٣٦ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.
٣٧ - القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ.
٣٨ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
٣٩ - لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٤٠ - اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.
٤١ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٤٢ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ.
٤٣ - متن الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع)، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي، المحقق: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦ هـ.
٤٤ - مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.
٤٥ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٤٦ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٤٧ - مستدرك الحاكم، (المستدرك على الصحيحين)، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
٤٨ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.
٤٩ - معاني القراءات للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.
٥٠ - معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨.
٥١ - معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٥٢ ـ المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.
٥٣ ـ مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، محمد بن أبي المحاسن محمود بن أبي الفتح محمد بن أبي شجاع أحمد الكرماني، دراسة وتحقيق: عبد الكريم مصطفى مدلج، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٥٤ ـ مفاتيح الغيب، الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٢١هـ ـ الطبعة: الأولى.
٥٥ ـ المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ـ دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ـ ١٤١٢ هـ.
٥٦ ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.
٥٧ ـ النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، المحقق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.
٥٨ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٥٩ ـ نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، المحقق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت.

حديث: "كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبًا فَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَمْرًا حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ" دراسة حديثية

إعداد
أغْرون بن ملَازم كراسْنيجي

Doi: 10.33850/jasis.2019.44491
الاستلام : ٢٢/ ٤ /٢٠١٩ القبول : ٢ / ٦ /٢٠١٩

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن الصيام ركن من أركان الإسلام، وشعيرة من شعائر الدين،له أحكام، وسنن، وآداب ينبغي للمسلم معرفتها والعناية بها، إذْ ذلك يتعلق بأداء هذه العبادة العظيمة على وجهها الصحيح،ومن ضمن هذه السنن والآداب، آداب الإفطار، وما جاء من ذلك في سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهديه؛ وهو ما ذُكر في هذا الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ[١] قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبًا فَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَمْرًا حَسَا حَسَوَاتٍ[٢] مِنْ مَاءٍ**»[٣]. هكذا جاء ذكر هذه الأشياء الثلاثة عند الإفطار في هذا الحديثبهذا الترتيب.

مشكلة البحث:

استَدل بهذا الحديث جمعٌ من أهل العلم على أن من السنة للصائم أن يفطر على رطب وأفضليته على التمر، بحيث يستحب أن يكون الإفطار على رطب، فإن لم يجد

---

(١) جاء في "مقاييس اللغة" لابن فارس (٢/ ٤٠٤) في مادة "رَطَبَ": (الراء والطاء والباء أصل واحد يدل على خلاف اليُبْس).

(٢) الحسوات: جمع حُسْوة، و(الحُسوة بالضم: الجرعة من الشراب بقدر ما يحسى مرة واحدة). انظر: "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (١/ ٣٨٧).

(٣) سيأتي تخريجه موسعاً في المبحث الأول.

الرطب فعلى التمر، فإن لم يجد التمر فعلى الماء[٤]؛ لهذا الحديث. وحيث أن الأمر كذلك، احتيج إلى معرفة مدى ثبوت لفظة "الرطب" في هذا الحديث وتفضيله على التمر من عدمه، من حيث الصناعة الحديثية، وهو ما سنبينه في هذا البحث بحول الله تعالى وقوته.

حدود البحث:

ستكون حدود البحث: حديث «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبًا فَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَمْرًا حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ» وتخريجه تخريجاً موسعاً، ودراسته دراسة حديثية مع بيان الحكم عليه، وذكر متابعاته وشواهده.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق ما يلي:

١- بيان من أخرج الحديث.
٢- جمع المتابعات والشواهد له.
٣- بيان درجة هذا الحديث صحة وضعفاً.
٤- التحقيق في مدى ثبوت لفظة "الرطب" عند الإفطار من عدمه.
٥- بناء على النقطة السابقة: هل يقال بسنية وأفضلية الرطب على التمر أو لا.

الدراسات السابقة:

لم أقف على من تناول الحديث بدراسة حديثية شاملة في بحث مستقل، سوى ما خرَّجه الشيخ الألباني –رحمه الله- في "إرواء الغليل" (٤/٤٥)، حيث ذكر تخريجه والمتابعات، والطرق، وهو تناول جيد، إلا أنه لم يستوعب جميع طرق الحديث عن أنس، كما أنه لم يتوسع في دراسة الإسناد، وقد حكم على الحديث بـ"الحسن" على ظاهر الإسناد، ولم ير أن التفرد والغرابة، علة في هذا الخبر، خاصة في ذكر "الرطب".

وقد اطلعت –بعد التفرغ من هذا البحث- على مناقشة بين أعضاء "ملتقى أهل الحديث" حول هذا الحديث، وقد نوقشت فيه كثير من المسائل المتعلقة بهذه من حيث الصحة والضعف والنكارة والغرابة ونحو ذلك[٥].

---

(٤) وهو قول لجماعة من الحنابلة. جاء في "الإنصاف" للمرداوي (٣/ ٣٣١): (...وقال في المغني، والشرح، والفروع، والفائق: يسن أن يفطر على الرطب، فإن لم يجد فعلى التمر، فإن لم يجد فعلى الماء، وقال في الوجيز: ويفطر على رطب أو تمر أو ماء، وقال في الحاويين: يفطر على تمر أو رطب أو ماء...). وينظر "المغني" لابن قدامة (٣/ ١٧٥).

(٥) ينظر الرابط في ملتقى أهل الحديث:
https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=256343&page=2

منهج البحث وإجراءاته:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

أما الإجراءات العملية، فكما يلي:

١- تخريج الحديث تخريجاً موسعاً.

٢- ترتيب مصادر التخريج حسب الأقدمية.

٣- أذكر عند دراسة الإسناد: اسم الراوي ونسبه وكنيته وما يتميز به من غيره.

٤- أضع مصادر الترجمة عند اسم الراوي في الحاشية، ولا أعيدها مرة أخرى عند ذكر أقوال أصحابها فيه.

٥- عزوت الأقوال إلى قائليها وإثبات ذلك في الحاشية.

٦- أكتفي في الحاشية بذكر عنوان الكتاب، واسم المؤلف المشتهر به، والجزء/ والصفحة. وإذا تكرر الكتاب، فأكتفي بذكره دون اسم المؤلف.

٧- حكمت على الحديث بما ظهر لي من خلال دراسة الإسناد، وجمع الطرق، وبما وقفت عليه من المتابعات والشواهد.

٨- قسمت البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

٩- وضعت فهرساً، اشتمل على ثبت المراجع.

المبحث الأول: تخريج الحديث

أخرجه **أحمد** في "مسنده"، رقم (١٢٦٧٦)، -ومن طريقه أبو داود في "سننه"، كتاب الصوم، باب ما يفطر عليه، رقم (٢٣٥٦)، والدارقطني في "سننه"، رقم (٢٢٧٧)، ورقم (٢٢٧٨)، والقطيعي في "جزء الألف دينار" (ص: ٧٢)، رقم (٥٢)، والحاكم في "المستدرك" (١/ ٥٩٧)، رقم (١٥٧٦)، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" (٩/ ٢٢٧)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٤/ ٤٠٢)، رقم (٨١٣١)، وفي "السنن الصغير" (٢/ ١١١)، رقم (١٣٨٨)، وفي "شعب الإيمان" (٥/ ٤٠٥)، رقم (٣٦١٧)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٤/ ٤١١)، رقم (١٥٨٥) -.

والترمذي في "جامعه"، أبواب الصوم، باب ما جاء ما يستحب عليه الإفطار، رقم (٦٩٦)، -ومن طريقه البغوي في "شرح السنة" (٦/ ٢٦٦)، رقم (١٧٤٢)- عن **محمد بن رافع**.

وأخرجه البزار في "مسنده" (١٣/ ٢٩٤)، رقم (٦٨٧٥)، والدارقطني في "سننه"، رقم (٢٢٧٧)، والضياء في "الأحاديث المختارة" (٤/ ٤١٢)، رقم (١٥٨٦) من طريق **مهنى بن يحيى** أبو عبد الله الشامي.

وأخرجه الطوسي في "مستخرجه" - مختصر الأحكام (٣/ ٣١٧)، رقم (٦٣٩)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٤/ ٤١١)، رقم (١٥٨٤) من طريق أبي يعقوب **إسحاق بن الضيف** بن إبراهيم الباهلي.

أربعتهم (**أحمد بن حنبل، ومحمد بن رافع، ومهنى بن يحيى، وإسحاق بن الضيف**) عن عبد الرزاق، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا ثابت البناني، أنه سمع أنس بن مالك يقول: **«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ، فَعَلَى تَمَرَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ».**

وعند البزار، والدارقطني، والضياء من حديث مهنى بن يحيى: **«أَفْطَرَ عَلَى تَمَرَاتٍ أَوْ رُطَبَاتٍ...».**

وعند الطوسي، والضياء من حديث إسحاق بن الضيف: **«يُفْطِر عَلَى لَبَنٍفَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَتَمْرٍ...».** وهذا اللفظ بذكر اللبن خطأ، تفرد به إسحاق بن الضيف، وهو وإن كان صدوقاً، لكنه يخطئ[٦]، وقد خالف فيه من هو أوثق منه.

توبع عبدالرزاق في هذا الحديث:

قد تابعه فيه ثلاثةٌ؛ سعيد بن سليمان النشيطي[٧]، وعمار بن هارون[٨]، وسعيد بن هبيرة[٩]، ثلاثتهم رووه عن جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس به، وقد خالفوه في المتن، فلم يذكروا فيه "الرطب"؛

فأخرج ابن عدي في "الكامل في ضعفاء الرجال" (٢/ ٣٨٦)، فقال: حدثنا جعفر بن محمد بن الليث الزبادي، حدثنا **سعيد بن سليمان النَشِيطي**، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُم فَلْيُفْطِرْ عَلَى التَّمْرِ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَمَاءٍ».**

وأخرجه ابن عدي أيضاً في "الكامل" (٢/ ٣٨٧)، و(٦/ ١٤٣)، فقال: حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا **عمار بن هارون**، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا ثابت، عن أنس، قال: **«كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُفْطِرُ عَلَى التَّمْرِ وَيُحِبُّ أَنْ يُفْطِرَ عَلَيْهِ».**

قال ابن عدي في الموضع الأول: (وهذا الحديث يعرف بعبد الرزاق عن جعفر ومن إفرادات جعفر، عن ثابت، عن أنس؛ لا أعلم يرويه عن جعفر غير ثلاثة أنفس اثنين قد ذكرتهما والثالث عبد الرزاق عن جعفر، والحديث به مشهور عن جعفر وقد رواه سعيد

---

(٦) قال فيه أبو زرعة: (صدوق). وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال: (ربما أخطأ). انظر: "تهذيب التهذيب" لابن حجر (١/ ٢٣٨).

(٧) هو: سعيد بن سليمان بن خالد، البصرى، المعروف بالنشيطى: ضعيف. "التقريب" (٢٣٣٠).

(٨) هو: عمار بن هارون المُستَمْلِي، أبو ياسر البصري: ضعيف. "التقريب" (٤٨٣٥).

(٩) هو: سعيد بن هبيرة المروزي. يروي عن حماد بن سلمة وغيره، وكتب الكثير. قال ابن حبان: (يروى الموضوعات عن الثقات، كأنه كان يضعها أو توضع له فيجيب فيها). انظر: "ميزان الاعتدال" (٢/ ١٦٢). ولم أقف على روايته عن جعفر بن سليمان.

بن سليمان، وعمار بن هارون وزاد في حديث عبد الرزاق كان النبي صلى الله عليه وسلم **يفطر على الرطب** فإن لم يكن رطب فتمر).
وقال في الموضع الثاني: (وهذا معروف بعبد الرزاق، عن جعفر بن سليمان، وقد رواه عمار بن هارون، وسعيد بن سليمان النشيطي جميعا عن جعفر أيضاً).
وقال أيضاً (٦/ ١٤٤): (ولعمار غير ما ذكرت أحاديث، وعامة ما يرويه غير محفوظة).
أما رواية **سعيد بن هبيرة**، فذكرها أبو حاتم في "العلل"، ولم أقف عليها مسنداً.
تبين مما تقدم، أن عبدالرزاق تفرد في هذا الحديث بذكر **"الرطب"**، كما يظهر ذلك في التخريج، وكما أشار إليه ابن عدي، وقد خالفه في ذلك ثلاثة؛ سعيد بن سليمان النشيطي، وسعيد بن هبيرة، وهارون بن عمار، كما تقدم.
وتوبع جعفر بن سليمان، تابعه **عبدالواحد بن ثابت**:
أخرجه أبو يعلى الموصلي في "مسنده" (٦/ ٥٩)، رقم (٣٣٠٥)، -ومن طريقه الضياء في "الأحاديث المختارة" (٥/ ١٣١)، رقم (١٧٥٥)-، والعقيلي في "الضعفاء الكبير" (٣/ ٥٠) من طريق إبراهيم بن الحجاج السامي، حدثنا أبو ثابت عبد الواحد بن ثابت، حدثنا ثابت، عن أنس، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم «**يُحِبُّ أَنْ يُفْطِرَ عَلَى ثَلَاثِ تَمَرَاتٍ أَوْ شَيْءٍ لَمْ تُصِبْهُ النَّارُ**». ولم يذكر فيه "الرطب" أيضاً.

المبحث الثاني: دراسة الإسناد

١- عبدالرزاق بن همام بن نافع الحِمْيَرِي[١٠]، مولاهم، أبو بكر الصَنْعَاني، من التاسعة، مات سنة (٢١١هـ). روى عن: جعفر بن سليمان، وابن جريج، ومعمر، وغيرهم. وعنه: أحمد، وإسحاق، والرمادي، وغيرهم.

عن عبد الوهاب بن همام أخي عبد الرزاق، قال: كنت عند معمر وكان خاليا، فقال: (يختلف إلينا في طلب العلم من أهل اليمن أربعة: رباح بن زيد، ومحمد بن ثور، وهشام بن يوسف، وعبد الرزاق بن همام، ...، وأما ابن همام فإن عاش فخليق أن تضرب إليه أكباد الإبل).
وقال أحمد بن صالح المصري: قلت لأحمد بن حنبل: (رأيت أحدا أحسن حديثا من عبد الرزاق؟ قال: لا).

---

(١٠) انظر في ترجمته: "التاريخ الكبير" للبخاري (٦/ ١٣٠)، "الضعفاء الكبير" للعقيلي (٣/ ١٠٧)، "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٦/ ٣٨)، " الثقات" للعجلي (ص: ٣٠٢)، "الكامل في ضعفاء الرجال" لابن عدي (٦/ ٥٤٥)، "الثقات" لابن حبان (٨/ ٤١٢)، "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" للمزي (١٨/ ٥٧)، "ميزان الاعتدال" للذهبي (٢/ ٦٠٩)، "إكمال تهذيب الكمال" لمغلطاي (٨/ ٢٦٨) "تهذيب التهذيب" لابن حجر (٦/ ٣١١)، "التقريب" لابن حجر (٤٠٦٩).

وقال يعقوب بن شيبة عن علي بن المديني: (قال لي هشام بن يوسف: وكان عبد الرزاق أعلمنا وأحفظنا).
وقال يعقوب -تعقيبا على كلام ابن المديني هذا-: (وكلاهما ثقة).
وقال أبو داود: (ثقة).
وقال العجلي: (يماني، ثقة).
وقال أبو زرعة الدمشقي: (عبد الرزاق أحد من ثبت حديثه).
وقال الدارقطني: (ثقة، لكنه يخطئ على معمر في أحاديث).
ووثقه أحمد بن صالح، والبزار، كما ذكره ابن خلفون.

قال ابن خلفون في كتاب "الثقات" -كما في "الإكمال"-: (تُكلم في مذهبه، ونسب إلى التشيع، وهو عندنا ثقة مشهور حجة، وثقه أحمد بن صالح، والبزار وغيرهما، وهو أحفظ أصحاب معمر وأثبتهم من أهل صنعاء، وذكر أبو عبد الله الذهلي أصحاب معمر من أهل صنعاء، فقال: كان محمد بن ثور له صلاح وفضل ولم يكن يحفظ، وكان هشام ابن يوسف صحيح الكتاب عن معمر ولم يكن يحفظ، وكان عبد الرزاق أيقظهم في الحديث وكان يحفظ).

وقال ابن حبان: (وكان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر وكان ممن يخطئ إذا حدث من حفظه على تشيع فيه).
وقال أبو حاتم: (يكتب حديثه، ولا يحتج به).
وقال العباس بن عبد العظيم: (عبد الرزاق كذاب، والواقدي أصدق منه).
هذا ما ورد عن الأئمة في تعديله وجرحه، كما أنه قد رمي بالتشيع، وقيل إنه أخذ هذا المذهب من شيخه جعفر بن سليمان الضبعي[١١].

عن ابن معين، قال: (سمعت من عبد الرزاق يوماً كلاماً استدللتُ به على ما قيل عنه من المذهب. فقلت: إن أستاذيك أصحاب سنةٍ: معمر، وابن جريج، والأوزاعي، ومالك، وسفيان، فعمن أخذت هذا المذهب؟ فقال: قدم علينا جعفر بن سليمان، فرأيته فاضلاً حسنَ الهدى، فأخذت هذا عنه)!

وقال العقيلي: حدثنا محمد بن أيوب قال: (سألت محمد بن أبي بكر المقدمي عن حديث لجعفر بن سليمان فقلت: روى عنه عبد الرزاق؟ فقال: فقدت عبد الرزاق، ما أفسد جعفر غيره)[١٢].

وقال أبو داود: (كان عبد الرزاق يعرض بمعاوية، أخذ التشيع من جعفر).

ومن المهم أن يُعلم أن التشيع عند المتقدمين يطلق على تفضيل علي على عثمان، مع تقديم الشيخين أبي بكر وعمر على عليٍ رضي الله عنهم، وليس مقصودهم ما هو عليه

---

(١١) ستأتي ترجمته.
(١٢) "ميزان الاعتدال" (١/ ٤٠٨)، وينظر مصادر "ترجمة جعفر بن سليمان" الآتية.

الشيعة الغلاة المتأخرون من الرفض ونحو ما هو معروف عنهم في مذهبهم[١٣]، ومما يؤكد ذلك ما أخرجه ابن عدي في "الكامل" (٦/ ٥٤٠)، فقال: حدثنا الشرقي، حدثنا أبو الأزهر سمعت عبد الرزاق يقول أفضل الشيخين بتفضيل علي إياهما على نفسه ولو لم يفضلهما لم أفضلهما كفى بي إزراء أن أحب عليا ثم أخالف قوله)، وإسناده صحيح. ونقل الذهبي في "الميزان"، عن سلمة بن شبيب، قال: سمعت عبد الرزاق يقول: (والله ما انشرح صدري قط أن أفضل عليا على أبي بكر وعمر). وعن محمد بن أبي السري، قال: قلت لعبد الرزاق: ما رأيك في التفضيل؟ فلم يخبرني، ثم قال:(كان سفيان يقول: أبو بكر وعمر ويسكت، وكان مالك يقول: أبو بكر وعمر ويسكت). فتبين مما تقدم أنه لم يكن من الشيعة الغلاة، والله أعلم.

فالخلاصة أن عبدالرزاق أحد أئمة الحديث المشهورين، له تصانيف، وهو ثقة في الجملة، وهذا ما ذهب إليه جمهور النقاد، وإنما تكلم من تكلم فيه؛ لأجل مذهبه في التشيع كما سبق بيانه، وهذا لا يؤثر في باب الرواية فيما يتعلق بغير مذهبه.

أما قول أبي حاتم الرازي فيه: (يكتب حديثه ولا يحتج به) فهو معروف –رحمه الله- بشدة شرطه في التوثيق، وأما قول العباس بن عبدالعظيم: (عبد الرزاق كذاب، والواقدي أصدق منه)، فيجاب عنه بما قاله الذهبي في "الميزان": (قلت: هذا ما وافق العباس عليه مسلمٌ، بل سائر الحفاظ وأئمة العلم يحتجون به إلا في تلك المناكير المعدودة في سعة ما روى).

وقال ابن عدي: (ولعبد الرزاق بن همام أصناف وحديث كثير وقد رحل إليه ثقات المسلمين وأئمتهم وكتبوا عنه ولم يروا بحديثه بأسا إلا أنهم نسبوه إلى التشيع وقد روى أحاديث في الفضائل مما لا يوافقه عليها أحد من الثقات فهذا أعظم ما رموه به من روايته لهذه الأحاديث ولما رواه في مثالب غيرهم مما لم أذكره في كتابي هذا **وأما في باب الصدق** فأرجو أنه لا بأس به إلا أنه قد سبق منه أحاديث في فضائل أهل البيت ومثالب آخرين مناكير).

---

(١٣) قال الحافظ ابن حجر في "تهذيب التهذيب" (١/ ٩٤): (فالتشيع في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل علي على عثمان، وأن عليا كان مصيبا في حروبه وأن مخالفه مخطئ مع تقديم الشيخين وتفضيلهما، وربما اعتقد بعضهم أن عليا أفضل الخلق بعد رسول الله -صلى الله عليهآله وسلم-، وإذا كان معتقد ذلك ورعا دينا صادقا مجتهدا فلا ترد روايته بهذا، لا سيما إن كان غير داعية، وأما التشيع في عرف المتأخرين فهو الرفض المحض فلا تقبل رواية الرافضي الغالي ولا كرامة).

وقال ابن حجر: (احتج به الشيخان في جملة من حديث من سمع منه قبل الاختلاط وضابط ذلك من سمع منه قبل المائتين فأما بعدها، فكان قد تغير وفيها سمع منه أحمد بن شبويه فيما حكى الأثرم عن أحمد، وإسحاق الدبري وطائفة...)[١٤].

وقال في "التقريب": (ثقة حافظ مصنف شهير عمي في آخر عمره فتغير).

فهو ثقة في الجملة، أما عند التفصيل، فقد تُكلم -فيغير التشيع-، في كونه تغير في آخر عمره، وذلك سنة (٢٠٠هـ)، فحديثه على قسمين:

الأول: ما حدث به قبل أن يتغير، فحديثه صحيح، ويتباين هذا القسم في كون ما حدّث به من كتابه فهو أصح مما حدث به من حفظه، لذا قال البخاري في "تاريخه": (ما حدث من كتابه فهو أصح). وقال يحيى بن معين: (ما كتبتُ عن عبد الرزاق حديثاً واحداً إلا من كتابه كله)[١٥].

الثاني: ما حدث به بعد أن تغير،وقد أصيب بالعمى، فهذا القسم ضعيف.قال أحمد: (أتينا عبد الرزاق قبل المائتين، وهو صحيح البصر، ومن سمع منه بعدما ذهب بصره فهو ضعيف السماع). وقال الإمام أحمد في رواية إسحاق بن هانىء: (عبد الرزاق لا يعبأ بحديث من سمع منه، وقد ذهب بصره، كان يلقن أحاديث باطلة وقد حدث عن الزهري[١٦] أحاديث كتبناها من أصل كتابه وهو ينظر جاؤوا بخلافها)[١٧]. وقال أيضاً: (...كان يلقن فيتلقن). وقال النسائي كما في "الميزان": (فيه نظر لمن كتب عنه بأخرة. روى عنه أحاديث مناكير).

هذا، وقد وتقدم أنه في حكمه العام ثقة من أئمة الحديث، وإنما ينظر في التقسيم السابق عند التعارض والاختلاف في حديثه، والله أعلم. روى له الجماعة.

٢- **جعفر بن سليمان الضُّبَعِي**[١٨]، أبو سليمان البصري. من الثامنة، مات سنة (١٧٨ هـ). روى عن: ثابت البناني، والأعرج، وابن جريج، وغيرهم. وعنه: عبدالرزاق، وابن المبارك، والثوري، وغيرهم.

---

(١٤) "فتح الباري" لابن حجر (١/ ٤١٩).

(١٥) ينظر: "العلل ومعرفة الرجال" لأحمد رواية ابنه عبد الله (٢/ ٦٠٦).

(١٦) يقصد هنا: عن معمر، عن الزهري؛ لأن عبدالرزاق لم يرو عن الزهري، وإنما يروي حديث الزهري عن معمر، عنه، وقد تقدم قول الدارقطني بأنه قد يخطئ في حديث معمر، والله أعلم.

(١٧) كذا في "شرح علل الترمذي" لابن رجب (٢/ ٧٥٢)، وفي "موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله" (٢/ ٣٥٧): ((وهو ينظر جاداً بخلافيها) -كذا في المطبوع- «سؤالاته» (٢٢٨٥)).

(١٨) انظر: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٢/ ٤٨١)، "الضعفاء الكبير" للعقيلي (١/ ١٨٨)، "الثقات" للعجلي (ص: ٩٧)، "الكامل في ضعفاء الرجال" (٢/ ٣٨٩)، "الثقات"

قال أحمد: (لا بأس به).
وقال يحيى بن معين: (ثقة).
وقال علي بن المديني: (هو ثقة عندنا).
وقال يزيد بن هارون: (كان جعفر من الخائفين، وكان يتشيع، وكان ثقة، حديثه حديث الخائفين).
وقال ابن سعد: (ثقة فيه ضعف، وكان يتشيع).
وقال البزار: (لم نسمع أحدا يطعن عليه في الحديث ولا في خطأ فيه إنما ذكرت عنه شيعيته، وأما حديثه فمستقيم).
وقال الجوزجاني: (روى أحاديث منكرة، وهو ثقة متماسك كان لا يكتب).
وقال العجلي: (ثقة، وكان يتشيع).

وقال ابن عدي: (وهذه الأحاديث عن جعفر بن سليمان عن ثابت، عن أنس كلها إفرادات لجعفر لا يرويها عن ثابت غيره ولجعفر حديث صالح وروايات كثيرة، وهو حسن الحديث، وهو معروف في التشيع وجمع الرقاق وجالس زهاد البصرة، فحفظ عنهم الكلام الرقيق في الزهد يرويه ذلك عنه سيار بن حاتم، وأرجو أنه لا بأس به. والذي ذكر فيه من التشيع والروايات التي رواها التي يستدل بها على أنه شيعي فقد روى في فضائل الشيخين أيضا كما ذكرت بعضها وأحاديثه ليست بالمنكرة وما كان منها منكرا فلعل البلاء فيه من الراوي عنه، وهو عندي ممن يجب أن يقبل حديثه).
وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال: (وكان جعفر بن سليمان من الثقات المتقنين في الروايات غير إنه كان ينتحل الميل إلى أهل البيت ولم يكن بداعية إلى مذهبه وليس بين أهل الحديث من أئمتنا خلاف أن الصدوق المتقن إذا كان فيه بدعة ولم يكن يدعو إليها أن الاحتجاج بأخباره جائز).
قال يحيى بن معين: (كان يحيى بن سعيد لا يكتب حديثه).
وقال في موضع آخر: (كان يحيى بن سعيد لا يروي عن جعفر بن سليمان وكان يستضعفه).

قال ابن أبي حاتم: سمعت أحمد بن سنان يقول: (رأيت عبد الرحمن بن مهدي لا ينشط لحديث جعفر بن سليمان).
قال ابن سنان: (وأنا أستثقل حديثه).

وقال أحمد بن حميد: سمعت أحمد بن حنبل يقول: (جعفر بن سليمان لا بأس به، فقيل له إن سليمان بن حرب يقول: لا يكتب حديثه. قال: حماد بن زيد لم يكن ينهى عنه كان ينهى عن عبد الوارث، ولا ينهى عن جعفر، إنما كان يتشيع وكان يحدث بأحاديث

لابن حبان (٦/ ١٤٠)، "ميزان الاعتدال" (١/ ٤٠٨)، "الكاشف" (١/ ٢٩٤)، "إكمال تهذيب الكمال" (٣/ ٢٢٠)، "تهذيب التهذيب" (٢/ ٩٧)، "التقريب" (٩٤٢).

في علي وأهل البصرة يغلون في علي. فقلت عامة حديثه رقاق؟ قال: نعم، كان قد جمعها وقد روى عنه عبد الرحمن وغيره إلا أني لم أسمع من يحيى عنه شيئا، فلا أدري سمع منه أم لا).

وفي "الإكمال" لمغلطاي: (وفي «كتاب» أبي العرب قال أحمد بن محمد بن زياد: سمعت أبا داود، سمعت إسحاق بن إبراهيم يحدث أحمد بن حنبل، قال: ما أعلم أني جلست مجلسا عند حماد بن زيد إلا نهى فيه عن: جعفر بن سليمان وعبد الوارث، قال أبو العرب: جعفر للتشيع، وعبد الوارث للقدر).

قال مغلطاي: (وهو خلاف ما ذكره المزي: كان حماد بن زيد لا ينهى عنه، والله أعلم).

قلت: وقد جاء مثله عن يزيد بن زُريع: قال في "التهذيب": (وقال أبو الأشعث أحمد بن المقدام: كنا في مجلس يزيد بن زريع، فقال: من أتى جعفر بن سليمان وعبد الوارث فلا يقربني. وكان عبد الوارث ينسب إلى الاعتزال وجعفر ينسب إلى الرفض).

وقال علي بن المديني كما في "الجرح والتعديل": (أكثر جعفر - يعني ابن سليمان - عن ثابت، وكتب مراسيل وفيها أحاديث مناكير عن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم).

وقال ابن المديني أيضاً كما في "تهذيب التهذيب": (أكثر عن ثابت وبقية أحاديثه مناكير).

وقال البخاري في "الضعفاء": (يخالف في بعض حديثه).

وقال السعدي: (روى مناكير، وهو متماسك، لا يكذب).

وقال الأزدي: (كان فيه تحامل على بعض السلف وكان لا يكذب في الحديث، ويؤخذ عنه الزهد والرقائق وأما الحديث فعامة حديثه عن ثابت وغيره فيها نظر ومنكر).

وقال ابن عمار: (جعفر بن سليمان ضعيف).

وذكره أبو بشر الدولابي، والعقيلي في "جملة الضعفاء".

وقال الذهبي في "الميزان": (وهو صدوق في نفسه، وينفرد بأحاديث عدتْ مما ينكر، واختلف في الاحتجاج بها)، ثم ذكر جملة منها، ومنها حديث: (كان يفطر على رطبات).

وقال في "الكاشف": (ثقة، فيه شيء مع كثرة علومه، قيل كان أميا، وهو من زهاد الشيعة).

وقال ابن حجر: (صدوق زاهد، لكنه كان يتشيع).

قلت: والخلاصة أنه لا بأس به، قد وثقه جمعٌ، منهم: ابن معين، وأحمد، وابن المديني، وغيرهم، وقد احتج به مسلم، وغالب من تكلم فيه إنما هو لأجل المذهب، كما قاله ابن عدي، وابن حبان، وغيرهما، وله مناكير يتقى منها، خاصة عن ثابت البناني، كما أشار إليه علي بن المديني وغيره، قال الذهبي: (صدوق صالح ثقة مشهور... وله ما ينكر، وكان لا يكتب)[١٩]، والله أعلم.

([١٩]) "المغني في الضعفاء" للذهبي (١/ ١٣٢).

وبناء على ما تقدم من كلام الحفاظ فيه، فيمكن تقسيم حديث جعفر بن سليمان على أربعة أقسام:

الأول: ما رواه في الزهد والرقائق، فهو من أصح حديثه، وقد اشتهر بذلك كما تقدم في كلام أحمد، والأزدي.

الثاني: ما رواه في مناقب أهل البيت، ومثالب غيرهم، فلا يحتج به، له في ذلك مناكير، وذلك لأجل مذهبه في التشيع، كما تقدم.

الثالث: ما رواه عن ثابت البناني خاصة، فله مناكير يتفرد بها، كما أشار إلى ذلك علي بن المديني، والأزدي، والذهبي.

الرابع:ما كان من حديثه سوى ما ذُكر، فهو حسن الحديث في الجملة، والله أعلم.

روى له البخاري في "الأدب"، والباقون.

٣- ثابت بن أَسْلم البُنَاني[٢٠]، أبو محمد البصري. من الرابعة، مات سنة (١٢٧ ه)، وقيل غير ذلك. روى عن أنس، وابن عمر، وابن الزبير، وخلق. وعنه: جعفر بن سليمان، الحمادان، وشعبة، وأمم.

أحد التابعين المشهورين، وكان رأساً في العلم والعمل، يقال لم يكن في وقته أعبد منه. وهو مشهور بروايته عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ومن المكثرين عنه، وكان أنس يحبه ويجله. كما أن له أصحاباً من الثقات الحفاظ؛ كشعبة بن الحجاج، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وسليمان بن المغيرة، ومعمر بن راشد، فهؤلاء من المكثرين عن ثابت[٢١].

وهو ثقةٌ، ثبتٌ عابدٌ، روى له الجماعة.

٤- أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخَزْرجي[٢٢]، أبو حمزة. مات سنة (٩٢ه)، وقيل (٩٣ ه).روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم، وغيرهم، وعنه: ثابت البناني، وحميد الطويل، وقتادة، وغيرهم. وهو صحابي مشهور، خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خدمه عشر سنين، نزيل البصرة. روى له الجماعة.

---

(٢٠) انظر: "تهذيب الكمال" (٤/ ٣٤٩)، "الكاشف" (١/ ٢٨١)، "تهذيب التهذيب" (٢/ ٢)، "التقريب" (٨١٠).

(٢١) انظر: "شرح علل الترمذي" لابن رجب (٦٩٠/٢).

(٢٢) انظر: "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" (٣/ ٣٥٣)، "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر (١/ ٢٧٥)، "تهذيب التهذيب" (١/ ٣٧٦)، "التقريب: (٥٦٥).

المبحث الثالث: الحكم على الحديث

هذا الحديث رجال إسناده ثقات سوى جعفر بن سليمان، فإنه صدوق، لا بأس به. فظاهر إسناده لا بأس به، لذا قال الدارقطني في "سننه": (هذا إسناد صحيح)، وصححه الحاكم.

لكنه حديث معلول بعدة علل، وبيان ذلك ما يلي:

أولاً: أن عبد الرزاق الصنعاني قد تفرد بهذا اللفظ. وقد أنكره أبو زرعة، وأبو حاتم، كونه تفرد به عبدالرزاق، عن جعفر بن سليمان، عن ثابت البناني به. جاء في "علل الحديث" لابن أبي حاتم (٣/ ٦)، قال:

(وسألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه عبد الرزاق، عن جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفطر على التمر، فإن لم يجد فعلى الماء ... الحديث؟

فقالا: لا نعلم روى هذا الحديث غير عبد الرزاق، ولا ندري من أين جاء عبدالرزاق؟

قلت: وقد رواه سعيد بن سليمان النشيطي، وسعيد بن هبيرة.

فقال أبي: لا يسقى بالنَّشِيطي وسعيد بن هبيرة شربة من ماء مثلا.

قال أبو زرعة: لا أدري ما هذا الحديث! لم يرفعه إلا من حديث عبد الرزاق) اهـ.

فالإمامان حملا هذا التفرد على عبدالرزاق، وقد تابعه فيه ثلاثةٌ؛ سعيد بن سليمان النشيطي، وسعيد بن هبيرة، وعمار بن هارون، كما تقدم في التخريج، ولكن أبا حاتم لم يعتد برواية النشيطي، وابن هبيرة، ولم يعتبرهما شيئاً، وذلك لضعفهما. ومثله يقال في متابعة عمار بن هارون، وقد تقدم أن ثلاثتهم ضعفاء، وعبدالرزاق ثقة إمام، لا يقارن بهم، فيبقى تفرد عبدالرزاق به، وهو ثقة حافظ، لكنه تغير في آخر عمره، كما أنه كان إذا حدث من حفظه ربما أخطأ، بخلاف إذا روى من كتابه فحديثه صحيح، كما ذكره الإمام أحمد، وقد تقدم تفصيل ذلك في ترجمته[٢٣]. بالإضافة إلى أن هذا الحديث ليس موجوداً في "مصنف عبدالرزاق"، فهل هذه قرينة أنه ليس ممن كتابه، وإنما رواه من حفظه فوَهِم فيه؟ هذا الذي يظهر لي، لا سيما وقد أنكر عليه هذا الحديث أبو زرعة، وأبو حاتم، الله أعلم.

أما في المتن، فقد وقع فيه شيء من الاضطراب في حديث عبدالرزاق، فمرة ذكر فيه الترتيب: «عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ، فَعَلَى تَمَرَاتٍ...»، ثم ذكر الماء.

ومرة يذكره بالشك: «**أَفْطَرَ عَلَى تَمَرَاتٍ أَوْ رُطَبَاتٍ...**».

([٢٣]) ينظر: "شرح علل الترمذي" لابن رجب (٢/ ٧٥٦).

ومرة يذكر اللبن بدل الرطب: «**يُفْطِرَ عَلَى لَبَنٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَتَمْرٍ...**». إلا أن ذكر اللبن أخطأ فيه الراوي عنه، وليس منه، وقد تقدم بيان ذلك.، فيبقى الأمر أن في ذكر "الرطب"، لم يتابع عليه عبدالرزاق، فهو مما تفرد به.

ثانياً: أن في الحديث غرابةً أو تفرداً أيضاً من جهة جعفر بن سليمان، فقد تفرد بهذا السياق عن ثابت البناني، وقد تقدم في كلام علي بن المديني أن جعفراً كان يكثر من رواية المناكير عن ثابت. وجعفر وإن كان صدوقاً في نفسه، لكنه لم يوصف بالحفظ، فتفرده عن سائر أصحاب ثابت بهذا الحديث فيه نكارة.

وكأن أبا عيسى الترمذي يشير إلى هذه العلة في هذا الخبر، حيث قال فيه كما في "الجامع": (حسن غريب)[٢٤]، وكذا البزار، وابن عدي كما تقدم في التخريج، وقال البغوي: (هذا حديث غريب)[٢٥]. كما أن المنذري أشار إلى هذا المعنى في "مختصره"، حيث قال: (وأخرجه الترمذي، وقال: حسن غريب، وقال أبو بكر البزار: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن ثابت عن أنس إلا جعفر بن سليمان، وذكر ابن عَدِيٍّ أيضًا: أنه في أفراد جعفر عن ثابت)[٢٦].

أما متابعة عبدالواحد بن ثابت له، فقد قال العقيلي في "الضعفاء" (٣/ ٥٠): (عبد الواحد بن ثابت الباهلي، عن ثابت البناني، لا يتابع على حديثه). ثم ساق له حديثين؛ الأول: حديثه عن ثابت، عن أنس مرفوعاً: «**تسحروا ولو بجرعة من ماء**»، والثاني: حديثنا هذا، ثم قال عقبه: (وقد روى جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفطر على التمر. وروى جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عنه بأسانيد جياد أنه قال: «تسحروا فإن في السحور بركة». وفي السحور أسانيد ثابتة. وأما اللفظتان اللتان جاء بهما هذا الشيخ: «**ولو بجرعة من ماء**» أو «**شيء لم تمسه النار**»، فليس يتابعه عليهما ثقة)[٢٧].

قال ابن حجر: (وعبارة العقيلي: "لا يتابع عليهما" يعني الحديث المذكور وحديث: "الفطر على شيء لم تمسه النار")[٢٨].

ويفهم من كلام العقيلي أن عبدالواحد بن ثابت يتقوى حديثه بمتابعة جعفر بن سليمان له، لذا أقره على حديثه في ذكر "التمر" عند الإفطار، ورده في غيره فيما تفرد به.

---

(٢٤) قلت: سمعت شيخنا الفاضل عبدالله بن عبدالرحمن السعد في تعليقه على هذا الحديث في دروسه في "شرح جامع الترمذي"، قال: (إذا قال أبو عيسى: "حسن غريب"، إذاً فيه علة).

(٢٥) "شرح السنة" (٦/ ٢٦٦).

(٢٦) "مختصر سنن أبي داود" للمنذري (٢/ ٩٩).

(٢٧) قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٣/ ١٥٥): (رواه أبو يعلى، وفيه عبد الواحد بن ثابت، وهو ضعيف).

(٢٨) "لسان الميزان" (٤/ ٧٨).

كما أنه من جهة أخرى يمكن القول بأن عبدالواحد بن ثابت وافق في روايته جعفر بن سليمان في ذكر "التمر"، ولم يذكر فيه "الرطب"، مما يدل على أن جعفراً تفرد في ذكر "الرطب" وتقديمه على "التمر" في هذا الحديث، ولم يتابع عليه أحد من وجه صحيح كما سيأتي:

ثالثاً: أن الحديث جاء عن أنس من طرق أخرى، جاء عن حميد الطويل، وقتادة، وبريد بن أبي مريم، وغيرهم، ولم يثبت فيها لفظ "الرطب"، وإليك تخريج هذه الطرق:

١- حميد، عن أنس؛ واختلف عليه في متنه:

أخرجه **ابن أبي شيبة** في "مصنفه"، رقم (٩٧٨٩)، -ومن طريقه الفريابي في "الصيام" (ص: ٦٧)، رقم (٦٩)، وأبو يعلى في "مسنده" (٦/ ٤٢٤)، رقم (٣٧٩٢)، وابن حبان في "صحيحه"، رقم (٣٥٠٤)، و(٣٥٠٥)-.

وابن خزيمة في "صحيحه"، رقم (٢٠٦٥) عن **محمد بن محرز**.

كلاهما (ابن أبي شيبة، ومحمد بن محرز)[٢٩] عن حسين الجعفي، عن زائدة، عن حميد، عن أنس قال: «**مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَطُّ صَلَّى صَلَاةَ الْمَغْرِبِ حَتَّى يُفْطِرَ، وَلَوْ كَانَ عَلَى شَرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ**».

وإسناده صحيح. قال الهيثمي: (رواه أبو يعلى، والبزار، والطبراني في الأوسط، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح)[٣٠]. لكن ليس فيه ذكر "الرطب"، ولا "التمر".

تابعه يحيى بن أيوب المصري، فخالفه في المتن:

أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه"، رقم (٢٠٦٥)، -ومن طريقه ابن حبان في "الثقات" (٩/ ١٩٤)-، والطبراني في "المعجم الأوسط" (٤/ ١٥٧)، رقم (٣٨٦١) من طريق زكريا بن يحيى بن أبان، حدثنا مسكين بن عبد الرحمن التميمي، حدثني يحيى بن أيوب، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا**

---

(٢٩) خالفهما محمد بن يحيى العدني: أخرجه أبو الفضل الزهري في "حديثه" (ص: ٣١٠)، رقم (٢٨٧) عن أحمد، نا محمد بن يحيى، نا حسين الجعفي، عن زائدة، عن أبان، عن أنس، قال: «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى المغرب قط حتى يفطر، ولو على شربة ماء».

قلت: وهذا خطأ -إن لم يكن فيه تحريف أو خطأ مطبعي-، والصواب الأول، فأبو بكر بن أبي شيبة ثقة حافظ، وتابعه محمد بن محرز، فخالفهما محمد بن يحيى، وهو ابن أبى عمر العدنى؛ صدوق، وكان فيه غفلة. قال فيه ابن أبي حاتم: (سألت أبى عنه، فقال: كان رجلا صالحا، وكان به غفلة، ورأيت عنده حديثا موضوعا حدث به عن ابن عيينة، وكان صدوقا). وقال في "التقريب" (٦٣٩١): (صدوق، صنف المسند، وكان لازم ابن عيينة، لكن قال أبو حاتم: كانت فيه غفلة).

(٣٠) "مجمع الزوائد" (٣/ ١٥٥).

كَانَ صَائِمًا لَمْ يُصَلِّ حَتَّى نَأْتِيَهُ بِرُطَبٍ وَمَاءٍ، فَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ إِذَا كَانَ الرُّطَبُ، وَإِذَا كَانَ الشِّتَاءُ لَمْ يُصَلِّ حَتَّى نَأْتِيَهُ بِتَمْرٍ وَمَاءٍ».

قال الطبراني: (لم يرو هذا الحديث عن حميد الطويل إلا يحيى بن أيوب، ولا عن يحيى إلا مسكين بن عبد الرحمن، تفرد به: زكريا بن يحيى).

قلت: فيه مسكين بن عبد الرحمن التجيبي، مجهول، لم أقف على توثيق له، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال: (من أهل مصر يروي عن يحيى أبن أيوب) ثم ذكر حديثه هذا. ولم يترجم له غيره، سوى الذهبي في "تاريخه"[٣١] -حسب ما وقفت عليه-.

قال الهيثمي: (رواه الطبراني في الأوسط، وفيه من لم أعرفه)[٣٢].

كما أن يحيى بن أيوب[٣٣] خالف زائدة في اللفظ، وقد وصفه أحمد بأنه (سيئ الحفظ). وزائدة بن قدامة[٣٤] أوثق منه، وعلى هذا فلا يصح بهذا السياق، والصحيح ما رواه زائدة بن قدامة، عن حميد به، كما تقدم، والله أعلم.

تنبيه: وقع عند ابن خزيمة في هذا الحديث بعد أن ساق رواية يحيى بن آدم، قال: (حدثنا محمد بن محرز، عن حسين بن علي الجعفي، عن زائدة، عن حميد الطويل بهذا) فأحال بلفظ حديث يحيى بن أيوب، والصواب أن زائدة رواه بلفظ مختلف، كما تقدم عند ابن أبي شيبة، وغيره.

وجاء بنحو سياق حديث يحيى بن أيوب، من وجه آخر عن ابن جريج:

٢- ابن جريج، عن أنس؛

أخرجه الحارث في "مسنده" - زوائد (١/ ٤١٥)، رقم (٣٢٥)، فقال: حدثنا روح، ثنا ابن جريج قال: حُدِّثْتُ عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم «**لا يصلي في الصيف المغرب إذا كان صائما حتى آتيه برطب فيأكل ويشرب ثم يقوم فيصلي وإذا كان الشتاء فتمر فيأكل ويشرب ثم يقوم فيصلي**».

وهذا منكر، لا يصح، وذلك لأمرين:

الأول: أن إسناده منقطع، ابن جريج لم يلق أحداً من الصحابة، كما قاله ابن المديني[٣٥].

---

(٣١) انظر: "الثقات" لابن حبان (٩/ ١٩٤)، "تاريخ الإسلام" للذهبي (٥/ ٤٥٨).

(٣٢) "مجمع الزوائد" (٣/ ١٥٦).

(٣٣) هو: يحيى بن أيوب الغافقي المصري، أبو العباس. قال في "ميزان الاعتدال" (٤/ ٣٦٢): (قال ابن عدي: وهو عندي صدوق. وقال ابن معين: صالح الحديث. وقال أحمد: سيئ الحفظ. وقال ابن القطان الفاسي: هو ممن علمت حاله وأنه لا يحتج به. وقال أبو حاتم: لا يحتج به. وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال الدارقطني: في بعض حديثه اضطراب) اهـ. وقال ابن حجر في "التقريب" (٧٥١١): (صدوق، ربما أخطأ).

(٣٤) زائدة بن قدامة الثقفى، أبو الصلت الكوفى: ثقةٌ ثبتٌ، صاحب سنة. "التقريب" (١٩٨٢).

(٣٥) نقل عنه العلائي في "جامع التحصيل" (ص: ٢٢٩).

الثاني: أن ابن جريج إذا قال: "حُدثتُ"، أو "أُخبرتُ"، فهو منكر ومن أضعف حديثه.قال أبو بكر الأثرم، عن أحمد بن حنبل: (إذا قال ابن جريج: "قال فلان"، "وقال فلان"، "وأُخْبرتُ" جاء بمناكير، وإذا قال: أخبرني"، "وسمعت"، فحسبك به). وفي رواية أخرى: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال أبي: (بعض هذه الأحاديث التي كان يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة. كان ابن جريج لا يبالى من أين يأخذها - يعنى قوله: أخبرتُ، وحُدثتُ عن فلان)[٣٦].

٣- قتادة، عن أنس؛

أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه"، رقم (٢٠٦٣)، وابن الأعرابي في "معجمه" (٣/ ١٠٣٨)، رقم (٢٢٣٣)، والحاكم في "المستدرك" (١/ ٥٩٧)، رقم (١٥٧٧)، والطبراني في "المعجم الأوسط" (٨/ ٣٣٥)، (٨٧٩٣)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٤/ ٤٠٢)، رقم (٨١٣٢) من طريق محمد بن عبد العزيز الرملي الواسطي، حدثنا **شعيب بن إسحاق**[٣٧].

قال الطبراني: (لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا سعيد، ولا عن سعيد إلا شعيب، تفرد به: محمد بن عبد العزيز).

وأخرجه العقيلي في "الضعفاء الكبير" (٣/ ٤٧٢)، والبزار في "مسنده" (١٣/ ٤١٠)، رقم (٧١٢٧)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٥/ ٤٠٥)، رقم (٣٦١٦) من طريق محمد بن جعفر الوركاني.

وابن خزيمة في "صحيحه"، رقم (٢٠٦٣) حدثنا موسى بن سهل الرملي، حدثنا محمد بن عبد العزيز.

كلاهما (محمد بن جعفر الوركاني، ومحمد بن عبدالعزيز) عن **القاسم بن غصن**[٣٨]. كلاهما (شعيب بن إسحاق، والقاسم بن غصن)[٣٩] عن سعيد بن أبي عروبة،

([٣٦]) انظر: "تهذيب الكمال" (١٨/ ٣٤٨)، "ميزان الاعتدال" (٢/ ٦٥٩).

([٣٧]) هو: شعيب بن إسحاق بن عبد الرحمن بن عبد الله القرشالأموى. ثقة، رمي بالإرجاء، وسماعه من ابن أبى عروبة بأخرة. "التقريب" (٢٧٩٣).

([٣٨]) قال فيه أحمد: (حدث بأحاديث مناكير). وقال أبو حاتم: (ضعيف). وقال ابن حبان: (يروي المناكير عن المشاهير). انظر: "ميزان الاعتدال" (٣/ ٣٧٧).

([٣٩]) وقع عند ابن الأعرابي في "معجمه" (١/ ٣٣١)، رقم (٦٣٧) - نا الصاغاني، نا محمد بن جعفر أبو عمران الوركاني، نا القاسم بن غصن، نا شعبة، عن قتادة، عن أنس قال: «ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم صلى المغرب قط وهو صائم حتى يفطر، ولو على شربة من الماء». قلت: وهذا خطأ، والصواب عن سعيد، وليس عن شعبة، كما في بقية المصادر، ويؤيده: ما قاله الطبراني كما سبق في كونه لم يروه عن قتادة إلا سعيد؛ وما قاله البزار في كونه لم يأت عن القاسم بن غصن إلا من هذا الوجه، يعني عن سعيد، والله أعلم.

عن قتادة، عن أنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم "كَانَ لَا يُصَلِّي الْمَغْرِبَ حَتَّى يُفْطِرَ، وَلَوْ كَانَ شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ".
قال ابن خزيمة: (قال موسى بن سهل: أصله كوفي - يعني القاسم بن غصن - روى عنه وكيع، وسليمان بن حيان).
وقال البزار: (وهذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه بهذ الإسناد والقاسم بن الغصن ليس بالقوي في الحديث وإنما يكتب من حديثه ما لا يحفظ عن غيره).
والحديث صححه ابن خزيمة، والحاكم، لكن فيه علة، وهي أن شعيب بن إسحاق وإن كان ثقة، إلا أن سماعه من سعيد بن أبي عروبة بأخرة، وتابعه القاسم بن غصن، وهو ضعيف كما تقدم، لكن لفظه قريب من حديث حميد، فيشهد له، ويدل على أن الحديث محفوظ، والله أعلم.

٤- بريد بن أبي مريم، عن أنس؛

أخرج النسائي في "السنن الكبرى"، رقم (٣٣٠٤)، والطبراني في "المعجم الأوسط" (٥/ ٣٤٨)، رقم (٥٥١٧)، وابن الغطريف الجرجاني في "جزء" له (ص: ٩٦)، رقم (٥٣) من طريق يحيى بن آدم قال: حدثنا يزيد بن عبد العزيز، عن رقبة، عن بريد بن أبي مريم، عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان «**يبدأ إذا أفطر بالتمر**».
قال النسائي: (هذا الحديث رواه شعبة، عن بريد عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا، وشعبة أحفظ ممن روى هذا الحديث).
وقال الطبراني: (لم يرو هذا الحديث عن رقبة إلا يزيد بن عبد العزيز، تفرد به: يحيى بن آدم).

وهذا فيه علة، وهي المخالفة لرواية شعبة في رفعه، فقد رواه شعبة مرسلاً كما أشار إليه النسائي، ولم أقف عليه مسنداً، لكن يتقوى بما تقدم. وهذه العلة قد تكون من يحيى بن آدم، أو من يزيد بن عبدالعزيز.

والخلاصة أن الحديث بهذه المتابعات صحيح، لكن من غير سياق الذي ذكره عبدالرزاق، عن جعفر بن سليمان، في ذكر "الرطب" فهو غير محفوظ، تفرد به جعفر، عن ثابت البناني، ولم يتابع عليه أحد[٤٠]، كما تقدم.

---

(٤٠) جاء ذكر "الرطب" عن جابر رضي الله عنه من طريقين؛ **الأولى**: أخرج عبد بن حميد في "مسنده" – المنتخب (٢/ ٢٠٢)، رقم (١١٤٢) عن عبد الملك بن عمرو، ثنا زمعة بن صالح، عن محمد بن أبي سليمان، عن بعض أهل جابر بن عبد الله، عن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَأَبْنَائِهَا، وَأَبْنَاءِ أَبْنَائِهَا، وَحَشَمِهَا". قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا كَانَ الرُّطَبُ لَمْ يُفْطِرْ إِلَّا عَلَى الرُّطَبِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنِ الرُّطَبُ لَمْ يُفْطِرْ إِلَّا عَلَى التمر". قال محققه الشيخ مصطفى العدوي: (سنده ضعيف: فيه زمعة بن صالح: ضعيف، وجهالة بعض أهل جابر، ومحمد بن أبي

ويشهد له حديث سلمان بن عامر الضبي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ وَجَدَ تَمْرًا فَلْيُفْطِرْ عَلَيْهِ، وَمَنْ لَا، فَلْيُفْطِرْ عَلَى مَاءٍ، فَإِنَّ المَاءَ طَهُورٌ**»[٤١].

وهو حديث صحيح، صححه جمع من الأئمة، كأبي حاتم، والترمذي، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وغيرهم[٤٢]، والله أعلم.

سليمان الذي يبدو لي أنه محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان العزرمي نسب إلى جده، وهو ضعيف). قلت: وضعفه البوصيري (٤/ ٢٦٥)؛ لجهالة بعض رواته. انظر: "المطالب العالية" (٦/ ٦٣).

الثانية: أخرجه ابن عدي في "الكامل" (٧/ ٢٤٦) من طريق سليمان بن عمر. وأبو بكر الشافعي في "الفوائد" (٢/ ٧١٤)، رقم (٩٨٣)، -ومن طريقه الخطيب في "تاريخ بغداد" (٤/ ٥٦٢)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٤/ ٢٤٦)- من طريق الحكم بن موسى. كلاهما (سليمان، والحكم) عن محمد بن سلمة الحراني، عن الفزاري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُعْجِبُهُ أَنْ يُفْطِرَ عَلَى الرُّطَبِ مَا دَامَ الرُّطَبُ، وَعَلَى التَّمْرِ إِذَا لَمْ يَكُنْ رُطَبٌ، وَيَخْتِمَ بِهِنَّ، وَيَجْعَلَهُنَّ وِتْرًا: ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا".

قلت: الحديث من كلا الطريقين ليس بمحفوظ، ولا يصلح للمتابعة؛ لأن إسناده ضعيف جداً، والمدار فيه على الفزاري، وهو: محمد بن عبيد الله العرزمي، وقد رواه من وجهين، مرة عن بعض أهل جابر، عن جابر، ومرة عن محمد بن المنكدر عن جابر، كما تقدم، وهو متروك الحديث. قال أحمد بن حنبل: (ترك الناس حديثه). وقال ابن معين: (لا يكتب حديثه). وقال النسائي، والفلاس: (متروك). انظر: "الكامل في ضعفاء الرجال" (٧/ ٢٤٥)، "ميزان الاعتدال" (٣/ ٦٣٥). وقال ابن عدي: (ومحمد بن سلمة الحراني في عامة ما يروى عن محمد بن عبيد الله العرزمي يقول "عن الفزاري"، فيكنى عنه، ولا يسميه يضعفه وأحيانا يسميه وينسبه). وقال أيضاً: (وهذه الأحاديث بهذه الأسانيد التي رواها محمد بن سلمة، عن العرزمي وسماه، غير محفوظة بهذه الأسانيد). "الكامل" (٧/ ٢٤٧).

وقال الشيخ الألباني في "السلسلة الضعيفة" (٤/ ٢٣٤): (وهذا سند ضعيف جدا، وعلته الفزاري هذا، واسمه محمد بن عبيد الله العرزمي، وهو متروك، كما في "التقريب"...).

(٤١) أخرجه أحمد في "مسنده"، رقم (١٦٢٢٥)، والدارمي في "سننه"، رقم (١٧٤٣)، وأبو داود في "سننه"، رقم (٢٣٥٥)، والترمذي في "جامعه"، رقم (٦٩٥)، والنسائي في "السنن الكبرى"، رقم (٣٣٠٥)، وابن ماجه في "سننه"، رقم (١٦٩٩)، وابن خزيمة في "صحيحه"، رقم (٢٠٦٧)، وابن حبان في "صحيحه"، رقم (٣٥١٥)، والحاكم في "المستدرك" (١/ ٥٩٧)، رقم (١٥٧٥)، وغيرهم من طرق حفصة بنت سيرين، عن الرباب أم الرائح بنت صليع، عن عمها سلمان بن عامر به.

(٤٢) انظر: "علل الحديث" لابن أبي حاتم (٣/ ٥٨)، قال الترمذي في موضعه السابق: (حسن صحيح)، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرط مسلم)

الخاتمة :

وفي ختام هذا البحث، فإني أحمد الله تعالى على ما يسر لي إتمامه، وقد ظهر لي من خلال هذا البحث النتائج الآتية:

١- تبين مما سبق أن هذا الحديث له أصل عن أنس، وقد جاء عنه من طرق عدة، كما سبق.

٢- أن لفظة "الرطب" فيه غير محفوظ، وكذا الترتيب المذكور في أفضلية الإفطار على الرطب، فالتمر، ثم الماء.

٣- أن اللفظ المذكور تفرد به جعفر بن سليمان عن سائر أصحاب ثابت البناني، وعنه عبدالرزاق.

٤- أنه قد أنكر هذا الحديث جمع من الأئمة كأبي حاتم، وأبو زرعة، كما أن الترمذي حكم عليه بالغرابة، وكذلك البزار.

٥- أن المحفوظ فيه ذكر التمر والماء، وقد جاء ما يشهد له من حديث سلمان بن عامر رضي الله عنه، كما تقدم ذكره.

٦- تبين مما سبق أنه ليس من السنة تقديم الرطب على غيره عند الإفطار، لعدم ثبوت ذلك، فالصحيح فيه العموم والرطب كسائر أنواع التمر.

٧- وعليه فالسنة عند الإفطار أن يفطر على التمر[٤٣]، والرطب داخل في التمر، وقد جرت العادة أنه إذا وجد الرطب والتمر فإنه يبدأ بالرطب، ولا فرق بينه وبين الرطب من حيث الأفضلية، فله أن يفطر على الرطب، وله أن يفطر على التمر، فإن لم يجد التمر فعلى الماء، وهو أصح ما جاء في حديث أنس، ولحديث سلمان بن عامر المتقدم، والله أعلم.

أسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن ينفعني به والمسلمين،والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادروالمراجع :

– إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

([٤٣]) وهو مذهب الشافعية، وكثير من الحنابلة، فقد نص الشيرازي في "المهذب" على استحباب الإفطار على التمر، وقال النووي في شرحه: (يستحب أن يفطر على تمر فإن لم يجد فعلى الماء ولا يخلل بينهما هذا هو المذهب وبه قطع المصنف والجمهور ونص عليه في حرملة ودليله حديث سلمان السابق...) اهـ من "المجموع شرح المهذب" (٦/ ٣٦٢). وقال في متن "المقنع": (وأن يفطر على التمر، فإن لم يجد فعلى الماء). علق عليه المرداوي في "الإنصاف" (٣/ ٣٣١) بقوله: (هكذا قال كثير من الأصحاب).

– الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
– إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مغلطاي بن قليجالبكجري المصري، تحقيق: عادل بن محمد، وأسامة بن إبراهيم، دار الفاروق الحديثة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
– الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (المطبوع مع المقنع والشرح الكبير)، علي بن سليمان المَرْداوي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي،د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، القاهرة، الطبعةالأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
– تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
– تاريخ الثقات، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفى، دار الباز، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
– التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري،ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، إشراف: محمد عبد المعيد خان.
– تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
– تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ٨٠.
– تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل، أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي، أبو زرعة، ابن العراقي، تحقيق: عبد الله نوارة، مكتبة الرشد، الرياض.
– تقريب التهذيب، (مع عدة كتب زيادات) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتناء: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، الأردن، الطبعة: الرابعة، بدون سنة نشر.
– تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، ط: دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
– تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ه - ١٩٨٠م.
– الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، البُستي، ط: وزارة المعارف للحكومة الهندية، إشراف: د. محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
– جامع التحصيل في أحكام المراسيل، خليل بن كيكلدي العلائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ه- ١٩٨٦م.

– الجامع الكبير (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.
– الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١هـ ١٩٥٢م.
– جزء الألف دينار، أحمد بن جعفر القطيعي.تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، دار النفائس، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
– جزء ابن غطريف، محمد بن أحمد الغِطْريفي الجرجاني، تحقيق: د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ه– ١٩٩٧م.
– حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
– سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدينالألباني، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
– سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
– سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
– سنن الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق: شعيب الارنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
– السنن الصغير، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي - باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
– السنن الكبرى، أحمد بن شعيب بن علي النسائي،تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
– السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقق: محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ه.
– شرح السنة، محيي السنة، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
– شرح علل الترمذي، عبد الرحمن بن أحمد بن السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي،

تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة الرشد،الرياض، الطبعة السادسة، ١٤٣٤ه- ٢٠١٣م.
– شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن عليالبيهقي، تحقيق: د. عبد العلي عبدالحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، مع الدار السلفية بالهند، ط: ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
– صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان التميميالبُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ه- ١٩٩٣م.
– صحيحُ ابن خُزَيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
– الصيام، جعفر بن محمد بن الحسن الفِرْيابِي، تحقيق: عبد الوكيل الندوي، الدار السلفية، بومباي، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ه.
– الضعفاء الكبير، محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
– علل الحديث، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: فريق من الباحثين، إشراف: د. سعد بن عبد الله الحميد، د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، مطابع الحميضي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
– الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد عوامة، أحمد الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
– الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، عبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ه - ١٩٩٧م.
– كتاب الفوائد (الغيلانيات)، محمد بن عبد الله البغدادي، أبو بكر الشافعي، تحقيق: حلمي كامل، وأسعد عبد الهادي، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
– مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
– المجموع شرح المهذب، مع تكملة السبكي،والمطيعي، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر.
– مختصر سنن أبي داود، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: محمد صبحي حلاق، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م.
– مستخرج الطوسي على جامع الترمذي - مختصر الأحكام ، الحسن بن علي الطوسي، تحقيق: أنيس بن أحمد بن طاهر، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة،

الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
– المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، محمد بن عبد الواحد المقدسي، دراسة وتحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
– المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ه - ١٩٩٠م.
– مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
– مسند البزار، أحمد بن عمرو العتكي المعروف بـ البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، عادل بن سعد، صبري عبد الخالق، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
– مسند الدارمي (سنن الدارمي)، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: حسين سليم الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.
– مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.
– المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،، إشراف: د. سعد الشثري، دار العاصمة، ودار الغيث، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
– معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
– المغني في الضعفاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. نور الدين عتر، بدون دار نشر.
– المغني، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، عدد الأجزاء: ١٠.
– المنتخب من مسند عبد بن حميد، عبد الحميد بن حميد الكَسّي، تحقيق:مصطفى العدوي، دار بلنسية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
– موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله، جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري، وأحمد عبد الرزاق عيد، ومحمود محمد خليل، دار عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
– ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ

- ١٩٦٣م.
– النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر الزاوى، محمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

اختيارات ابن قُدامة المقدسي الفقهية من أول كتاب البيع إلى نهاية كتاب النفقات

اعداد
خلود بنت إبراهيم القضيب

Doi: 10.33850/jasis.2019.44492
الاستلام : ٧/ ٥ /٢٠١٩ القبول : ١٧ / ٦ /٢٠١٩

تمهيد :

الحمد لله مُشرِّع الأحكام، ومرسل خير الأنام للبيان، والصلاة والسلام على النبي العدنان، وعلى آله وصحبه المقتفين لأثره والمتمسكين بسنته، ومن بعدهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن علم الفقه هو من أفضل علوم الدين، وأعلى منزلة أهل المعرفة واليقين، لما جاء فيه عن سيد المرسلين: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، ثم أنه جاء بالهدى والنور، ومن ذلك ما شرع الله على لسانه من التحليل والتحريم والوصايا والأدب وسير الأولين والآخرين. وقد سَخَّر الله لنا من العلماء من هم للعلم حُفَّاظاً مجتهدين، وعلى الأدلة معتمدين مستدلين، فاعتنوا بالعلم النافع وجمعوه وحققوه.

فمن أشهر من اعتنى بالأحكام الفقهية، ومن أبرز شيوخ المذهب الحنبلي، المجتهد العابد الحافظ الفقيه الأصولي الموفق أبي محمد ابن قُدامة المقدسي ~ والذي قال عنه ابن تيمية ~: «ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق ~»[(١)].

وقال عنه تلميذه ضياء الدين المقدسي: «كان إماماً في القرآن، إماماً في التفسير، إماماً في الحديث ومشكلاته، أما الفقه فقد كان أوحد زمانه فيه»[(٢)].

وقد شرفت بفضل الله جل وعلا بالمساهمة في نشر فقه هذا الإمام المبارك من خلال هذا البحث العلمي للحصول على درجة الماجستير تحت عنوان: «**اختيارات ابن قُدامة المقدسي الفقهية من أول كتاب البيع إلى نهاية كتاب النفقات**».

وتقيّدت في هذا البحث بالضابط الذي حدده مجلس القسم، وهو: (الاقتصار على

---

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب ، الناشر : مكتبة العبيكان ، ط١، ١٤٢٥هـ : (٢٨٦/٣).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٣٦/٤).

اختيارات «الموفق ابن قُدامة» التي خالف فيها المشهور من مذهب الحنابلة، أو خالف فيها المذاهب الأربعة، أو وفّق فيها بين أقوال مختلفة) سائلة المولى الكريم العون والتسديد.

* أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ – أهمية أبواب المعاملات والأسرة، لما تشتمل عليه من مسائل دقيقة، وأقوال عديدة، تحتاج لعلماء راسخين، على الأدلة الصحيحة مستندين، ومن هنا برزت قيمة معرفة اختيارات العلماء المحققين، ومن أبرزهم الإمام المحقق ابن قُدامة المقدسي ~.

٢ – المكانة العلميّة لابن قُدامة المقدسي ~، وأهمية آثاره ومؤلفاته، وعنايته بموافقة الأدلة الصحيحة، مع ما لديه من معرفة ورسوخ في أصول الفقه واهتمام بأحاديث النبي

٣ – أن في جمع وضبط وتحقيق اختيارات الإمام ابن قُدامة المقدسي ~ خدمة للدراسات الفقهية، ومشاركة في نشر العلم النافع.

٤ – الحرص على خدمة الباحثين وطلبة العلم المهتمين بالفقه، وتسهيل سبل العلم باختيارات هذا الحبر المخالفة للمشهور من المذهب، أو المخالفة للمذاهب الأربعة.

٥ – الرغبة في الاستزادة من المسائل الفقهية عموماً، ومن فقه الإمام ابن قُدامة المقدسي ~ بشكل خاص؛ إذ يعد عَلماً في الفقه الحنبلي، وتعتبر كتبه مرجعاً مهماً في الفقه الإسلامي.

٦ – أن في بحث فقه أحد أهم شيوخ المذهب الحنبلي؛ حصيلة علمية، ودربة فقهية.

* أهداف الموضوع:

١ – جمع اختيارات الإمام ابن قُدامة ~ من أول كتاب البيع إلى نهاية كتاب النفقات.

٢ – دراسة هذه المسائل دراسة فقهية مقارنة ،مدعَّمة بالأدلة وأوجه الدلالة، وبيان اختيارات الإمام فيها وفق الضابط الآنف ذكره.

المطلب الأول

بيع رباع مكة وإجارتها

صورة المسألة:

إذا تصرف أحد برباع [٣] مكة إما ببيعها أو بتأجيرها، فما الحكم في ذلك؟

*** اختيار الموفق ابن قُدامة ~:**

اختار ~ صحة بيع رباع مكة وإجارتها، فقال في المغني: (يجوز بيع رباعها ،وإجارة بيوتها ،ورُوي ذلك عن طاووس، وعمر بن دينار ،وهذا قول الشافعي ،وابن المنذر ،

[٣] الرباع: المنزل والدار بعينها، والوطن متى كان وبأي مكان كان، وجمعه أربع ورباع وربوع وأرباع. انظر: لسان العرب (١٠٢/٨) مادة: (ربع).

وهو أظهر في الحجة)[٤].

خلافاً للمذهب عند الحنابلة وهو عدم صحة بيع رباع مكة وإجارتها، قال المرداوي ~: (لا يجوز بيع رباعها وهي المنزل، ودار الإقامة ولا إجارتها، وهو الصحيح من المذهب، وعليه أكثر الأصحاب، وقيل: يجوز، اختاره المصنّف، والشارح)[٥].

الأقوال في المسألة:

القول الأول: صحة بيع رباع مكة وإجارتها، وهو قول أبي يوسف من الحنفية[٦]، والمذهب عند الشافعية[٧]، ورواية عند أحمد[٨]، واختيار ابن قُدامة ~[٩].

القول الثاني: عدم صحة بيع رباع مكة وإجارتها، وهو المذهب عند الحنفية[١٠]، والمالكية[١١]، والحنابلة[١٢].

الأدلة:

أدلة القول الأول:

١ – قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾[١٣].

وجه الدلالة: أن إضافة الديار إلى المهاجرين كإضافة الأموال إليهم، فثبت أن أموالهم كسائر أموال الناس في تمليكها وجواز بيعها، فكذلك الديار[١٤].

٢ – عن أبي سفيان[١٥] قال: قال رسول الله : «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن**

---

[٤] المغني (١٩٧/٤).
[٥] الإنصاف (٢٨٩/٤).
[٦] انظر: بدائع الصنائع (١٤٦/٥)، الهداية (٣٧٩/٤) .
[٧] انظر: الحاوي الكبير (٣٨٦/٥)، فتح العزيز (٢٣٢/٨)، المجموع (٢٤٩/٩).
[٨] انظر: المبدع (٢٠/٤)، الإنصاف (٢٨٩/٤).
[٩] انظر: المغني (١٩٧/٤).
[١٠] انظر: بدائع الصنائع (١٤٦/٥)، الهداية (٣٧٩/٤)، تحفة الملوك (٢٣٥/١).
[١١] انظر: الاستذكار (١٥٤/٥)، الذخيرة (٤١٧/٣).
[١٢] انظر: المبدع (٢٠/٤)، الإقناع (٦٣/٢)، مطالب أولي النهى (٢٢/٣).
[١٣] سورة الحشر، من الآية (٨).
[١٤] انظر: الحاوي الكبير (٣٨٦/٥).
[١٥] هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي،أبو سفيان القرشي الأموي. وله كنية أخرى: أبو حنظلة، بابنه حنظلة، وأم أبي سفيان صفية بنت حزن بن بجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن

ألقى السلاح فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن»[١٦].

وجه الدلالة: قال ابن قُدامة ~: (أن النبي أقرهم في دورهم ورباعهم، ولم ينقل أحداً عن داره، ولا وجد منه ما يدل على زوال أملاكهم، وكذلك من بعده من الخلفاء)[١٧].

٣ – عن أسامة بن زيد قال: قلت يا رسول الله أين تنزل غدًا؟ في حجّته قال: «**وهل ترك لنا عقيل**[١٨] **منزلا**»، ثم قال: «**نحن نازلون غداً بخيف**[١٩] **بني كنانة المحصب حيث قاسمت قريش على الكفر**»[٢٠].

وجه الدلالة: (أن عقيل بن أبي طالب ورث أباه مع أخيه طالب دون علي وجعفر ؛لأن أبا طالب مات كافرًا، وكان عقيل وطالب كافِرِيَن، وكان علي وجعفر مسلِمِيَن، فباع عقيل دور أبيه التي ورثها، فلو لم تكن مملوكة وكان بيعها باطلا لما أجازه رسول الله ، ولأقرّ ملك الدور على حكمها الأول)[٢١].

٤ – عموم أدلة جواز البيع من غير فصلٍ بين أرض الحرم وغيرها[٢٢].

٥ – أن الأصل في الأراضي كلها أن تكون محلاً للتمليك؛ إلا أنه امتنع تملّك بعضها شرعاً لعارض الوقف كالمساجد ونحوها، ولم يوجد ذلك في كل مكة فبقي محلاً للتمليك[٢٣].

صعصعة، وهي عمة ميمونة بنت الحارث بن حزن، زوجة النبي @، ولد قبل الفيل بعشر سنين، وأسلم ليلة الفتح، وشهد حنينا والطائف، مع رسول الله @، توفي سنة إحدى وثلاثين، وعمره ثمان وثمانون سنة، وقيل: توفي سنة اثنتين وثلاثين. انظر: أسد الغابة (٣٩٢/٢).

[١٦] أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، رقم (١٧٨٠)، (١٤٠٧/٣).

[١٧] المغني (١٩٧/٤).

[١٨] هو عقيل بن أبي طالب، واسم أبي طالب: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله @، وأخو علي وجعفر لأبويهما، وهو أكبرهما، يكنى أبا يزيد، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وقد قيل: إنه ممن ثبت يوم حنين مع رسول الله @، وتوفي عقيل في خلافة معاوية. انظر: أسد الغابة (٥٦٣/٣) .

[١٩] الخَيْفُ: ما ارتفع عن موضع مَجرى السيلِ ومَسيلِ الماء وانْحَدَرَ عن غِلَظِ الجبل والجمع أَخْيافُ. لسان العرب (١٠٢/٩).

[٢٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي @ لليهود: (أسلموا تسلموا)، رقم (٢٨٩٣)، (١١١٣/٣)، ومسلم، كتاب الحج، باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر والصلاة به، رقم (٣٢٣٤)، (٣١٩/٨).

[٢١] الحاوي الكبير (٣٨٦/٥).

[٢٢] انظر : بدائع الصنائع (١٤٦/٥).

[٢٣] انظر: المرجع السابق.

أدلة القول الثاني:

١ – قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ ﴾[٢٤].

وجه الدلالة: أن الله جلّ وعلا ساوى بين جميع الناس فيه ، وأراد بالمسجد الحرام جميع الحرم[٢٥].

نُوقِش: أنه محمول على موجب اللفظ في أن المراد به نفس المسجد دون غيره من بقاع مكة[٢٦].

٢ – قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا ﴾[٢٧].

وجه الدلالة: أن الله جلّ وعلا جعلها حراماً، والحرام لا يجوز بيعه[٢٨].

يُناقش: أن المراد تحريم صيدها وقطع شجرها، وليس حرمة بيعها وتأجيرها[٢٩].

٣ – قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا ﴾[٣٠].

وجه الدلالة: أن الله تبارك وتعالى وضع للحرم حُرمةً وفضيلة، ولذلك جعله □ مأمناً، فالأولى تجنب امتهانه و ابتذاله بالبيع والشراء والتمليك والتملّك ، فهذا لا يجوز بخلاف سائر الأراضي[٣١].

يُناقش: أن المراد بالآية أن من دخل مكة كان آمنا بفضلٍ من الله جلّ وعلا، ولا وجه لكون البيع والشراء امتهان وابتذال، فالحاجة داعية لذلك.

٤ – عن عائشة < قالت: «**قلت يا رسول الله: ألا نبني لك بيتا بمِنى أو بناء يظلك من الشمس؟، قال: لا، إنما هو مناخ من سبق إليه**»[٣٢].

---

[٢٤] سورة الحج، من الآية (٢٥).
[٢٥] انظر: الحاوي الكبير (٣٨٥/٥)، المجموع (٢٤٩/٩-٢٥١).
[٢٦] انظر: الحاوي الكبير (٣٨٧/٥).
[٢٧] سورة النمل، من الآية (٩١).
[٢٨] انظر: الحاوي الكبير (٣٨٦/٥)، المجموع (٢٩٤/٩-٢٥١).
[٢٩] انظر: الحاوي الكبير (٣٨٧/٥).
[٣٠] سورة العنكبوت، من الآية (٦٧).
[٣١] انظر: الحاوي الكبير (٣٨٦/٥).
[٣٢] أخرجه الإمام أحمد، رقم (٢٥٥٤١)، (٣٤٩/٤٢)، وأبي داود، كتاب المناسك، باب تحريم حرم مكة، رقم (٢٠٢١)، (١٦١/٢)، والترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء أن منى مناخ من سبق، رقم (٨٩٠)، (١/٤)، وابن ماجة، كتاب المناسك، باب النزول بمنى، رقم

وجه الدلالة: أن مِنى بقعة من الحرم، فلا يجوز بيعها وإجارتها كالمسجد الحرام[٣٣].

يُناقش من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنه حديث ضعيف[٣٤].

الوجه الثاني: إن صحّ الحديث كان محمولاً على الموات من الحرم ، وهو ظاهر الحديث[٣٥].

الوجه الثالث: أن الحديث وارد في مِنى، وهي مِشعر يحتاجه الحجّاج، بخلاف بقيّة مكة.

٥ – عن عبد الله بن عمرو { قال: قال رسول الله $: «**مكة حرام، وحرام بيع رباعها، وحرام أجر بيوتها**»[٣٦].

وجه الدلالة: أن الحديث صريح في تحريم بيع رباع مكة وإجارتها.

يُناقش: بأن الحديث موقوف على عبد الله بن عمرو[٣٧] ، فلا يُحتجّ به .

٦ – رُوي عن علقمة بن نضلة الكناني[٣٨] قال: «**كانت تُدعى بيوت مكة على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر** { **السوائب**[٣٩] **لا تُباع ومن احتاج سكن ومن استغنى أسكن**»[٤٠].

(٣٠٠٧)، (١٠٠٠/٢)، والبيهقي، كتاب الحج، باب النزول بمنى، رقم (٩٨٨٩)، (١٣٩/٥).

(٣٣) انظر: المجموع (٢٥١/٩).

(٣٤) انظر: ضعيف أبي داود، للألباني (١٩٠/٢).

(٣٥) المجموع (٢٥١/٩).

(٣٦) الدار قطني في سننه، كتاب البيوع، رقم (٢٢٣)، (٥٧/٣)، أخرجه البيهقي في سننه، باب ما جاء في بيع دور مكة، رقم (١٠٩٦٦)، (٣٥/٦).

(٣٧) انظر: سنن البيهقي (٣٥/٦)، التحقيق في أحاديث الخلاف، للجوزي (١٨٦/٢).

(٣٨) هو علقمة بن نضلة بن عبد الرحمن بن علقمة الكناني، ويقال: الكندي، سكن مكة، روى عثمان بن أبي سليمان، عن علقمة بن نضلة قال: توفي رسول الله @ وأبو بكر وعمر، وما تدعى رباع مكة إلا السوائب، من احتاج سكن، ومن استغنى أسكن، وقال ابن منده: ذكر في الصحابة، وهو من التابعين انظر: أسد الغابة، لابن الأثير (٥٨٥/٣).

(٣٩) السوائب: سيَّب الشيء تركه، سيَّب الدابة أو الناقة أو الشيء تركه يسيب حيث شاء، وكل دابة تركتها وسومها فهي سائبة. لسان العرب (٤٧٨/١)، مادة (سيب).

(٤٠) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الحج، باب في بيع رباع مكة، رقم (١٤٦٩٣)، (٣٣١/٣)،
وابن ماجة، كتاب المناسك، باب أجر بيوت مكة، رقم (٣١٠٧)، (١٠٣٧/٢)، والدارقطني، كتاب البيوع، رقم (٢٢٨)، (٥٨/٣)، والبيهقي، كتاب البيوع، باب ما جاء في بيع دور مكة، رقم (١٠٩٦٨)، (٣٥/٦).

وجه الدلالة: أن بيوت مكة كانت سائبة لكل أحد ، من شاء كان يسكنها فإذا فرغ منها أسكن غيره فلا بيع ولا إجارة[٤١].

نُوقِش من وجهين:

الأول: أن السائبة لا حكم لها، وقد أبطلها الله تعالى في كتابه، على أنه يجوز أن يكون علقمة قال ذلك لكثرة الوقوف بها[٤٢].

الثاني: أن علقمة بن نضلة ليس له صحبة بالنبي [٤٣].

٧ – أن أرض مكة بقعة يُضمن صيدها بالجزاء، فلم يجُز بيعها كالمسجد الحرام[٤٤].

نُوقِش: أن قياسهم على المسجد الحرام ممتنع؛ لأنه لا يجوز أن تقاس المنازل المسكونة على المساجد في تحريم البيع، فسائر مساجد البلاد لا يدل تحريم بيعها على تحريم الدور والمنازل بها[٤٥].

الترجيح:

الراجح – والله تعالى أعلم – القول الأول، وهو صحة بيع رِباع مكة وإجارتها، وهذا موافق لاختيار ابن قُدامة ~، وترجّح لما يلي:

١ – قوة أدلتهم وضعف أدلة القول الثاني، وورود المناقشة عليها.

٢ – أن جواز بيع رِباع مكة هو القول المعمول به منذ زمن الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم؛حيث أن فيه رفعاً للحرج وتيسيراً للأمة.

المطلب الثاني

بيع الآبق لقادرٍ على تحصيله

صورة المسألة:

إذا باع رجل لآخر عبده الآبق[٤٦] بعد أن ادّعى المشتري قدرته على تحصيل العبد الآبق، أو معرفة مكانه، فما حكم بيع الآبق لقادرٍ على تحصيله؟

*** اختيار ابن قُدامة ~:**

اختار ~ صحة بيع الآبق لقادرٍ على تحصيله، فقال في الكافي: (إن باع الآبق لقادرٍ عليه،

---

(٤١) انظر: عمدة القاري (٢٢٥/٩).

(٤٢) الحاوي الكبير (٣٨٧/٥)، انظر: المجموع (٢٣٦/٩).

(٤٣) انظر: تحفة الأشراف، للمزي (٣٤٤/٧).

(٤٤) الحاوي الكبير (٣٨٦/٥)، انظر: المجموع (٢٥٠/٩-٢٥١).

(٤٥) انظر: الحاوي الكبير (٣٨٧/٥).

(٤٦) الآبق: أَبِقَ العبد «أَبْقًا» من بابي تعب وقتل في لغة والأكثر من باب ضرب إذا هرب من سيده. انظر: المصباح المنير (٢/١-٧)، مادة: «أَبِقَ».

أو المغصوب لغاصبه، أو لقادرٍ على أخذه منه، جاز لذلك وإلا فلا)[٤٧].

خلافاً للمذهب عند الحنابلة وهو عدم صحة بيع الآبق ولو لقادرٍ على تحصيله، قال المرداوي ~: (فلا يجوز بيع الآبق، سواء كان المشتري قادرًا عليه أو لا، وهو الصحيح، وهو المذهب، وهو ظاهر كلام الأكثر، قال في الفروع: والأشهر المنع، وقيل يصح بيعه لقادرٍ على تحصيله كالمغصوب، اختاره المصنّف، والشارح، والناظم)[٤٨].

تحرير محل النزاع:

١ – اتفق الفقهاء[٤٩] على عدم جواز بيع الآبق لغير القادر على تحصيله.

٢ – واختلفوا في بيع الآبق لقادرٍ على تحصيله على قولين.

الأقوال في المسألة:

القول الأول: عدم صحة بيع الآبق ولو لقادرٍ على تحصيله، وهو مذهب الحنفية[٥٠]، والمالكية[٥١]، والمذهب عند الشافعية[٥٢]، والحنابلة[٥٣].

القول الثاني: صحة بيع الآبق لقادرٍ على تحصيله، وهو رواية عند الشافعية[٥٤]، والحنابلة[٥٥]، واختيار ابن قُدامة ~[٥٦].

الأدلة:

أدلة القول الأول:

١ – عن أبي سعيد الخدري قال: «**نهى رسول الله عن شراء ما في بطون الأنعام حتى تضع ما في ضروعها إلا بكيل، وعن شراء العبد وهو آبق، وعن شراء المغانم حتى تُقسم، وعن شراء الصدقات حتى تُقبض، وعن ضربة الغائص**»[٥٧].

---

[٤٧] الكافي (٨/٢).

[٤٨] الإنصاف (٢٩٣/٤).

[٤٩] انظر: الهداية (٤٥/٣)، البحر الرائق (٨٦/٦)، المدونة (١٩٤/٣)، الاستذكار (٤٥٤/٦)، الحاوي الكبير (٢٣٠/٥)، روضة الطالبين (٣٥٦/٣)، المغني (٨٨/٤)، كشف المخدرات (٣٦٣/١).

[٥٠] انظر: الهداية (٤٥/٣)، البحر الرائق (٨٦/٦) .

[٥١] انظر: المدونة (١٩٤/٣)، الاستذكار (٤٥٥/٦)، شرح ميارة (٣١٢/١).

[٥٢] انظر: الحاوي الكبير (٣٢٦/٥)، روضة الطالبين (٣٥٨/٣).

[٥٣] انظر: المغني (٨٨/٤)، المبدع (٢٣/٤)، الإقناع (٦٤/٢).

[٥٤] انظر: الحاوي (٣٢٦/٥)، روضة الطالبين (٣٥٦/٣).

[٥٥] انظر: المغني (٢٩٣/٤)، المبدع (٣٦٢/٣)، الإقناع (٦٤/٢).

[٥٦] انظر: الكافي (٧/٢).

[٥٧] أخرجه ابن أبي شيبة، كتاب البيوع والأقضية، باب في بيع الغرر والعبد الآبق، رقم

وجه الدلالة: دلّ الحديث الشريف على النهي عن بيع الآبق[٥٨]، والنهي يقتضي التحريم.
يُناقش: بأن الحديث ضعيف[٥٩]، ولا يُحتجّ به.
يُجاب: بأن الحديث وإن كان ضعيفاً في إسناده فهو صحيحًا في معناه، قال البيهقي ~: (هذه المناهي وإن كانت في هذا الحديث بإسناد غير قوي فهي داخلة في بيع الغرر الذي نُهي عنه في الحديث الثابت عن رسول الله)[٦٠].
٢ – عن أبي هريرة قال: «**نهى رسول الله عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر**»[٦١].
وجه الدلالة: نهى النبي في الحديث الشريف عن الغرر، وبيع الآبق من أعظم الغرر[٦٢].
٣ – أن من شروط البيع القدرة على التسليم، والعبد الآبق يتعذر تسليمه فلم يجُز بيعه[٦٣].
أدلة القول الثاني:
١ – قال ابن قُدامة ~: (أن العقد صح ؛لكونه مظنون القدرة على قبضه، ويثبت له الفسخ للعجز عن القبض، فأشبه ما لو باعه فرسًا فشردت قبل تسليمها، أو غائبا بالصفة فعجز عن تسليمه)[٦٤].
٢ – كل ما صحّ ملكه وعُرِفت صفاته، صحّ التصرف به بالبيع وغيره[٦٥].
يُناقش: أن النبي نهى عن بيع الغرر كما في الحديث المتقدم، وادّعاء القدرة على تحصيل الآبق أمر ظني قد يؤول إلى الغرر والاختلاف.

الترجيح:

(٢٠٥٠٦)، (٣١١/٤)، والإمام أحمد في مسنده، رقم (١١٣٩٥)، (٤٣/٣)، وابن ماجة، كتاب التجارات، باب النهي عن شراء ما في بطون الأنعام وضروعها وضربة الغائص، رقم (٢١٩٦)، (٧٤٠/٢)، والبيهقي،كتاب البيوع، باب النهي عن بيع الغرر، حديث رقم (١٠٦٣٠)، (٣٣٨/٥)، والدار قطني، كتاب البيوع، رقم (٤٤)، (١٥/٣).
[٥٨] انظر: الاستذكار (٤٥٥/٦).
[٥٩] انظر: تلخيص الحبير (٢٨/٣).
[٦٠] سنن البيهقي الكبرى (٥٥٣/٥).
[٦١] أخرجه مسلم (١١٥٣/٣)، كتاب البيع، باب بطلان بيع الحصاة والبيع الذي فيه غرر، حديث رقم (١٥١٣).
[٦٢] انظر: الحاوي (٣٢٦/٥)، المغني (٨٨/٤).
[٦٣] انظر: المرجعين السابقين.
[٦٤] البحر الرائق (٨٦/٦)، وانظر: مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (٥٨/٢).
[٦٥] انظر: المحلى (٢٨٥/٧ – ٢٩٠).

الراجح – والله تعالى أعلم – القول الأول، عدم جواز بيع الآبق ولو لقادرٍ على تحصيله، وهو يُخالف اختيار ابن قُدامة ~، وترجّح لما يلي:
١ – قوة أدلة القول الأول، وضعف أدلة القول الثاني.
٢ – وجود الغرر المنهي عنه في بيع الآبق.
٣ – أن الشريعة الإسلامية تُراعي حفظ الحقوق، وتحمي المتعاقدين من الوقوع في الغرر والغبن.

المطلب الثالث

العقد بعد مُضي زمن من رؤية المبيع يحتمل فيه التغير من عدمه

صورة المسألة:

أنّ من شروط صحة البيع معرفة المبيع إما برؤيةٍ أو صفةٍ، فما حكم العقد بعد مضي زمن من رؤية المبيع يحتمل فيه التغير من عدمه؟

*** اختيار ابن قُدامة ~:**

اختار ~ صحة العقد، فقال في المغني: (فأما إن كان يحتمل التغير وعدمه وليس الظاهر تغيره ،صحّ بيعه)[٦٦].

خلافاً للمذهب عند الحنابلة وهو عدم صحة العقد بعد مضي زمن من رؤية المبيع يحتمل فيها التغير أو عدمه، قال المرداوي ~: (أنه لو عقد عليه بعد ذلك بزمن يحتمل التغير فيه وعدمه على السواء ،أنه لا يصح العقد، وهو صحيح، وهو المذهب ... ... وقيل: يصح، جزم به في المغني، والشرح)[٦٧].

تحرير محل النزاع:

١ – اتفق الفقهاء[٦٨] على صحة العقد بعد مضي زمن من رؤية المبيع لا يحتمل فيه التغير ظاهراً.

٢ – واختلفوا في حكم العقد بعد مضي زمن من رؤية المبيع يحتمل فيه التغير وعدمه على قولين.

---

[٦٦] المغني (٤٩٧/٣).

[٦٧] الإنصاف (٢٩٧/٤).

[٦٨] انظر: بدائع الصنائع (٢٩٣/٥)، الشرح الكبير للدردير (٢٧/٣)، اللباب في شرح الكتاب (١٦/٢)، المجموع (٢٩٦/٩)، نهاية المحتاج (٤١٨/٣) ، المغني (٤٩٧/٣)، الإنصاف (٢٩٧/٤).

الأقوال في المسألة:

القول الأول: صحة العقد، وهو مذهب الحنفية[٦٩]، والمالكية[٧٠]، والمذهب عند الشافعية[٧١]، ورواية عند الحنابلة[٧٢]، واختيار ابن قُدامة ~[٧٣].

القول الثاني: عدم صحة العقد، وهو قول الشافعية في الجديد[٧٤]، والصحيح عند الحنابلة[٧٥].

الأدلة:

أدلة القول الأول:

١ – قال ابن قُدامة ~: (أن الأصل السلامة ، ولم يُعارضه ظاهر فصحّ بيعه ، كما لو كانت الغيبة يسيرة)[٧٦].

٢ – أن الرؤية تُراد للعلم بالمبيع وقد حصل العلم بالرؤية المتقدّمة[٧٧].

أدلة القول الثاني:

الرؤية شرط في العقد، وما كان شرطاً في صحة العقد يجب أن يكون موجوداً حال العقد،كالشهادة في النكاح[٧٨].

يُناقش: أن القصد من الرؤية معرفة المبيع، وهذا حاصل بالرؤية السابقة لزمن العقد.

الترجيح:

الراجح – والله تعالى أعلم – القول الأول، وهو صحة العقد بعد مضي زمن من رؤية المبيع يحتمل فيه التغير من عدمه، وهذا موافق لاختيار ابن قُدامة ~؛ وترجح لما يلي:

---

[٦٩] انظر: بدائع الصنائع (٢٩٣/٥)، اللباب في شرح الكتاب (١٦/٢).

[٧٠] انظر: الشرح الكبير للدردير (٢٧/٣).

[٧١] انظر: المجموع (٢٩٦/٩)،مغني المحتاج (٣٥٨/٢)، نهاية المحتاج (٤١٨/٣) .

[٧٢] انظر: المغني (٣٩٧/٣)، الشرح الكبير (٢٧/٤)، الإنصاف (٢٩٧/٤).

[٧٣] انظر: المغني (٣٩٧/٣).

[٧٤] انظر: المجموع (٢٩٦/٩)، حاشية الجمل (٣٨٠/٥).

[٧٥] انظر: المغني (٤٩٧/٣)، الإنصاف (٢٩٧/٤)، شرح منتهى الإرادات (١٢/٢)، مطالب أولي النهى (٢٧/٣).

[٧٦] المغني (٤٩٧/٣)، انظر: بدائع الصنائع (٢٩٣/٥)، المجموع (٢٩٦/٩)، نهاية المحتاج (٤١٨/٣).

[٧٧] انظر: اللباب (١٦/٢)، المجموع (٢٩٦/٩).

[٧٨] انظر: المجموع (٢٩٦/٩) .

[٤] انظر : شرح القواعد الفقهية ، للزرقا (٨٧/١) .

١ – تيسيراً للمعاملات بين الناس ، و رفعاً للحرج .
٢- أن الاحتمال و الشك لا يرتقي لدرجة دفع اليقين بسلامة المبيع في الرؤية المتقدمة ، فالأصل بقاء ماكان على ماكان (٤) .

المطلب الرابع

بيع عبده وعبد غيره بغير إذنه

صورة المسألة:

قسّم الحنابلة مسألة تفريق الصفقة إلى ثلاثة أقسام[٧٩] وفق مايلي:

أولها: أن يبيع معلوماً ومجهولاً في صفقة واحدة بثمن واحد، كأن يقول : بعتك هذه الفرس وما في بطن هذه الفرس الأخرى بكذا .

ثانيها: أن يكون المبيعان مما ينقسم الثمن عليهما بالأجزاء، كدار مشتركة بينه وبين غيره باعها بغير إذن شريكه.

ثالثها: أن يكون المبيعان معلُومَين مما لا ينقسم عليهما الثمن بالأجزاء وأحدهما مما يصُح بيعه والآخر مما لا يصُح ؛كخلٍ وخمر، وعبده وعبد غيره، فيبطل البيع فيما لا يصح بيعه، فما الحكم فيما يصح بيعه؟

*** اختيار ابن قُدامة ~:**

اختار ابن قُدامة ~ عدم صحة بيع عبده وعبد غيره بغير إذنه، فقال: (القسم الثالث: أن يكون المبيعان معلُومَين مما لا ينقسم عليهما الثمن بالأجزاء كعبدٍ وحر، وخلٍ وخمر، وعبده وعبد غيره، وعبدٍ حاضرٍ وآبق، فهذا يبطل البيع فيما لا يصُح بيعه، وفي الآخر روايتان... والقول بالفساد في هذا القسم إن شاء الله أظهر)[٨٠].

خلافاً للمذهب عند الحنابلة فيبطل البيع فيما لا يصح بيعه، ويصُح في الآخر بقسطه من الثمن، قال المرداوي ~: (باع عبده وعبد غيره بغير إذنه، أو عبداً وحراً، أو خلاً وخمرًا، ففيه روايتان... ... أولاهما: لا يصح،اختاره المصنف، والشارح ... ... والأخرى: يصح في عبده ، وفي الخل بقسطه، وهو المذهب وعليه أكثر الأصحاب)[٨١].

الأقوال في المسألة:

القول الأول: يبطل البيع فيما لا يصح بيعه، ويصح في الآخر بقسطه من الثمن، وهو

---

[٧٩] انظر: المغني (١٧٨/٤-١٧٩).
[٨٠] المغني (١٧٩/٤) .
[٨١] الإنصاف (٣١٧/٤-٣١٨).

رواية عند الحنفية[٨٢]، والمذهب عند الشافعية[٨٣] ، والحنابلة[٨٤].

القول الثاني: يبطل البيع فيهما، وهو المذهب عند الحنفية[٨٥]، ومذهب المالكية[٨٦]، ورواية عند الشافعية[٨٧]، والحنابلة[٨٨]، واختيار ابن قُدامة ~[٨٩].

الأدلة:

أدلة القول الأول:

١ – أن كل واحد منهما له حكم لو كان منفرداً، فإذا جُمع بينهما ثبت لكل واحد منهما حكمه، وقد صدر فيه البيع من أهله في محله بشرطه، فصحّ كما لو انفرد[٩٠].

٢ – أنه متى سمّى ثمناً في مبيع يسقط بعضه، لا يوجب ذلك جهالة تمنع الصحة، كما لو وجد بعض المبيع معيباً فأخذ أرشه[٩١].

أدلة القول الثاني:

١ – أن الصفقة جمعت حلالاً وحراما فغلب التحريم، كالجمع بين الأختين ، وبيع درهم بدرهمين[٩٢].

نُوقِش: أن هذا قياس فاسد ؛لوجود الفارق، فالدرهمان ،والأختان ليس واحد منهما أولى بالفساد من الآخر ،فلذلك فسد فيهما ،وهاهنا بخلافه؛ لأن تبعيض الحكم ممكن[٩٣].

٢ – قال ابن قُدامة ~: (أن الثمن مجهول؛ لأنه إنما يتبين بالتقسيط للثمن على القيمة ،وذلك مجهول في الحال ،فلم يصح البيع به،كما لو قال: بعتك هذه السلعة برقمها أو

---

(٨٢) انظر: بدائع الصنائع (٨٩/٥)، بداية المبتدى (١٤٠/١) ، الفتاوى الهندية (١٣١/٣).

(٨٣) انظر: الحاوي (٢٩٤/٥)، المجموع (٣٨١/٩).

(٨٤) انظر: الكافي (٣١/٢ – ٣٢)، المغني (١٧٩/٤)، الشرح الكبير (٣٨/٤) الإنصاف (٣١٨/٤) ، شرح منتهى الإرادات (٢١/٢) .

(٨٥) انظر: بدائع الصنائع (٨٩/٥)، بداية المبتدى (١٤٠/١)، الفتاوى الهندية (١٣١/٣).

(٨٦) انظر: الذخيرة (١٠٩/٥) ، مواهب الجليل (٢٧١/٤) .

(٨٧) انظر: الحاوي (٢٩٤/٥)، المجموع (٣٨١/٩).

(٨٨) انظر: الكافي (٢٠/٢)، المغني (١٧٩/٤)، الشرح الكبير (٣٨/٤) ، شرح منتهى الإرادات (٢١/٢).

(٨٩) انظر: المغني (١٧٩/٤).

(٩٠) انظر: الشرح الكبير (٣٨/٤)، المغني (١٧٩/٤).

(٩١) انظر: المغني (١٧٩/٤) .

(٩٢) انظر: الحاوي (٢٩٤/٥)، المجموع (٣٨١/٩) ، الكافي (٣١/٢ – ٣٢)، شرح منتهى الإرادات (٢١/٢).

(٩٣) انظر: المغني (١٧٩/٤).

بحصةٍ من رأس المال؛ ولأنه لو صرّح به فقال: بعتك هذا بقسطه من الثمن، لم يصح فكذلك إذا لم يصرّح)[٩٤].

نُوقِش: أن المسمّى وقع في العقد معلوماً، وسقط بعضه لمعنى في العقد فلم يفسد العقد، كما إذا رجع بأرش العيب، والجهالة إنما تزول بتقويم ما لا يصح بيعه ليتبقى ثمن الآخر[٩٥].

الترجيح:

الراجح – والله تعالى أعلم – القول الأول، وهو أنه يبطل البيع فيما لا يصح بيعه، ويصح في الآخر بقسطه من الثمن، وهذا مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~، وترجّح لما يلي:

١ – قوة أدلة القول الأول، وضعف أدلة القول الثاني وورود المناقشة عليها.

٢ – إمكان تقويم ما لا يصُح بيعه وإسقاطه من الثمن، فيتبقى ما يستحقه الآخر من الثمن، وبذلك تزول الجهالة.

المطلب الخامس

سوم المسلم على سوم أخيه إن ظهر ما يدُل على الرضا من غير تصريح

صورة المسألة:

إذا تساوم البائع والمشتري على سلعة، وظهر من المشتري ما يدُل على الرضا من غير تصريح، فما حكم سوم[٩٦] الرجل على سوم أخيه في هذه الحالة؟

*** اختيار ابن قُدامة ~:**

اختار ~ تحريم سوم المسلم على سوم أخيه إن ظهر من البائع ما يدل على الرضا من غير تصريح فقال: (أن يظهر منه ما يدل على الرضا من غير تصريح، فقال القاضي: لا تحرم المساومة ،وذكر أن أحمد نص عليه في الخطبة..... ولو قيل بالتحريم هاهنا لكان وجهاً حسنًا)[٩٧].

خلافاً للمذهب عند الحنابلة وهو جواز سوم المسلم على سوم أخيه إن ظهر ما يدل على الرضا من غير تصريح، قال المرداوي ~: (و إن حصل الرضا ظاهراً لم يحرم السوم على الصحيح من المذهب ... ... وقيل: يحرم كرضاه صريحاً، قال المصنف: لو قيل

---

[٩٤] المغني (١٧٩/٤)، وانظر: الشرح الكبير (٣٩/٤).

[٩٥] المغني (١٧٩/٤).

[٩٦] السوم: المساومة المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة وفصل ثمنها. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣١٤/١٢).

[٩٧] المغني (١٦٢/٤).

بالتحريم هنا لكان وجهًا حسنا)[٩٨].

تحرير محل النزاع:

١ – أجمع الفقهاء – رحمهم الله – على منع بيع المسلم على بيع أخيه، أو الشراء على شرائه، أو السوم على سومه بعد ركون كل واحد منهما للآخر[٩٩].

٢ – واختلفوا – رحمهم الله – في حكم سوم المسلم على سوم أخيه إن ظهر ما يدل على الرضا من غير تصريح على قولين.

الأقوال في المسألة:

القول الأول: جواز سوم المسلم على سوم أخيه إن ظهر ما يدل على الرضا من غير تصريح به، وهو مذهب الحنفية[١٠٠]، والمالكية[١٠١]، والمذهب عند الشافعية[١٠٢]، والحنابلة[١٠٣].

القول الثاني: تحريم سوم المسلم على سوم أخيه إن ظهر ما يدل على الرضا من غير تصريح به، وهو رواية عند الشافعية[١٠٤]، والحنابلة[١٠٥]، واختيار ابن قُدامة ~[١٠٦].

الأدلة:

أدلة القول الأول:

١ – عن فاطمة بنت قيس[١٠٧]< قالت: لما حللت ذكرت للنبي أنّ معاوية بن أبي سفيان ،وأبا جهمٍ خطباني، فقال رسول الله : «**أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه ،وأما**

---

[٩٨] الإنصاف (٣٣٢/٤).

[٩٩] انظر: الإقناع في مسائل الإجماع ،لابن القطان (٢٤٢/٢)، شرح صحيح مسلم، للنووي (١٥٩/١٠).

[١٠٠] انظر: بدائع الصنائع (٢٣٢/٥)، الهداية شرح البداية (٥٣/٣)، البحر الرائق (١٠٧/٦).

[١٠١] انظر: حاشية العدوي (١٨٩/٢) ، الشرح الكبير للدردير (١٥٩/٣)، الثمر الداني (٥٢٢/١).

[١٠٢] انظر: الحاوي الكبير (٣٤٥/٥) ، المجموع (١٧/١٣).

[١٠٣] انظر: المغني (١٦٢/٤)، الفروع (١٧٣/٦)، الإنصاف (٣٣٢/٤)، شرح منتهى الإرادات (٢٤/٢).

[١٠٤] انظر: الحاوي الكبير (٣٤٥/٥)، التنبيه (٩٦/١)، فتح العزيز (٢٢١/٨).

[١٠٥] انظر: الشرح الكبير (٤٣/٤)، الفروع (١٧٣/٦)، الإنصاف (٣٣٢/٤).

[١٠٦] المغني (١٦٢/٤).

[١٠٧] هي فاطمة بنت قيس الفهرية، إحدى المهاجرات، وأخت الضحاك،كانت تحت أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي فطلقها فخطبها معاوية بن أبي سفيان وأبو جهم فنصحها رسول الله @ وأشار عليها بأسامة بن زيد فتزوجت به، توفيت في خلافة معاوية. انظر: سير أعلام النبلاء (٥٣٩/٣).

معاوية فصعلوك لا مال له ، انكحي أسامة بن زيد» قالت: فكرهته، ثم قال: «**انكحي أسامة**» فنكحته فجعل الله فيه خيرًا ، واغتبطت به[١٠٨].

وجه الدلالة: تبيَّن في الحديث جواز الخطبة على خطبة الغير إذا لم يحصل للأول إجابة؛ لأن فاطمة بنت قيس < أخبرته عليه الصلاة والسلام أن معاوية ،وأبا الجهم ،وغيرهما خطبوها[١٠٩]؛ فكذلك الحكم في المساومة.

نُوقِش: أنه ليس في حديث فاطمة < ما يدل على الرضا والركون؛ لأنها جاءت مستشيرة للنبي ، وليس ذلك دليلاً على رضاها بأحد الخاطِبَين، وكيف ترضى وقد نهاها النبي بقوله: «**لا تفوتينا بنفسك**»[١١٠] فلم تكن تفعل شيئًا قبل مراجعة النبي [١١١].

٢ – أن الأصل إباحة السوم والخطبة، فحُرّم منه ما وُجِد فيه التصريح بالرضا ،وما عداه يبقى على الأصل [١١٢].

أدلة القول الثاني:

١ – عن أبي هريرة ، أن رسول الله : «**نهى أن يستام الرجل على سوم أخيه**»[١١٣].

وجه الدلالة: نهى النبي عن سوم الرجل على سوم أخيه ، وصورة مسألتنا داخلة في عموم علة النهي الواردة في معنى الحديث .

يُناقش: أن الأصل في السوم الإباحة، ولا يُحرّم إلا ما وُجِد فيه التصريح بالرضا[١١٤].

٢ – أنه قد وجد من البائع دليل على الرضا أشبه ما لو صرّح به، ولا يضر اختلاف الدليل بعد التساوي في الدلالة[١١٥].

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – القول الأول، جواز سوم المسلم على سوم أخيه إن ظهر ما يدل على الرضا من غير تصريح، وهو مخالف لاختيار ابن قُدامة ~، وترجّح ذلك لما يلي:

١ – أن في منع السوم من غير دلالة صريحة على رضا وركون الطرف الآخر فيه ضرر على أصحاب السلع ، وحرج على الطرفين.

٢ – أن كثيراً من الفقهاء – رحمهم الله – ضبطوا السوم المنهي عنه – من خلال ما

---

[١٠٨] أخرجه مسلم، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، رقم (٣٧٧٠)، (١٩٥/٤).

[١٠٩] انظر: شرح النووي على مسلم (١٠٦/١٠).

[١١٠] أخرجه مسلم، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، رقم (٣٧٧٤)، (١٩٦/٤).

[١١١] المغني (١٦٢/٤).

[١١٢] انظر: المغني (١٦٢/٤).

[١١٣] أخرجه مسلم، كتاب البيع، باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه، رقم (٣٨٨٩)، (٤/٥).

[١١٤] انظر: المغني (١٦٢/٤).

[١١٥] المرجع السابق، انظر: الشرح الكبير (٤٣/٤).

وقفت عليه – على حال الركون وظهور ما يدُل على الرضا صريحاً، وما عداه باقي على الأصل وهو الإباحة .

المطلب السادس

بيع الطعام إلى أجل وأخذ طعام منه بالثمن الذي في ذمته

صورة المسألة:

إذا باع رجل على آخر تمر برني بقيمة مائة درهم مؤجلة، فلمّا حلّ الأجل أخذ البائع بقيمة الثمن المؤجل قبل أن يُقبضه تمر عجوة، فما حكم ذلك؟ وبصيغة أخرى: حكم بيع ما يجري فيه الربا نسيئة، ثم شراؤه منه بثمنه قبل قبضه من جنسه؟

*** اختيار ابن قُدامة ~:**

اختار ~ جواز ذلك إذا لم يكن فعله حيلة ولم يقصده في ابتداء العقد، فقال: (ومن باع طعاماً إلى أجل فلما حلّ الأجل أخذ منه بالثمن الذي في ذمته طعاماً قبل قبضه لم يجُز..... والذي يقوي عندي جواز ذلك إذا لم يفعله حيلة ،ولم يقصُد ذلك في ابتداء العقد)[١١٦].

خلافاً لمذهب الحنابلة وهو حرمة ذلك، قال المرداوي ~: (وإن باع ما يجري فيه الربا نسيئة ثم اشترى منه بثمنه قبل قبضه من جنسه أو ما لا يجوز بيعه نسيئة ،لم يجُز وهو المذهب، وعليه جماهير الأصحاب، وقطع به كثير منهم، واختار المصنّف الصحة مطلقاً إذا لم يكن حيلة)[١١٧].

الأقوال في المسألة:

القول الأول: الجواز إذا لم يكن حيلة، وهو مذهب الحنفية[١١٨]، والشافعية[١١٩]، واختيار ابن قُدامة ~[١٢٠].

القول الثاني: التحريم، وهو مذهب المالكية[١٢١]، إلا أن يكون الطعام جنساً واحداً وكيلا واحدًا، فيجوز عنده[١٢٢]، وهو الصحيح عند الحنابلة[١٢٣].

الأدلة:

---

[١١٦] المغني (١٣٤/٤).

[١١٧] الإنصاف (٣٣٧/٤).

[١١٨] انظر: الحجة (٥٩٠/٢) ، الدر المختار (١٤٩/٥) .

[١١٩] انظر: الأم (٧٤/٣)، الحاوي (٢٩٠/٥)، المجموع (٢٧٥/٩).

[١٢٠] انظر: المغني (١٢٨/٤).

[١٢١] انظر: جامع الأمهات (٣٥٣/١) ، الذخيرة (١٤٥/٥) .

[١٢٢] انظر: المدونة (٢٩٦/٤)، شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٣٢٣/٦).

[١٢٣] انظر: الكافي (١٧/٢)، المغني (١٢٨/٤)، الفروع (٣١٦/٦)، الإنصاف (٣٣٧/٤).

أدلة القول الأول:

١ – عن عبد الله بن زيد قال: قدمت على علي بن الحسين فقلت له: إني أجذ نخلي وأبيع ممن حضرني التمر إلى أجل، فيقدمون بالحنطة وقد حلّ ذلك الأجل ،فيوقفونها بالسوق ، فأبتاع منهم ،وأقاصهم ،قال: لا بأس بذلك إذا لم يكن منك على رأي[١٢٤].

وجه الدلالة: ففي الأثر دليل على جواز أخذ الطعام بالثمن المؤجل بذمة المشتري ما لم يكن هناك تواطؤ.

٢ – قال ابن قُدامة ~: (صحّ كما لو كان المبيع الأول حيواناً أو نباتًا... ولم يأخذ بالثمن طعاماً ، ولكن اشترى من المشتري طعاماً بدراهم وسلّمها إليه ،ثم أخذها منه وفاءً أو لم يسلّمها إليه ، لكن قاصّه بها كما في حديث علي بن الحسين)[١٢٥].

أدلة القول الثاني:

١ – عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله استعمل رجلاً على خيبر فجاءه بتمر جنيب، فقال رسول الله : «**أ كُلّ تمر خيبر هكذا؟**» **قال: لا والله يا رسول الله، إنا لنأخذ الصاع بالصاعين والصاعين بثلاثة، فقال رسول الله : «لا تفعل، بع الجمع**[١٢٦] **بالدراهم، ثم اشتر بالدراهم جنيبا** [١٢٧]»[١٢٨].

وجه الدلالة: نهى النبي عن بيع الطعام بالطعام متفاضلاً.

نُوقِش: أن مرادنا أخذ الطعام بالثمن الذي له عليه لا بالطعام[١٢٩] .

٢ – أنه ذريعة إلى بيع طعام بطعام نسيئة، وكل شيئين حُرِّم النسأ فيهما لم يجُز أخذ أحدهما عن الآخر قبل قبض ثمنه[١٣٠].

الترجيح:

الراجح – والله أعلم – القول الأول، وهو جواز بيع الطعام إلى أجل وأخذ طعام منه بالثمن الذي في ذمته، إذا لم يكن فعله حيلة، ولم يقصده في ابتداء العقد، وهذا موافق لاختيار ابن قُدامة ~، وترجّح لما يلي:

---

[١٢٤] لم أجد سنده فيما وقفت عليه.

[١٢٥] المغني (٢٧٧/٤).

[١٢٦] الجمع: تمر مختلط من أَنواع متفرقة وليس مرغوباً فيه وما يُخْلَطُ إلا لرداءته. انظر : [لسان العرب (٥٩/٨)].

[١٢٧] الجنيب: هو نوع جَيِّد مَعْروف من أَنواع التمر. [انظر : لسان العرب (٢٧٩/١)] .

[١٢٨] أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب استعمال النبي @ على أهل خيبر، رقم (٤٢٤٤)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلاً بمثل، رقم (٤١٦٦)، (٤٧/٥).

[١٢٩] انظر: المجموع (٢٧٥/٩).

[١٣٠] الكافي (١٧/٢).

١ – التيسير للناس فيما قد تدعوا الحاجة له، ما لم يكن حيلة للربا.
٢ – أن الأصل في المعاملات الإباحة، ما لم يرد دليل على التحريم.

المطلب السابع

الخيار لمن اشترط صفة مقصودة فبان خلافها [١٣١] .

صورة المسألة:

إذا اشترط المشتري في الرقيق ، أو السلعة صفات معينة لغرض صحيح أو غرض يخصه، فهل يحق للمشتري الخيار إذا اشترط صفة مقصودة فبان خلافها؟

كما لو اشترط المشتري أن تكون الأمَة ثيّباً فبانت بِكرًا، أو اشترطها كافرة فبانت مسلمة[١٣٢]، وذلك لغرض صحيح يخص المشتري.

*** اختيار ابن قُدامة ~:**

اختار ابن قُدامة ~ ثبوت الخيار لمن اشترط صفة مقصودة فبان خلافها، فقال: (وإن شرطها كافرة فبانت مسلمة، أو ثيبا فبانت بِكرًا، فله الخيار)[١٣٣].

خلافاً للمذهب عند الحنابلة حيث قالوا بعدم ثبوت الخيار، قال المرداوي ~: (قوله: وإن شرطها ثيّبًا كافرة فبانت بِكرًا مسلمة فلا فسخ، وهذا المذهب، وعليه جماهير الأصحاب ... ... ويحتمل أن له الفسخ؛ لأن له فيه قصداً ... ... اختاره المصنّف في المغني، وقدّمه في الحاوي الكبير، وأطلقهما في الكافي فيما إذا شرطها كافرة فبانت مسلمة)[١٣٤].

تحرير محل النزاع:

١ – قال ابن تيمية ~: (أجمع الفقهاء المعروفون – من غير خلاف أعلمه من غيرهم – أن اشتراط صفة في المبيع ونحوه كاشتراط كون العبد كاتباً، أو صانعاً، أو اشتراط طول الثوب، أو قدر الأرض ونحو ذلك: شرط صحيح)[١٣٥].

٢ – اتفق الفقهاء – رحمهم الله – أنه إن اشترط المشتري صفة غير مقصودة فبان خلافها فلا خيار له، كمن اشترط عبداً أمياً فبان كاتبًا[١٣٦].

---

[١٣١] كان من الأولى أن تكون هذه المسألة في المبحث الثاني من هذا الفصل وهو اختيارات ابن قُدامة رحمه الله في الخيار .

[١٣٢] انظر: البيان (٣١٨/٥)، الكافي (٥٣/٢).

[١٣٣] المغني (١١٨/٤).

[١٣٤] الإنصاف (٣٤١/٤).

[١٣٥] مجموع الفتاوى (١٣٢/٢٩).

[١٣٦] انظر: الجوهرة النيرة (١٨٧/١)، شرح مختصر خليل للخرشي (١٢٦/٥)، الشرح الكبير ومعه حاشية الدسوقي (١٧٥/٣)، فتح العزيز (٣٢٥/٨)، روضة الطالبين (٤٦٠/٣)،

٣ – اختلف الفقهاء – رحمهم الله - في من اشترط صفة مقصودة فبان خلافها بما هو أعلى منها ، وكان للمشترط قصد صحيح يخصه فيما اشترطه على ثلاثة أقوال.

الأقوال في المسألة:

القول الأول: ثبوت الخيار للمشتري إن اشترط صفة مقصودة فبان خلافها، وهو المذهب عند الحنفية[١٣٧]، والمالكية[١٣٨]، ورواية عند الشافعية[١٣٩]، والحنابلة[١٤٠]، واختيار ابن قُدامة ~[١٤١].

القول الثاني: عدم ثبوت الخيار للمشتري إن اشترط صفة مقصودة فبانت السلعة أفضل مما اشترطه، وهو المذهب عند الحنابلة[١٤٢].

القول الثالث: التفصيل: إن اشترط عبداً كافراً فبان مسلماً فله الخيار، وإن اشترط أمةً ثيبًا فبانت بكراً ففيها قولين أصحهما أنه لا خيار له، وهو المذهب عند الشافعية[١٤٣].

الأدلة:

أدلة القول الأول:

قال ابن قُدامة ~: (له الخيار؛ لأن فيه قصدًا صحيحًا، وهو أن طالب الكافرة أكثر؛ لصلاحيتها للمسلمين وغيرهم، أو ليستريح من تكليفها العبادات، وقد يشترط الثيّب؛ لعجزه عن البِكر، أو ليبيعها لعاجزٍ عن البكر، فقد فات قصده)[١٤٤].

أدلة القول الثاني:

أن المشتري إن اشترط أَمَةً ثيبًا فبانت بِكرًا، أو عبداً كافراً فبان مسلماً فلا خيار له؛ وذلك لأن البكارة والإسلام خير وزيادة مستحسنة[١٤٥].

الكافي (٥٣/٢)، المبدع (٥١/٤).

[١٣٧] انظر: الجوهرة النيرة (١٨٧/١)، رد المحتار (٥٩١/٤).

[١٣٨] انظر: شرح مختص خليل للخرشي (١٢٦/٥)، الشرح الكبير ومعه حاشية الدسوقي (١٧٥/٣)، حاشية الصاوي (١٥٢/٣).

[١٣٩] انظر: الحاوي (٢٥٣/٥)، فتح العزيز (٣٢٥/٨)، المجموع (٩٩/١٢).

[١٤٠] انظر: الكافي (٥٣/٢)، المغني (١١٧/٤ – ١١٨)، المبدع (٥١/٤)، الإنصاف (٣٤١/٤ – ٣٤٢).

[١٤١] انظر: المغني (١١٧/٤ – ١١٨)، الإنصاف (٣٤١/٤).

[١٤٢] انظر: الكافي (٥٣/٢)، المغني (١١٧/٤ – ١١٨)، المبدع (٥١/٤)، الإقناع (٧٩/٢)، مطالب أولي النهى (٦٩/٣).

[١٤٣] انظر: الحاوي (٢٥٣/٥)، البيان (٣١٨/٥)، فتح العزيز (٣٢٥/٨)، المجموع (٩٩/١٢).

[١٤٤] المغني (١١٨/٤).

[١٤٥] انظر: المبدع (٥١/٤)، شرح منتهى الإرادات (٢٩/٢)، مطالب أولي النهى (٦٩/٣).

يُناقش: أن ما ذكرتم ليس بصحيح على إطلاقه؛ لأن المسلم وإن كان أفضل من الكافر في الدين إلاّ أنّ مشترط الكافر له قصد يخصه ، و لا يحق معارضته في حاجته ما دامت لا تخالف الشرع .

أدلة القول الثالث:

أنّ المسلم وإن كان أفضل من الكافر في الدين، إلا أن الكافر أكثر ثمنًا؛ لأنه يرغب في شرائه المسلم والكافر، والمسلم لا يرغب في شرائه إلا المسلم [١٤٦].

يُناقش: قد لا يكون غلاء الثمن هو قصد المشتري وغرضه، فيحق له الخيار لفوات قصده .

الترجيح:

الراجح – والله تعالى أعلم – القول الأول، وهو ثبوت الخيار للمشتري إن اشترط صفة مقصودة فبان خلافها لما هو أعلى منها، وهذا موافق لاختيار ابن قُدامة ~، وترجح لما يلي:

١ – لحديث أبي هريرة أن رسول الله قال: «**المسلمون على شروطهم، ما وافق الحق منها**»[١٤٧].

وجه الدلالة: هذا الحديث أصل في إباحة الشروط بين المتعاقدين ما لم يكن الشرط محرماً في الشرع، فيدخل فيه ما إذا شرط أحدهما منفعة مقصودة في المبيع[١٤٨].

٢ – أن رغبات المتبايعين متباينة متفاوتة، فلو لم يصح اشتراط ما يتناسب مع حاجة أحدهما؛ لفاتت الحكمة التي شُرِع من أجلها البيع[١٤٩].

الحمد لله عظيم الفضل والإنعام، والصلاة والسلام على خير الأنام، وعلى آله وصحبه الكرام، فبعد أن أنهيت هذا البحث والذي هو تحت عنوان (اختيارات ابن قُدامة المقدسي من أول كتاب البيع إلى نهاية كتاب النفقات) اسأل الله جلّ وعلا أن يعفو عن الخطأ ويستر الزلَل، وأن يجعل هذا العلم حُجّة لي لا علي، و**فيما يلي أهم النتائج التي توصلت لها**:

---

[١٤٦] انظر: الحاوي (٢٥٣/٥)، البيان (٣١٨/٥)، فتح العزيز (٣٢٥/٨)، المجموع (٩٩/١٢).

[١٤٧] أخرجه أبي داود في سننه، كتاب الأقضية، باب في الصُلح، رقم (٣٥٩٤)، (٣٠٤/٣)، والدار قطني، كتاب البيوع، رقم (٢٨٩٠)، (٤٢٦/٣)، والحاكم في مستدركه (٢٣٠٩)، (٥٧/٢)، وقال: (رواة هذا الحديث مدنيون ولم يخرجاه، وهذا أصل في الكتاب)، والبيهقي في الصغير، كتاب البيوع، باب الشركة، رقم (٢١٠٥)، (٣٠٧/٢).

[١٤٨] انظر: المبدع (٥٢/٤).

[١٤٩] انظر: مجموع الفتاوى (١٣٢/٢٩) .

(١)	صحّة بيع رِباع مكة وإجارتها، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٢)	عدم جواز بيع الآبق ولو لقادرٍ على تحصيله، وهو يُخالف اختيار ابن قُدامة
(٣)	صحة العقد بعد مضي زمن من رؤية المبيع يحتمل فيه التغير من عدمه، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٤)	يبطل البيع فيما لا يصح بيعه، ويصح في الآخر بقسطه من الثمن، وهو مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٥)	جواز سوم المسلم على سوم أخيه إن ظهر ما يدل على الرضا من غير تصريح، وهو مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٦)	جواز بيع الطعام إلى أجل وأخذ طعام منه بالثمن الذي في ذمته، إذا لم يكن فعله حيلة، ولم يقصده في ابتداء العقد، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٧)	ثبوت الخيار للمشتري إن اشترط صفة مقصودة فبان خلافها، وهذا مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٨)	ثبوت الخيار لمن قال :لا خلابة، وهو مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٩)	عدم ثبوت خيار العيب في العبد المجلوب الذي لم يختن، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(١٠)	عدم ثبوت الخيار في العبد الأعسر، وهذا مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(١١)	العلة الكيل أو الوزن مع الطَعم جنساً في الأصناف الأربعة، والثمنيّة في الذهب والفضة، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(١٢)	أن الألية والشحم جنس واحد، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(١٣)	صحة السلم بالمكيل وزنا وبالموزون كيلا، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(١٤)	جواز اشتراط الرهن والكفيل في المسلَم فيه، وهذا مُوافق لاختيار ابن قُدامة .
(١٥)	عدم جواز رهن المُكاتب، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(١٦)	صحة الرهن مع اقترانه بشرط ينافيه وبطلان الشرط، وهو مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(١٧)	صحة العفو في الجناية على الرهن، ويُؤخَذ من الراهن قيمة المتلف وتكون رهناً، وهذا مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(١٨)	لا يُجبَر الشريك على بناء حائط انهدم بينهما، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة.
(١٩)	أن الزيادة المنفصلة من المبَيع للمشتري، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٢٠)	عدم جواز السفر بمال الصبي والمجنون من غير تجارة، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٢١)	عدم لزوم ما أقرّ به المحجور عليه من مال، وهذا مُوافق لاختيار ابن قُدامة .
(٢٢)	صحة العقد، وتكون الزيادة موقوفة على إجازة المُوكل، فإن أجاز وإلا

	ضمنها الوكيل، وهو مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٢٣)	صحة إطلاق الوكالة بالشراء، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٢٤)	صحة شراء المُضَارب من مال المضاربة إذا ظهر ربح، وهو اختيار ابن قُدامة ~.
(٢٥)	عدم اشتراط كون البذر من رب الأرض، وهو اختيار ابن قُدامة ~.
(٢٧)	صحة الأجرة لمن عمل عملاً يستحق الأجرة عليه عادةً، سواء كان منتصباً للعمل المُكلّف به أم لا، وهذا القول مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٢٨)	صحة تعدد المحللين بين المتسابقين، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٢٩)	ضمان الغاصب إن أسقطت الأمَة المغصوبة ولداً ميتًا من غير جناية بعشر قيمة أمه، وهو اختيار ابن قُدامة ~.
(٣٠)	صحة العمل المعلوم في مدة معلومة جعالةً، وهذا مُوافق لاختيار ابن قُدامة .
(٣١)	إن كان راد الضآلة معروفاً برد الضوّال وغيرها من الأموال الضائعة، فله الجعل وإلا فلا، وهذا مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٣٢)	جواز التقاط غير الإمام ونائبه ما يمتنع من صغار السباع لحفظها، وهذا مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٣٣)	أن المسلم أحق بالتقاط من حُكِم بكفره، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٣٤)	اختصاص لفظ (الأيم) بالمرأة التي لا زوج لها، وهذا مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٣٥)	عدم صحة وقف ثُلث المال على بعض الورثة في مرض الموت، وهذا مُوافق لاختيار ابن قدامه ~.
(٣٦)	صحة قبض المميز للهبة وقبولها بشرط إذن الولي بالقبض وإلا فلا تصح، وهو موُافق لاختيار ابن قُدامة في القبول ومُخالف له في القبض.
(٣٧)	صحة هبة الكلب، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٣٨)	الإعتاق برأس مال من اشترى من يعتق عليه بالرحم، وهو اختيار ابن قُدامة.
(٣٩)	إن كان المتروك لا يفضل عن غنى الورثة فتُكره الوصية، هو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٤٠)	عدم صحة ردّ المُوصَى له بعد القبول وقبل القبض، وهو مُخالف لاختيار ابن قُدامة في وجه.
(٤١)	من وصّى لله ولفلان، فالمال نصفه لله ونصفه لفلان، وهو مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٤٢)	أن المال الموروث يُرد لورثة الميت الذي مات مدة التربص، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.

(٤٣)	أن ميراث الخنثى نصف ميراثه ذكر ونصف ميراثه أنثى، وهذا مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٤٤)	عدم إرث السيد مولاه مع اختلاف الدين، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٤٥)	لا يشترط إذن السيد للمُكَاتِب ويُعتَق بمجرد عتق السيد له، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٤٦)	المكاتبة تبطل بجنون السيد أو الحجر عليه فإذا أدّى المُكاتَب ما عليه عُتِق، وهذا اختيار ابن قُدامة ~.
(٤٧)	وجوب النفقة على أم الولد سواء كان لها كسب أو لم يكن لها كسب، وهذا مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٤٨)	يصح نظر السيد لما يظهر من الجارية غالباً، وهو مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٤٩)	حكم غير أولي الإربة من الرجال كغيرهم في النظر، وهذا مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٥٠)	عدم انتشار الحُرمة باللواط، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٥١)	أن توبة الزانية كتوبة غيرها، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٥٢)	عدم صحة النكاح بنيّة الطلاق، وهو مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٥٣)	أن للولي منع موليته الكبيرة من نكاح العنين والمجبوب، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٥٤)	يجب مهر المثل بالدخول، وهو اختيار ابن قُدامة ~.
(٥٥)	أنّ على المرأة الضمان إن نقص الصداق بعد الطلاق وقبل المطالبة، وهو مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٥٦)	أن مهر المثل مُعتبَر بمهر نسائها من عصبتها، وهذا مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٥٧)	عدم استقرار المهر بالخلوة في النكاح الفاسد، وهذا مُوافق لاختيار ابن قُدامة.
(٥٨)	إذا تخالع كافران بمحرم يعلمانه ثم أسلما أو أسلم أحدهما فله قيمة ما تخالعا عليه عند أهله، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٥٩)	وقوع الطلاق لمن أراد غمّ أهله، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٦٠)	إن نسي الرجل مُطلّقته من نسائه فإنه يقرع بينهما، وهذا مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٦١)	أن للمُطلّقة الرجعيّة القسم إن نواه عند التطليق، وهو مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٦٢)	حِل المطلّقة الرجعيّة بوطء محرم، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.

(٦٣)	عدم صحة إيلاء الصبي ،وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٦٤)	أن مدة الإيلاء لا تنقطع بالطلاق الرجعي، وهو مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٦٥)	عدم صحة ظِهار الصبي، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٦٦)	أن ظِهار المرأة لغو ولا يُعتد به، وهو مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٦٧)	صحة لِعان الأخرس إن فُهِمت إشارته، وهو مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٦٨)	عدم استحباب تغليظ الملاعنة بزمان أو مكان، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة.
(٦٩)	صحة نفي الحمل قبل وضعه، وهذا مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٧٠)	قبول قول العامي إن ادّعى جهله بفوريّة المُلاعنة، وهو اختيار ابن قُدامة ~.
(٧١)	صحة لِعان من أخرّ نفي الولد، وهو مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٧٢)	تجديد عقد امرأة المفقود لزوجها الثاني إذا رجع المفقود واختار تركها، وهو اختيار ابن قُدامة ~.
(٧٣)	عدم رجوع الزوج الثاني على امرأة المفقود بما أُخِذ منه، وهو مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٧٤)	أن لا تنكح امرأة المفقود غيره حتى تتيّقن وفاته، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٧٥)	عدم جواز نكاح المعتدة لمن هي معتدة منه، وهو مخُالف لاختيار ابن قُدامة .
(٧٦)	عدم وجوب الاستبراء، وهذا مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٧٧)	أن استبراء الأمَة الآيسة والصغيرة يكون بشهر، وهذا مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٧٨)	انتشار المحرمية لمن ثاب لبنها من غير حمل ووطء، وهو مُوافق لاختيار ابن قُدامة ~.
(٧٩)	أن للزوج الرجوع على من أفسد نكاحه بعد الدخول بالرضاع، وهو مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٨٠)	أن الأخت لأم مُقدَّمة على الأخت لأب، وهذا مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.
(٨١)	لا يحق للعُصبة من غير المحارم الحضانة للجارية دون السبع، وهذا مُخالف لاختيار ابن قُدامة ~.

هذا وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد

فهرس المصادر والمراجع :

(١) الإجماع، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(٢) الاختيار لتعليل المختار، لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي (المتوفى: ٦٨٣هـ)، عليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة (من علماء الحنفية ومدرس بكلية أصول الدين سابقا)، الناشر: مطبعة الحلبي – القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية – بيروت، وغيرها)،تاريخ النشر: ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م.

(٣) الاستذكار، بو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

(٤) أسنى المطالب في شرح روض الطالب، لزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي.

(٥) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين)،لأبي بكر (المشهور بالبكري) عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي (المتوفى: ١٣١٠هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

(٦) الإقناع في حل ألفاظ أبي الشجاع، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)،تحقيق: مكتب البحوث والدراسات – دار الفكر، الناشر: دار الفكر – بيروت.

(٧) الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل،لموسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨هـ)،تحقيق عبد اللطيف محمد موسى السبكي،الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان.

(٨) الأم للشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

(٩) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، لعلاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية.

(١٠) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ)، وفي آخره: تكملة البحر الرائق، لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد ١١٣٨هـ)، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية.

(١١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)،الناشر: دار الحديث – القاهرة، تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م.

(١٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(١٣) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٥٢٠هـ)، حققه: د محمد حجي وآخرون، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(١٤) التاج والإكليل لمختصر خليل، لمحمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي (المتوفى: ٨٩٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٤م.

(١٥) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ، لعثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (المتوفى: ١٠٢١ هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣١٣هـ.

(١٦) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، لجمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: عبد الصمد شرف الدين، الناشر: المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، الطبعة: الثانية: ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(١٧) تحفة الفقهاء، لمحمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي (المتوفى: نحو ٥٤٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

(١٨) تحفة المحتاج، في شرح المنهاج، لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، الناشر: المكتبة

التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، عام النشر: ١٣٥٧هـ – ١٩٨٣م.
(١٩) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.
(٢٠) التلخيص الحبير، في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٨٩م.
(٢١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧هـ.
(٢٢) التنبيه في الفقه الشافعي، لأبي اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، الناشر: عالم الكتب.
(٢٣) التهذيب في اختصار المدونة، لخلف بن أبي القاسم محمد، الأزدي القيرواني، أبو سعيد ابن البراذعي المالكي (المتوفى: ٣٧٢هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
(٢٤) جواهر العقود، ومعين القضاة والموقعين والشهود، لشمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، المنهاجي الأسيوطي ثم القاهري الشافعي (المتوفى: ٨٨٠هـ)، حققها وخرج أحاديثها: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.
(٢٥) الجوهرة النيرة.، بو بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي الزَّبِيدِيّ اليمني الحنفي (المتوفى: ٨٠٠هـ)، الناشر: المطبعة الخيرية، الطبعة: الأولى، ١٣٢٢هـ.
(٢٦) دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، لمنصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
(٢٧) رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)،المؤلف: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)،

الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
(٢٨) حاشية البجيرمي على الخطيب (تحفة الحبيب على شرح الخطيب)، لسليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (المتوفى: ١٢٢١هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
(٢٩) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (المتوفى: ١٢٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر.
(٣٠) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، لأبي الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي (نسبة إلى بني عدي، بالقرب من منفلوط) (المتوفى: ١١٨٩هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
(٣١) حاشيتا قليوبي وعميرة، لأحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: بدون طبعة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
(٣٢) الحاوي الكبيرفي فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
(٣٣) الحجة على أهل المدينة، لأبي عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (المتوفى: ١٨٩هـ)، المحقق: مهدي حسن الكيلاني القادرِي، الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ.
(٣٤) الدراية في تخريج أحاديث الهداية لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، الناشر: دار المعرفة – بيروت.
(٣٥) درر الحكام شرح غرر الأحكام، محمد بن فرامرز بن علي الشهير بملا – أو منلا أو المولى – خسرو (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.
(٣٦) الذخيرة، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، المحقق: جزء ١، ٨، ١٣: محمد حجي، جزء ٢، ٦: سعيد أعراب، جزء ٣ – ٥، ٧، ٩ – ١٢: محمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت،الطبعة: الأولى، ١٩٩٤م.
(٣٧) الروض الداني (المعجم الصغير)، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي

الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، محمد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(٣٨) روضة الطالبين وعمدة المفتين، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت – دمشق – عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

(٣٩) زاد المستقنع في اختصار المقنع، المؤلف: موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن علي بن محمد العسّكر، الناشر: دار الوطن للنشر – الرياض.

(٤٠) سنن أبي داود، سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)،تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

مصادر العلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناحي المعروف ببصيلة المتوفى سنة ١٣٥٢هـ في تفسيره الكنز الجليل على مدارك التنزيل

اعداد
ماجد بن إبراهيم العباس

Doi: 10.33850/jasis.2019.44493
الاستلام : ١٤/ ٥ /٢٠١٩ القبول : ٢٥ / ٦ /٢٠١٩

مقدمة :

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران آية:١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً* وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء آية:١)، وقال جلَّ في علاه: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً) (الأحزاب الآيتان:٧٠،٧١).

أما بعد:

فإن غاية الإنسان في هذه الدنيا تحقيقُ العبودية لله رب العالمين، التي عليها مناط التكليف، وعليها تدور رحى الرسالات السماوية كلها، والعلم من أشرف مقامات العبودية إذا كان متعلقاً بنصوص الوحيين الشريفين إذْ هما أصل العلوم ومصدرها ورأسُها.

وعلم التفسير من أجَلِّ العلوم وأنفعها وأشرفها لتعلقه بكلام الله عز وجل وما كان متصلاً بالتفسير ومتعلقا به كان له من القدر والمنزلة بقدر تعلقه به.

إلا أن الباحث سيخص هذا البحث بمجال من مجالات هذا العلم الجليل ألا وهو الحواشي على كتب التفسير؛ لأن الحاشية إيضاح لبعض عبارات الشروح ومسائلها يُظهر ما في عباراتها من غموض، أو يكمل ما فيها من نقص في الحقائق، والشروط التي لم يستوفها الشرح، ومنشأ الحواشي هو أن نظام التعليم كان أساسه تدريس كتاب أو إقرائه، فكان المدرس يعالج المباحث التي يتضمنها المتن والشرح، فإذا صادف غموضا أو قصورا أو نقصا كتب على حاشية الكتاب ما يعالج به ذلك، ثم يجيء من ينشرون

الكتاب فيطبعونه مع الشرح، وأحيانا يجعلون الشرح على هامش الكتاب والحاشية في الصلب، وأحياناً يكون العكس وذلك حسب ما يقتضيه النظام الوضعي في إخراج الكتاب وهذه الحواشي لها فوائد، منها التدرج في التحصيل العلمي، فالمبتدئ يقنع بدراسة المتن ويتفهم ما يتضمنه من حقائق موجزة ثم ينتقل إلى الشرح، وهذا أوسع، ثم يرقى إلى الحاشية ليستوفي ما فيها.

ومن هذه الحواشي المهمة على التفاسير: حاشية الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناحي المعروف ببصيلة المتوفى سنة ١٣٥٢هـ.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في قيمة تفسير النسفي العلمية، وقيمة هذه الحاشية العلمية (الكنز الجليل) والتي تتمثل في:

أ- جمع المؤلف لتحقيقات المفسرين وأقوالهم من الكتب المعتبرة.

ب- تفسير بعض الآيات القرآنية التي لم يوفها النسفي – رحمه الله – حقها من التفسير، وكشف الستار عما في تفسيره من مبهمات وغوامض.

ج- أمانة صاحب الحاشية، وتوثيقه لما نقله في حاشيته على المدارك، والإضافات الغزيرة التي ضمنها للحاشية، وبعضها من مخطوطات لم تحقق بعد.

أسباب اختيار الموضوع

١- الرغبة في خدمة كتاب الله الجليل، لنيل شرفه العظيم.

٢- اكتساب مهارات بحثية من خلال التعرف على هذا العلم الجليل.

٣- حب المشاركة في بيان مكانة هذه الحاشية، وحث الناس على الإقبال عليها، وإطلاعهم عليها والكشف عن كنوزها الدفينة.

٤- قيمة هذه الحاشية العلمية الكنز الجليل؛ لرجوع المؤلف إلى جلّ كتب التفسير، وما يتعلق به من مسائل في علوم القرآن، وعلوم الحديث، والعقيدة، والفقه، وعلوم اللغة، والبلاغة، وغيرها، مما يرفع الحصيلة العلمية لدى الطالب، ويضيف له الكثير من المهارات العلمية والبحثية.

٥- مكانة الإمام إبراهيم بصيلة رحمه الله العلمية؛ إذ إنه من العلماء الأجلاء الذين كان لهم دورا بارزا في إثراء المكتبة الإسلامية بالعلم النافع، فقد كان إماما في الفقه والأصول والحديث والتفسير، وله الكثير من المصنفات التي تداولها العلماء وتناولوها دراسة وبحثا.

أهداف البحث

وهذا البحث يهدف إلى أمور حرصت عند كتابته وإعداده على تحقيقها، وأهمّها:

١- التعريف بإبراهيم بصيلة –رحمه الله -.

٢- بيان مكانة هذا العالم الرباني وبيان فضله.

٣- الوقوف على مصادره في هذا التفسير (الكنز الجليل).
٤- **بناء شخصية الباحث العلمية، وتنمية ملكته التفسيرية، وإعداده ليكون باحثا جادًا- بإذن الله تعالى- في مجال تخصصه.**

الدراسات السابقة للموضوع

قام الباحث بإجراء عملية بحث واسعة في أروقة المكتبات العلمية الكبيرة، وكذلك عن طريق الشبكة العنكبوتية، ومخاطبة الأقسام العلمية المختصة فلم يجد دراسة علمية أكاديمية تناولت هذا الموضوع: (مصادر العلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناحي المعروف ببصيلة المتوفى سنة ١٣٥٢ه في تفسيره الكنز الجليل على مدارك التنزيل) بالبحث والدراسة.

المنهج المتبع في هذا البحث

المنهج المتبع في البحث هو: سيتبع الباحث- بإذن الله- المنهج الوصفي الاستقرائي؛ وذلك على النحو التالي:

- مصادر هذا التفسير إلى عناصر بحسب ما يقتضيه البحث كما سيأتي في هيكل التعريف بإبراهيم بصيلة رحمه الله.
- مصادره في تفسيره الكنز الجليل.
- تصنيف البحث.

طريقة السير في البحث:

١-كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، برواية حفص عن عاصم.
٢- عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.
٣- تخريج الأحاديث والآثار من مظانها والحكم عليها، وذلك في الحاشية.
٤- عدم ترجمة الأعلام الواردة في البحث؛ وذلك خشية تضخم البحث.
٥- توثيق النقولات من مصادرها الأصلية.
٦- شرح الغريب مع ضبط ما قد يشكل – إن وجد -.
٧- تذييل البحث بفهارس كاشفة لتسهيل الوصول إلى المعلومة.

التمهيد :

إنّ تفسير **(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)** يعتبر من أعظم مؤلفات الإمام النسفي شأنا، وأجلها قدرا، كيف لا؟ وقد طالبه في جمعه وتأليفه أجلّةٌ من الإخوان، وأعزةٌ من الأخدان، وألحوا عليه في ذلك؛ حيث قال:" قد سألني مَن تتعين إجابته، كتاباً وسطاً في التأويلات، جامعاً لوجوه، الإعراب والقراءات، متضمناً لدقائق علمي البديع والإشارات، حالياً بأقاويل أهل السنة والجماعة، خالياً عن أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل، وكنت أُقدِّم فيه رِجْلاً وأؤخر أخرى، استقصاراً لقوة البَشر عن درك هذا الوطر، وأخذاً لسبيل الحذر عن ركوب متن الخطر،

حتى شرعتُ فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة، وأتممته في مدة يسيرة، وسميته بمدارك التنزيل وحقائق التأويل"[١].

وقال صاحب كشف الظنون:" اختصره - يعني تفسير النسفي - الشيخ زين الدين، أبو محمد، عبد الرحمن بن أبى بكر بن العيني، وزاد فيه"[٢].

وقال الذهبي:" قرأتُ في هذا التفسير فوجدته كما قلت آنفاً موجز العبارة سهل المأخذ، مختصراً من تفسير الكشاف، جامعاً لمحاسنه، متحاشياً لمساوئه، ومن تفسير البيضاوي أيضاً حتى إنه ليأخذ عبارته بنصها أو قريباً منه ويضمنها تفسيره"[٣].

لقد اشتهر هذا التفسير وتلقاه العلماء بالقبول، وذاع ذكره في الأقطار، واشتغل به العلماء الأجلاء إقراءً وتدريسًا وشرحًا وتحشية، وظل يدرس في كثير من معاهد العلم قرونًا عديدة، وهو كتاب عظيم الشأن غني عن البيان؛ لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام، ومن تفسير الراغب الأصفهاني ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات، وضم إليه ما رواه زناد فكره من الوجوه المعقولة والتصرفات المقبولة، فكان تفسيره يحتوي فنونًا من العلم وعرة المسالك وأنواعًا من القواعد مختلفة الطرائق، ثمّ إن هذا الكتاب رزق بحسن القبول عند جمهور الأفاضل والفحول فعكفوا عليه بالدرس والتحشية، فمنهم من علق تعليقة على سورة منه، ومنهم من كتب على بعض مواضع منه، ومنهم من حشى تحشية تامة، ومن تلكم الحواشي حاشية الكنز الجليل للإمام الجليل، إبراهيم بن إبراهيم الجناحي، المشهور ببُصَيْلة .

المبحث الأول: التعريف بإبراهيم بصيلة.

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته[٤]:

أولا: اسمه ونسبه:

هو: إبراهيم بن إبراهيم الجناحي، ولقبه: بُصَيْلة.

والجناحي: نسبة إلى قرية جناح، (كسحاب) من أعمال جرجا، بمصر.

---

(١) تفسير النسفي (ص:٤-٥).

(٢)كشف الظنون (١٦٤٠/٢)، وينظر: الأعلام (٦٧/٤).

(٣) التفسير والمفسرون (٢١٧/١)، وينظر: الأعلام (٦٧/٤).

(٤) ينظر في ترجمته: الأعلام للزركلي (٢٨/١)، وموسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر (٧/١)، ونثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر (٥٢/١-٥٣)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٧/١).

ثانيا: مولده:
لم أقف له على تحديد سنة مولده.
ثالثا: نشأته:
لم تسفعنا المصادر الموجودة في معلومات عن نشأته.
رابعا: وفاته:
توفي سنة (١٣٥٢هـ).
المطلب الثاني: حياته العلمية وآثاره:
أولا: حياته العلمية:
لم تسفعنا المصادر الموجودة في معلومات عن حياته العلمية، إلا يُعد رحمه الله من العلماء، وهو إمام في التفسير وعلوم القرآن وعلوم النحو واللغة، وينتسب إلى المذهب المالكي.
ثانيا: آثاره:
له مؤلفات قليلة، وأغلبها مخطوطة ومحفوظة في المكتبة الأزهرية، وهي:
(١) تقرير على حاشية للصاوي، وهو مخطوط.
(٢) تقريرات على حاشية الصبان في المنطق، وهو مخطوط.
(٣) رسالة في مبادئ النحو، وهو مخطوط.
(٤) الكنز الجليل، وهو كتابه هذا.
(٥) المطالب السنية، وهو في التوحيد، وهو مخطوط.
المبحث الثاني: مصادره في تفسيره الكنز الجليل
المطلب الأول: مصادره في التفسير:
(١) **أحكام القرآن**، لمحمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي (ت٥٤٣هـ).
(٢) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ).
(٣) **الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، لمحمد عبد الحق بن شاه الهندي الحنفي (ت١٣٣٣).
(٤) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى:٦٨٥هـ).
(٥) **البحر المحيط**، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ).
(٦) **تفسير الجلالين**، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ).
(٧) **تفسير القرآن العظيم**، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ).

(٨) **تفسير القرآن**، أحمد بن موسى بن مردويه (ت٤٢٠هـ)، وهو غير مطبوع.
(٩) **تفسير القرآن**، لمحمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت٣١٩هـ).
(١٠) **التفسير**، لسعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (ت٢٢٧هـ).
(١١) **التفسير**، لعبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ).
(١٢) **التفسير**، لعبد حميد الكشي (ت٢٤٩هـ)، وهو غير مطبوع.
(١٣) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ).
(١٤) **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ).
(١٥) **حاشية على تفسير البيضاوي**، لأبي الفضل القرشي الصديقي الكازروني (ت في حدود ٩٤٠هـ)، وهو غير مطبوع.
(١٦) **حاشية على تفسير القاضي البيضاوي**، لمحمد محيي الدين بن مصطفى مصلح الدين القوجوي، شَيْخ زَادَهْ (ت٩٥١ هـ).
(١٧) **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، لأبي العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ).
(١٨) **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ).
(١٩) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لمحمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ).
(٢٠) **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ).
(٢١) **عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت١٠٦٩هـ).
(٢٢) **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ).
(٢٣) **الفتوحات الإلهية**، لسليمان بن عمر العجيلي الشافعي، المشهور بالجمل (ت١٢٠٤هـ).
(٢٤) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ).
(٢٥) **الكشف على الكشاف**، لعمر بن عبد الرحمن بن عمر سراج الدين الفارسي القزويني، وهو غير مطبوع.
(٢٦) **الكشف والبيان**، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت٤٢٧هـ).
(٢٧) **لباب التأويل في معاني التنزيل**، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر

بالخازن (ت٧٤١هـ).
(٢٨) **مجمع البحرين ومطلع البدرين**، محمد بن محمد الكرخي، وهو غير مطبوع.
(٢٩) **مجمع البيان في تفسير القرآن**، للفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (ت٥٤٨هـ).
(٣٠) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ).
(٣١) **معالم التنزيل**، للحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (ت٥١٠هـ).
(٣٢) **مفاتيح الغيب**، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ).
(٣٣) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ).
(٣٤) **النكت والعيون**، لعلي بن محمد بن محمد بن حبيب بالماوردي (ت٤٥٠هـ).
(٣٥) **النهر الماد**، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ).

المطلب الثاني: مصادره في القراءات وتوجيهها

(٣٦) **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، لأحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ (ت١١١٧هـ).
(٣٧) **اللوامح في شواذ القراءات**، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن المقري الرازي (ت٤٥٤هـ)، وهو غير مطبوع.

المطلب الثالث: مصادره في علوم القرآن

(٣٨) **الإتقان في علوم القرآن**، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ).
(٣٩) **البرهان في علوم القرآن**، لمحمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ).
(٤٠) **البيان في عدّ آي القرآن**، لعثمان بن سعيد بن عثمان الداني (ت٤٤٤هـ).
(٤١) **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ).

المطلب الرابع: مصادره في الحديث والسنة النبوية

(٤٢) **الأحاديث المختارة**، لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٤٣هـ).
(٤٣) **الأدب المفرد**، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ).
(٤٤) **البعث والنشور**، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت٤٥٨هـ).
(٤٥) **التوكل على الله**، لعبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ).
(٤٦) **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ).
(٤٧) **الزهد**، لأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ).

(٤٨) **السنن الكبرى**، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت٤٥٨هـ).
(٤٩) **السنن الكبرى**، لأحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت٣٠٣هـ).
(٥٠) **السنن**، لسليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (ت٢٧٥هـ).
(٥١) **السنن**، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي (ت٢٧٩هـ).
(٥٢) **السنن**، لمحمد بن يزيد ابن ماجه (ت٢٧٣هـ).
(٥٣) **شعب الإيمان**، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت٤٥٨هـ).
(٥٤) **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، لعلي بن حسام الدين الهندي المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ).
(٥٥) **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني (ت٧٨٦هـ).
(٥٦) **المستدرك على الصحيحين**، لمحمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم (المتوفى:٤٠٥هـ).
(٥٧) **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ).
(٥٨) **مسند الفردوس**، لشهردار بن شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي (ت٥٥٨هـ).
(٥٩) **المسند**، لأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ).
(٦٠) **المسند**، لأحمد بن علي بن المثنى أبي يعلى الموصلي (ت٣٠٧هـ).
(٦١) **المصنف**، لعبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ).
(٦٢) **المعجم الكبير**، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني (ت٣٦٠هـ).

المطلب الخامس: مصادره في العقيدة

(٦٣) **الانتصاف من الكشاف**، لأحمد بن محمد بن منصور الجذامي الاسكندري المالكي، المشهور بابن المنير (ت٦٨٣هـ).
(٦٤) **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، لإبراهيم بن محمد بن أحمد البيجوري (ت١٢٧٧هـ).
(٦٥) **المواقف**، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت٧٥٦هـ).

المطلب السادس: مصادره في الفقه وأصوله

(٦٦) **الإحكام في أصول الأحكام**، لعلي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت٦٣١هـ).

المطلب السابع: مصادره في السيرة النبوية والتاريخ وكتب الرجال

(٦٧) **إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون**، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (ت١٠٤٤هـ).
(٦٨) **التاريخ الكبير**، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ).

(٦٩) **تاريخ بغداد**، لأحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ).
(٧٠) **تاريخ دمشق**، لعلي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر (ت٥٧١هـ).
(٧١) **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، لعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت٥٨١هـ).
(٧٢) **الطبقات الكبير**، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ).
المطلب الثامن: مصادره في النحو واللغة والبلاغة، والدواوين الشعرية، والأدب العربي
(٧٣) **أدب الكاتب**، لمحمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ).
(٧٤) **أدبيات اللغة العربية**، لمحمد عطاف وآخرين.
(٧٥) **الأشباه والنظائر**، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ).
(٧٦) **الأغاني**، لأبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ).
(٧٧) **تحفة أولي الألباب في مجالس الأحباب**، للشيخ محمد عبد الفتاح.
(٧٨) **التذكرة في النحو**، لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، جمال الدين ابن هشام (ت٧٦١هـ).
(٧٩) **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، لمحمد بن عبد الله ابن مالك الطائي (ت٦٧٢هـ).
(٨٠) **تلخيص المفتاح**، لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ).
(٨١) **تهذيب اللغة**، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت٣٧٠هـ).
(٨٢) **حاشية الصبان على شرح الأشموني**، لمحمد بن علي الصبان الشافعي (ت ١٢٠٦هـ).
(٨٣) **درة الغواص في أوهام الخواص**، للقاسم بن علي بن محمد الحريري (ت ٥١٦هـ).
(٨٤) **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، لعلي بن محمد بن عيسى الأُشْمُوني (ت ٩٠٠هـ).
(٨٥) **شرح التسهيل**، لمحمد بن عبد الله ابن مالك الطائي (ت ٦٧٢هـ).
(٨٦) **شرح شواهد الكشاف= تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات**، لمحب الدين أفندي.
(٨٧) **شرح كتاب سيبويه**، لأبي بكر الخفاف (ت ٦٥٧هـ)، وهو غير مطبوع.
(٨٨) **الصحاح**، لإسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣ هـ).
(٨٩) **العين**، للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت ١٧٠هـ).
(٩٠) **الغريبين في القرآن والحديث**، لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت ٤٠١هـ).
(٩١) **القاموس المحيط**، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ).
(٩٢) **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ).

(٩٣) **مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع**، من مقررات وزارة المعارف العمومية لتلاميذ السنة الرابعة من المدارس الابتدائية لوزارة المعارف العمومية- مصر.
(٩٤) **مختار الصحاح**، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ).
(٩٥) **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠ هـ).
(٩٦) **المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم**، لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت ٧٩٣هـ).
(٩٧) **معاني القرآن**، ليحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء (ت ٢٠٧هـ).
(٩٨) **المغرب في ترتيب المعرب**، لناصر بن عبد السيد بن علي برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ (ت٦١٠هـ).
(٩٩) **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، جمال الدين ابن هشام (ت ٧٦١هـ).
(١٠٠) **المفردات في غريب القرآن**، للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ).
(١٠١) **المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية**، لمحمود بن أحمد بن موسى العيني (ت ٨٥٥هـ).
(١٠٢) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، للمبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ).

المطلب التاسع: مصادره في الفلسفة

(١٠٣) **المعتبر في الحكمة**، لهبة الله بن علي بن ملكا (ت ٥٩٤هـ).

الخاتمة، وفيها: أبرز النتائج، وأهم التوصيات

أولا: أبرز النتائج:

في ختام هذا البحث، فإن الباحث قد خرج ببعض النتائج، منها ما يأتي:

١_ تيسر للباحث من خلال هذا البحث الوقوف على ترجمة هذا العالم الجليل، إبراهيم بصيلة.

٢_ ظهر للباحث مكانة هذا العلامة الرباني، إبراهيم وسعة علمه.

٣_ اتضح للباحث كثرة مصادر تفسير هذا العلم ومراجعه مما جعل هذا التفسير من أفضل كتب التفسير؛ حيث وصل عدد المراجع التي رجع إليها المؤلف إلى (١٠٣) مرجعا.

ثانيا: التوصية:

يوصي الباحث في ختام هذا البحث إخوانه طلبة العلم بالاهتمام بالحواشي على كتب التفسير عموما، وعلى حاشية الكنز الجليل على تفسير النسفي على وجه الخصوص؛ وذلك لما اشتمل عليه هذه الحاشية من المعلومات القيمة والكنوز الدفينة فيها.

فهرس المراجع والمصادر

١. **الأعلام**: المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، أيار، مايو ٢٠٠٢م.
٢. **موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر**: المؤلف: إبراهيم بن عبد الله الحازمي، الناشر: دار الشريف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ عدد الأجزاء: ٣.
٣. **الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة**: جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي، الناشر: مجلة الحكمة، مانشستر، بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٣.
٤. **نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر**: المؤلف: يوسف المرعشلي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، عدد الأجزاء: ٢.